جارة الأزد

جارة الأزد

النوري خ. الفيصل

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2017م – 1438 هـ

ردمك 978-614-01-2147-8

جميع الحقوق محفوظة

توزيع

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (9611+)

إهداء

إلى أبي:

والدي

الذي حال دون رعايته لي... القدر

وأبدله بأولياء أسطوريين

عمي

خالي

جدي

معلمي

أبي الأكبر... العراق

وإلى أمي:

معلمتي

الموصل الحدباء التربة الأطهر

هي جنة الدنيا وأعظم أعظم أم في الدنيا... والدتي

إن

لكل

إنسان

رامة

خاصة

به

وأنا

إنسان

تمهيد

علّمنا التاريخ قبل وضع أي حجر لبناء المدن المهدمة بعد الحروب الطاحنة، أن هناك صعوبات كثيرة يجب أخذها بعين الاعتبار. لكن الحرب الأخيرة (الافتراضية) لم تكن معركة بين جيشين أحدهما طامع يهاجم والآخر مدافع عن أرض، على رقعة معركة حقيقية، بل كانت معركة من أجل قرية افتراضية صغيرة (معركة فكر) يجتمع فيها العالم كله رغماً عن البعض الرافضين لهكذا تقارب خطر غير مسبوق بين ثقافات هذا العالم المتنوعة دون تمييع الحضارات العريقة والتي لاتزال بعض دولها تغط في سباتٍ عميق عما يحدث في العالم اليوم من تقدم (أقوى بكثير من الثورة الصناعية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي). إن التقدم التكنولوجي سهّل واختصر كثيراً من الصعوبات التي تتعلق في تعظيم فرص الإنتاج وبالتالي زيادة الأرباح التجارية، إلا أن هذا التقدم التكنولوجي اتضح أنه يسعى للكمال في غايته الحقيقية النهائية في كل شيء، واليوم اختار هذا التقدم الإنسان (بعد أن انتهى من كل مجالات الإنتاج) موضوعاً لعمله المقبل، فكانت أول لبنة لبناء تلك القرية الفاضلة الحاضنة لهذا الإنسان (الشبكات الاجتماعية الافتراضية) والتي تربط البشر وتقربهم بعضهم من بعض على اختلاف لغاتهم وألوانهم وثقافاتهم وأجناسهم

تحت سقفٍ واحد. تتلخص هذه التجربة الافتراضية في العيش مع الآخر وتقبل اختلاف ثقافته بود. إن الغرض من ضغط العالم في مساحة صغيرة قد يكون مستقبلاً مُمهِّداً لإنتاج ذلك الإنسان الذي كان يُباع ويُشترى كثيراً فيما مضى، لكن هذه المرة بالتأكيد سيكون ضمير هذا الإنسان المباع أكثر فاعلية من أي عصر مرّ على البشرية.

كتب شخص مجهول الهوية يعرّف باسم نوريخ (يقال إنهُ في المهجر) منشورات أسبوعية بلغة سياسية حادة وبأسلوب صحافي ناقد (لم يعجب العموم) على شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك. إلا أنهُ حاز على اهتمام ومتابعة جمهور كبير من كل الأعمار. كان يستعرض في منشوراته تاريخ المنطقة العربية المعاصر مُركزاً في إلقاء ضوئه على شخصيتين ومحيطهما الذي يتحركان فيه، مما حدا بالأصوات الرافضة لطرحه إلى التهجم عليه بسيل من الشتائم التي لا تنتهي، وكان ترتيب المنشورات كالآتي:

العباس

1991/1/28م

الثاني عشر من رجب

في إحدى ليالي شتاء تلك السنة، التي مزقت جسد الأمة العربية، وصلت درجة حرارة الطقس إلى أدنى مستوياتها. ذلك اليوم، وعلى النقيض، ارتفعت درجة حساسية الأزمة السياسية الراهنة إلى أقصاها في ميدان الشرق الأوسط بعد غزو العراق للكويت قبل ستة أشهر وتمركز قوات التحالف العربي – العالمي في مدينة الظهران حيث الخليج الملتهب لم يبح بكامل أسراره العربية للعالم بعد. في مكان ليس بعيداً عن تلك الرمال الذهبية التي طالما جذبت ببريقها أطماع الغرب في القطب الثاني لصراع القوى (الرياض) كانت تقطن عائلة صغيرة في أحد الأحياء الراقية. كان الزوج يعمل في الديوان الملكي، وكان هو وزوجته ينتظران الطفل الأول (الضيف الجديد) ليملأ صوته السكون الذي ملّه الزوجان كل ليلة.

اعتادا مثل أي عائلة عادية التحدث ومناقشة بعض القرارات المستقبلية على الفراش؛ قال محمد لزوجته قبل أن يناما: "ماذا تتوقعين أن يكون جنس المولود يا عذراء؟". أجابت الزوجة: "ما سيرزقنا إياه

الله هو نعمة وبركة. اقرأ وردك قبل أن تنام يا أبا عبد الله فغداً عليك الاستيقاظ باكراً للعمل". وفعلاً ما هي إلا دقائق معدودة حتى أطلقت الزوجة صرختها الأولى التي أيقظت بعلها فزعاً من نومه: "ماذا هناك؟". أجابت وهي تصارع آلام بطنها: "أظنني سألد". ثم صاحت مرةً أخرى وهي تغمض عينيها من شدة الألم وبطريقة هستيرية تنطق بكلمات بالكاد التقطتها أذناه: "المستشفى، المستشفى، المستشفى". هرع الزوج، لبس شماغه، وألبس زوجته عباءتها، رفع سماعة الهاتف، أخطر أمه، ثم عرجا عليها في دار أخيه الأكبر قبل ذهابهم لوجهة النور الذي قدر له أن يظهر للعالم في مستشفى دلة الواقعة في الشمال الغربي للمدينة. أدخلت الزوجة فوراً إلى غرفة العمليات، ودخل الزوج إلى إحدى دورات المياه هرباً من إزعاج المارة والممرضين، أخرج علبة السجائر، سحب واحدة، أشعلها، شهق نفساً عميقاً ليهدئ من خفقات قلبه التي تعج بصدره فرحاً وقلقاً على الأم وطفلها.

كان مرتبكاً قليلاً، وكيف لا وهو الطفل الأول، وكيف هو شعور ذاك الرجل الهادئ صاحب القلب الطيب والسيرة الحسنة. لحظتها كان تفكيره يسابق الزمن في تكوين شخصية طفله؛ تمناه ذكراً وإذ بقلبه يتساءل: كيف ستكون سيرته حين يكبر؟ وماذا سيعمل؟ وهل سيشبهه أم سيشبه والدته؟ وما، وما، وما.. أسئلة كثيرة كانت تدور في ذهنه الذي شتته دويّ صافرات الإنذار معلنة عن غارة جديدة لدفعة من الصواريخ العراقية، ذهب مسرعاً إلى أمه وزوجة أخيه التي حضرت معهم ثم قال: "لا تخافوا قد يكون إنذاراً احترازياً". لم يكمل كلامه إلا وصوت انفجار يدوي. صاحت والدته ومرافقتها

ومن كان هناك من النساء والأطفال والرجال، عمّت الفوضى أرجاء القسم بممراته وممرضيه ومراجعيه. خرج محمد عن هدوئه النسبي، وأخذ يصيح: "اهدأوا اهدأوا، هذا صوت أحد صواريخ دفاعاتنا الجوية!! لا تقلقوا"، وفعلاً كان.

خلف الحائط، وفي غرفة العمليات، الزوجة تصارع للبقاء في وعيها، وقد عبرت أشواطاً من مراحل الولادة رغم تخوفها من السلاح الكيمياوي الذي قد يستخدمه الجيش العراقي في إحدى هجماته المتكررة، فتفكيرها يشرد أحياناً إلى تلك النقطة المقلقة، في الخارج وفي مكان ما... دوى صوت انفجار ثانٍ جعل مرافقي المرضى يمسكون بعضهم بعضاً ويدعون الله أن لا يصيبهم وأهلهم أي مكروه، كانت بطاريات صواريخ (باتريوت) الذكية المضادة للصواريخ التي استوردتها الحكومة السعودية خلال أشهر أزمة الكويت جاهزة تحسباً لهجمات عراقية مماثلة على آبار النفط أو المدن المكتظة بالسكان، تطلق صواريخها وتعترض أي جسم يدخل غطاء المدينة الجوي بناءً على سرعة استجابة راداراتها المتطورة، والتي لم يسبق أن اختُبرت بعد تصنيعها. كان لها، ولله الحمد، الفضل في إيقاف النزيف العربي – العربي إلى حدٍّ ما وعدم اتساع رقعة المأساة الإنسانية التي ألّمت بالشعب الكويتي وقتها. في بغداد، حاضرة الخلافة الإسلامية العباسية، وتاريخ الأمة العربية العريق، حدث ما لم يكن بالحسبان! صدرت الأوامر بإطلاق نوع جديد من صواريخ سكود المعدلة في تلك اللحظة والتوّ في ثلاثة اتجاهات على كل من: الكيان الصهيوني، وعلى قاعدة العمليات للقوات المشتركة في الظهران، وعلى عاصمة القرار العربي الداعي إلى التهدئة (الرياض) في وقتٍ واحد.

في المدينة الخائفة، لبس أغلب سكانها أقنعة الكيمياوي التي لم تكن كلها صالحة للاستعمال ولا تقي من الغاز، سوى التي وزعتها السفارة الأمريكية على عدد معين من العائلات بالتحديد. أما على سرير الولادة وفي الجزء الأخير تعسّرت العملية نوعاً ما، وبات من الضروري التدخل لإنقاذ الجنين بعد تراجع معنويات الوالدة كثيراً وفقدانها التركيز. خلال لحظات شهدت السماء على ولادة العباس من جديد، نعم إنه الصاروخ العراقي المعدل والمطور للنسخة الأصلية لصاروخ سكود، صنع الاتحاد السوفيتي، حيث زيد مداه ليصل إلى الأهداف المطلوبة، لكن على حساب القوة والدقة في التأثير. انطلق أول الصواريخ الثلاثة إلى جهة الغرب الجنوبي من بغداد العباسية باتجاه موطن الاسم وهو العباس (رض) حليف الرسول (ص) وأصغر أعمامه الذي وافته المنية في التاريخ نفسه لهذا اليوم من السنة الثانية والثلاثين للهجرة. وما هي إلا دقائق قليلة حتى ارتطم بمدرسة نجد الخاصة (بعد أن أخطأ الهدف) قرب فندق الشيراتون ليس ببعيد عن مبنى المستشفى! في الطريق الفرعي نفسه لطريق الملك فهد أحد الطرق الرئيسية في العاصمة السعودية التي كان زجاج نوافذ بيوتها ملصقاً بشريط بلاستيكي داعم كباقي المدن، علّه يخفف من انفجارها في وجوه ساكنيها.

ذهل الجيش الأمريكي وقوات التحالف الغربي، كذلك شعرت بالرعب مما أحدثته الصواريخ الثلاثة من أثر كان واضحاً على القاعدة العسكرية في الظهران وكذلك على تل أبيب في خداعها لصواريخ الدفاع. حسبت تلك البصمة لصالح الدهاء العربي المتأصل في جمجمة العرب ورمح الله في الأرض (العراق). في غضون

ذلك، وُلدت الطفلة أخيراً، وبعد طول عناء وهي بين يدي الممرضة دوى صوت الانفجار الأخير تلاه العصف الذي أرهب السكان وأيقظ الراقدين في رمال حجر[1] كلهم ليتسابقوا على قطف الزهرة التي تعيش منذ الأزل في إحدى جنان قصور عبيد الحنفي الثلاثين[2]، أطلقت الوليدة صرختها الأولى بلحن الغضب. نعم هي (الزهرة) التي سيفوح عطرها مع نسمات هواء الرياض المسائية كل يوم وفي كل صباح، تندي جباه الفقراء ماءً عبقاً، وتهدي المساكين باقات بنفسج، وسحراً يحول أوجاعهم ومعاناتهم اليومية إلى فرح، وسراجاً سرمدياً ينير ليالي الأرض كلها.

(1) حجر اليمامة أو حجر هي بلدة قديمة تقع في الموقع التي شيدت عليه مدينة الرياض الحالية.

(2) يرجع إليه أصل تسمية (حجر) حيث احتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة.

الزهرة

أجمل مخلوقات الله (جلّ جلاله)، أرقها وأنقاها عبيراً، فوائـــدها كثيرة للإنسان ولعل أميزها الصورة الرومانسية المطبوعة في الذهن لما تتركه من ذكريات تخص أناساً نكن لهم مشاعر خاصة دون غيرهم، أهدونا باقة زهور في يومٍ ما. زهرتنا المولودة تتمتع بصـــحة جيـــدة وعمرها قارب الشهرين إلا أنها، يا أمي، هادئة أغلب الوقت ونـــادراً ما تبكي، ما أثار في نفسي المخاوف، هل أغلب الأطفال هكذا؟..

هذا بعض ما قالته عذراء لأمها عبر الهاتف بعدما أخطرها أحد فتيان القرية أن ابنتها ستعاود الاتصال بمكتب البريد المحلي. أخـــذت الجدة تطمئنها وتهنئها على سلامتهما من الولادة وكذلك أهل بيتـــها من آثار الحرب التي خمدت نارها أخيراً، الجدة كانت تسكن قـــرب بلدة (ديريك) التابعة لمحافظة الحسكة الغنية بالنفط، وفيها امتزجـــت القوميات والديانات والطبقات لتشكل ألوان الربيع الدائم ككل المدن والبلدات السورية. تقع هذه البلدة إلى أقصى الشمال الشرقي لسوريا على المثلث الحدودي مع تركيا والعراق (الأسد المنهك) بعد حـــرب الخليج قامت انتفاضة شعبية بجنوبه سميت (بالشعبانية) نسبةً إلى الشهر الهجري ثم ما لبثت طويلاً تلك الحركة حتى قمعت. وفي شماله أيضـــاً أعلن عن انشقاق إقليم كردستان برئاسة (جلال طالباني) الذي كان

يطمح إلى ضم مدينة كركوك النفطية إليه وذلك بعد اشتباكات عنيفة بين قوات الجيش العراقي النظامية وقوات (البيشمركة الكردية) الانفصالية انتهت باحتفاظ العراق بهذه المدينة ذات الطابع السكاني المميز المتكون كذلك من جميع الأطياف والأديان التي رسمت لوحة عراقية بل عشق شرقي متأصل عنوانه (التآخي)، وفيها كان يسكن فتى دخل لتوّه مرحلة المراهقة مع عائلته البسيطة المكونة من خمسة أشخاص لأب يدرِّس اللغة العربية في إحدى المدارس الثانوية.

كان ترتيبه الأخير بين إخوته، وزرع فيهم أبوهم قيماً ومبادئ لا تعترف سوى بالعلم أساساً للوصول إلى الأهداف النهائية. (الحمزة) كان أبرع إخوته في الدراسة وكذلك في صفحات الحياة، دخل المراهقة بعنفوان الشباب الطموح الجريء، وكان وسيماً للغاية وحديث بنات حارته. أما الرجال فكانوا يذهلون من صلابته وفصاحته وبلاغته رغم صغر سنه. كان عظيم الخُلق طيب القلب شديد القوة، وكان الأول بين أقرانه بامتياز لكنه يشعر بغصة!! فيما كان الصوت الجهوري لمقداد مراد[1] من خلال موجات الإذاعة والتلفزيون العراقي يعلو بإذاعة البيانات تلو البيانات محاولاً أن يضمّد جراح قلوب العراقيين ويشد من أزرهم بعدما تعودوا في صوته أن يسمعوا نشيد الانتصار والقوة التي طالما اقشعرت أبدانهم لقوله في حرب القادسية الثانية، أما في الرياض فكان سليمان العيسى[2] يذيع البشائر، ذلك الصوت بطبيعته دائماً، ما أثلج صدور السعوديون واليوم يعلن انتهاء الحرب.

(1) مذيعان مشهوران في بلديهما.

(2) مذيعان مشهوران في بلديهما.

كانت الطفلة تكبر يوماً بعد يـــوم إلا أن حالتـــها الصـــحية تراجعت كثيراً عما كانت عليه أول ولادتها فأصابها الهزال وارتفاع شبه دائم لدرجة الحرارة وتبدلت حالتها إلى بكاء مستمر وهي بعمر خمسة شهور. كثرت الزيارات إلى عيادات الأطباء حيث اكتشـــف آخرهم السر! كانت تعاني من خلع ولادي لا تُعرف أسبابه، أهـــو وراثي؟ أم خلال عملية ولادتها؟ أم في طريقة قطفها من البستان التي كانت تعيش فيه قبل ولادتها! أجريت لها عملية لإعادة عظمة الفخذ الأيسر إلى تجويف الحوض، وكان حليفها النجاح. ثم رُبط لها جهاز خاص يمسك بفخذها لمدة حددت بثلاثة أشهر وكان يجب أن يؤتى بالطفلة يومياً للمستشفى إن أمكن للتأكد من وضع الجهاز بصورة صحيحة. إلا أن وجهة نظر العائلة كانت تقلل من شـــأن العنايـــة الطبية المكثفة ما دفع بهم بعد الشهر الأول من الزيـــارات المتعبـــة اليومية إلى العزوف، والتردد أسبوعياً، وبعد انقضاء فترة العلاج نُزع الجهاز. السعادة لم تفارق وجهها ولا حتى جسدها بعدهُ، بـــدأت تلحن كالعصافير أغانيها الخاصة وتبتسم دائماً حتى وهـــي تحلـــم، تضحك بمجرد رؤيتها أي إيماءة لوجهٍ عابر مـــن البشـــر أو مـــن الملائكة، وبعد شهور قليلة استطاعت أن تقف على قدميها. بعـــد مدة وجيزة مشت وقد سبقها إلى ذلك أقرانها؛ (رامة) وهـــذا هـــو اسمها بدأت أولى خطواتها في الحياة بسعادة وهي تثرثر بصوت عالٍ وبلهفة وكأنها تقول للأرض: أنا الريم التي ستقفز في كل أرجائـــكً فرحاً وحباً ومرحاً، فانتظرني أنا قادمة. كانت بيضاء كالزهرة الـــتي تزين سماء الفجر رغم قربها من الشمس، الشمس التي تبعد عن زحل (حمزة) ملايين الكيلومترات.

كان حمزة حبيس عالمه الخاص (بل عالم العراق) بأحلامه وأمانيه، بدولته التي يفاخر بأنها تمتلك ثالث أقوى جيش في العالم. هنا تكمن ثورة غضبه (الغصّة) التي تفور بين أضلعه عشقاً وتكتم أحياناً أنفاسه وأخرى يذهب به الغليان إلى الجهجهة على الطائرات الحربية الأميركية التي تلوح في أفق العراق. يخيّل إليه أنه يسقط تلك (الطيور) الغاشمة بصوته. كان مهتماً بكل تفاصيل الحياة السياسية وكان مولعاً برمز الأمة العربية المهيب الركن صدام حسين، كما يحلو لهُ نطقها بفخر ويتبعها بعبارة (حفظه الله ورعاه) كسُنّة سنّها كل العراقيين تقديساً لمكانة هذا القائد العربي في قلوبهم، قائد هذا الزمان المتسلسل للقادة المسلمين الذين لن ينفك التاريخ، فخراً وشرفاً، عن ذكر بطولاتهم ومواقفهم وأقوالهم. الحمزة كانت عيناه تقدح شرراً كلما رأى بزة عسكرية وقلبهُ يخفق فرحاً كلما سمع إطلاق أعيرة نارية يحس بها تغاريد تهلّل له حين يمشي وسط أقرانه ويشعر بأن الرتب العسكرية موضوعة على كتفيه ويحلم باليوم الذي سيقابل السيد الرئيس ليقلده أنواط الشجاعة على صدره.

بعد ظلال الأزمة الخليجية التي عرفها العالم لوّثت مياه الخليج الفارسي بالنفط، هكذا يعّرف للعالم ويكتب في خرائطه، أما نحن فما زلنا نكذب على أنفسنا ونغرد خارج السرب!! بسببه أيضاً قد لوّث الإنسان العربي منذ زمن والآن دور الحاضنة الطبيعية لتأخذ نصيبها منه وتعاني. بعد انسحاب الجيش العراقي أتت التعليمات بأن تضرم النيران في آبار النفط ما شكّل غيوماً سوداً من الغازات السامة والدخان في السماء. كانت أرض الكويت هي المصدر الأول للتلوث العالمي في تلك السنة، ثم بعد تسعة أشهر من العمل العالمي المتواصل تم

إخماد تلك الحرائق كلها، لكن غيوم الشر المنبعث تحالفت كلها وغطت سماء بغداد التي بدلت مسمى الدولة من الجمهورية العراقية إلى جمهورية العراق، أما النسر الجمهوري (الشعار) الواقف فوق العبارة هذه فلم يرضَ بالواقع، ليحلّق إلى كبد السماء رغم صعوبة المهمة ويقرر مواجهة تلك الغيوم (السخام). السخام هو نفسه الذي يصيب أوراق النباتات فتأكلها الحيوانات البرية خطأ وقد افترس أحدها في يومٍ أسود من تاريخه (أسد بابل) ووقع في الشرك الذي كان يُحاك لهُ في واشنطن منذ لحظة وصوله للسلطة في زمن يطلق على الكذب فيه مصطلح (سياسة). أما زهرتنا فلم تتعرف بعد على فحوى هذه الكلمة.

خلال السنوات التي كانت فيها رامة تكبر، كانت تكبر طاقتها على إنتاج الفرح لكل من هم حولها. كانت طفلة لطيفة جداً وموالفة لكل الناس بطبيعتها الملائكية، كانت هي الشمس التي تغذي مخلوقات الله جمعاء دفئاً ونوراً منبعثاً، ورغم ذلك كانت طفلة شقية طويلة لسان، جريئة (نعم من ذلك النوع الذي يحرجكم أيتها السيدات والسادة) تخرج مع رضاعتها دائماً على الرجال في مجلس أبيها، وكأنها تعزف بمزمار، أحياناً يبكيهم بصمت وأسى، وأخرى يطرب قلوبهم ويرسم على شفاههم البسمة، وثالثة يفجر الضحك على وجوههم لتملأ القهقهات أرجاء الرياض كلها.

حمزة كان كالإعصار يكبر وتعظم قوته، لم يزر مكاناً إلا وترك آثاره عليه بوضوح مخلفاً أفواهاً تتكلم بسيرته، ولا تنفك العقول عن الإعجاب به، وهو كان يعرف قدر نفسه جيداً ولم يتوقف يوماً عن توسيع قاعدته الشعبية. في المقابل كان يزيد من مداركه وإثراء ثقافته

العامة، انتُخب عام 1993م في المرحلة الأخيرة من الثانوية (التوجيهي) رئيساً لرابطة الاتحاد الشبابـــي في المدرسة بعدما دعمه عمله في خدمة زملائه الناتج عن حبه للمساعدة والعلاقات القوية بالأساتذة، ومدير المدرسة عضو فرقة العروبة الذي دعمه أيضاً لكونه تابعاً لخلية تنتمي لفرقته البعثية في الموقع الجغرافي نفسه الذي تقع فيه ثانوية (الصمود)، إضافة إلى تفوقه الدراسي في المجال العلمـــي وإعفائـــه مـــن تأديـــة الامتحانات في كل سنة. كان القدوة بما للكلمة من معنى، وكان من الحرارة والضغط في روحه مصدر طاقة تفوق قدرة أي شخص على مجاراته، وهو حلقة الوصل بين الشباب والرجال. تـــراه مـــن بعيـــد كزحل تدور حوله أقماره (الواحد والستون) لقوة جاذبيـــة حقلـــه المغناطيسي. وبالطبع كان أكبر الأقمار سعد رشـــيد قائـــد الشـــعبة (تايتان)[1] أما الحلقات التي تميز الحمزة عن غيره (كما يحلو للأخـــير مناداته) وتجعل الناس تدور حوله فهي تسع: (العدل، الطيبة، الوسامة، القوة، الفصاحة، الأخلاق، التفوق، الإيمان والالتزام) إضافة لطاقتـــه الاحتفالية المتفجرة في المناسبات الوطنية وتمثيله لدور المنظم الحـــريص دائماً على نجاح كل منها، وأهمها وأقربها إلى قلبـــه تـــاريخ الثـــامن والعشرين من نيسان من كل عام (يوم ميلاد السيد الرئيس).

كان العراق كله يحتفل بهذا اليوم منذ انتهاء الحرب العراقيـــة – الإيرانية، فعلاً كان يوماً مميزاً في حياة كل العراقيين يرقبون فيه التلفاز ليلاً ليروا الأسد ملك الغابة وهو بأبهى حلة متأنقـــاً ســـعيداً بجميـــع طبقات الشعب حوله يحتفلون وإياه بتقطيع الكعكة وتبادل الهـــدايا، يعبرون له من خلال القصائد عن حبهم وفخرهم اللامتناهي به رغم

(1) أكبر أقمار الكوكب زحل.

البيئة السياسية المحيطة بتلك الغابة الطبيعية (العراق) والتي تهدد استمرار خضرة أشجارها أو جفافها في يوم ما.

رامة أو البطريق كما يحلو لأمها تدليعها تسحب الشحنات السلبية من أجساد من يعانقها لشدة توهج ضيائها كما هي فينوس[1] تعانق الفضاء وتسحب منه كل سواد. كانت شديدة التعلق بأبيها وترافقه في سيارته أينما ذهب وتأمره كل مرة أول ما تطأ قدماها المقعد بجانبه أن يشغل أغنيتها المفضلة. كانت تتراقص في العربة كزهرة البابونج عندما توضع في إناء صغير لكنها سترد لتربة الأرض خصوبتها بعدما تنتهي في يومٍ ما، وعند قفزها يتمايل رأسها خضوعاً لعذوبة الصحراء وموجات نسماتها الباردة ليلاً.

أنهى حمزة امتحانات الثانوية العامة بعد توقف الدراسة لأربعين يوماً (العطلة التي تُعطى للطالب) وتوقفه عن حياته العامة بكل أشكالها، قضاها فوق سطح بيته يدرس ويدرس وهو الآن صار قريباً جداً جداً من السير على أولى خطوات حلمه المنشود بتصنيع السلاح الذي يحلم به الرئيس حتى في صحوته، في ذلك اليوم نفسه هبّت عاصفة رملية قوية ضربت الرياض، كان مركزها بيت رامة التي بدت وكأن حياتها ستتغير وإلى الأبد بعد هذه العاصفة.

(1) إلهة الجمال عند الإغريق.

المنشور الثالث

الصياد وعروس البحر

أثناء إحدى العواصف الرملية الموسمية انتشلت الرياح زهرتنا البرية من جذورها النجدية، ورمت بها على أحد شواطئ مدينة جدة الساحلية (العروس)[1]، التي ارتدت وشاح البياض، واستعدت لزواجها كل ليلة من القلزم[2] بأهازيج لون الفرح الحجازي ورقص لاعبي المزمار بإبداع على أنغام ووقع الطبول الشعبية، في تلك المدينة العريقة يفوح دخان البخور عبر النوافذ إلى السماء الصافية تارةً وأخرى يبتسم الأفق للدخان المنبعث من النار! النار التي توقد في كل زقاق ويجتمع حولها الشباب مشكلين دوائر يرقص داخلها ثنائي بلباسهما الفلكلوري وعصواهما المزينين، أما جدران بيوت الحارات القديمة فيقطر من خلال شقوقها دهن عودٍ يشكر الأرض كل نهارٍ على استضافة أم البشر (حواء)[3] في أحد الأيام هنا.

في المساء عادةً يرتعش الخريف وقت الغروب، وعلى النقيض هناك كان المنظر يوحي بالحنان والدفء على الشاطئ، وطيور النورس كعادتها تودّع الشمس بقرير حناجرها مؤلفةً مع الرياح ألحاناً

(1) لقب مدينة جدة.
(2) اسم أطلق على البحر الأحمر قديماً.
(3) يُعتقد أن أم البشر حواء مدفونة هناك ولهذا سميت المدينة بجدة.

لسيمفونية هادئة تدفع بالأمواج نحو الزهرة التي كان يداعب نصف جذورها المد، أما البقية فقد غُرست في الرمل مصغيةً للحكايات التي تُروى وتدعو مسامعها للنزول والعيش مع الكائنات الأخرى الحمر هناك في قاع البحر الشاهد على تاريخ المسلمين العرب. ربما سَحرها تناغم ألوان البيئة الطبيعية لمدينتها الجديدة بالرغم من نعومة أظفارها وتواضع مُدركاتها الحسية. أحبت تلوين الرسوم الكرتونية في الكراسات بفوضوية، و لم تكتفِ بل راحت تلون حتى الحيطان البيض من حولها أينما ثقفتها، كانت تراها صامتة جامدة مبهمة ملبدة مشبعة بالفراغ، تزعجها تلك الصفات فتحاول أن تعطي الجدران فرحاً قد أسر صدرها الذي لم يصمد كثيراً حتى يوزعه على كل شيء حوله.

قطتنا البيضاء كانت تحب الخروج كثيراً إلى باحة المنزل القريب من البحر وترفع رأسها إلى معشوقتها ووطنها السماء تغازل جارتها الشمس قبل أن تلد هناك في البيئة الصحراوية. المدللة حين تذهب وعائلتها التي رزقت بطفلٍ جديد إلى الكورنيش كانت تطيل النظر في كل مرة بصمت إلى البحر مخلفة لذويها تساؤلات مفادها أنه لربما في أعماق طفلتهما شيء من الحزن بالرغم من كل الاهتمام الذي يولونها إياه والذي ترجمته السعادة المنبعثة منها دوماً! تسألها أمها ما بك يا حبيبتي أتخافين من البحر؟ تكتفي (باستيت)[1] بلغة القط متنهدة مسبلة يديها طاويةً رقبتها إلى إحدى كتفيها ونسمات البحر تلعب بشعراتها المسدلة فوق أذنيها وقت الأصيل. لم يعلموا أن هناك شيئاً أبعد من مدى بصرها، و لم تكن تعلم أن هناك خلف البحر في أعالي الصحراء التي شيد عليها الفراعنة أجمل أهرامهم صدى لأصوات قطط

(1) وهي إلهة الحب والخصوبة عند الفراعنة.

الحقول، تناديها في كل مرة وتطلب منها الرجوع إلى أرضها لتحكمها من جديد.

بعيداً هناك في الشرق أرض لا تقل شأناً عن أرض مصر هي (ميسوبوتاميا)[1] التي تعاقبت على حكمها حضارات عراقية علمت الأرض جمعاء مبادئ الكتابة، ونُقش أول دستور جمع قوانين البشر ونظم حياتهم من قبل ملك بابل (حمورابي)[2]، الذي حكم بلاد الرافدين ووحّدها وجعل منها إمبراطورية شملت كل العراق وأجزاء من بلاد الشام. حمورابي الثاني (صدام حسين) كان بعد تعرض دولته لتحالف أكبر من أي عدوان قد تتعرض له أي مملكة في أرجاء المعمورة على مر العصور مشغولاً بأعمار البنى التي تضررت؛ التحتية والاستراتيجية والأيديولوجية لكل من القطاعات: الخدمية، والعسكرية، والسكانية. أما الأخيرة فكانت أهمها والحلقة الأضعف قبل الحرب، حيث راهن الرئيس كثيراً على القومية العربية وإحيائها دائماً في نفوس العراقيين، بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية. لكنها خذلته عندما حمي الوطيس من تحقيق الهدف المنشود دائماً للشعب العربي ألا وهو تحرير دولة فلسطين وإعادتها قلباً نابضاً للجسد العربي ورمزاً لثقافته. القائد المظفّر عمل على تحويل الأيديولوجية (العربية – العربية) لكل مواطن في دولته إلى (الإسلامية – العربية)، وذلك من خلال الحملة الإيمانية التي أطلقها عبر وزارتي (التربية والتعليم) و(التعليم العالي)، مستهدفاً البعد الإيماني في روح المسلم العراقي تحضيراً منه للمستقبل البعيد، أو للجولة القادمة من الحرب،

(1) الاسم القديم لوادي الرافدين/العراق.
(2) هو أشهر ملك حكم العراق قبل الميلاد.

حيث نما التيار الإسلامي بتواتر لم يتوقعه أحد في كل البلدان العربية كما في العراق قبل الحرب، و لم يؤخذ بعين الاعتبار سبباً قوياً للنجاح العراقي على الصعيد الجيوسياسي في صراع القوى الشرق أوسطية.

لبس الحمزة وتأنّق ثم ذهب إلى مدرسته لاستلام نتيجة امتحانات المرحلة الأخيرة من الدراسة والتي جاء ترتيبه فيها الأول متقدماً، ليس على زملائه فيها فحسب، وإنما كان الأول على محافظته، وقد حصد المعدل الذي يؤهله إلى دخول أي قسم من كلية الطب والتي تعتبر حلماً لأي طالب علم في الدنيا. خلال العطلة الصيفية لم يكن متردداً من قراره المسبق دراسة التخصص الذي تمناه منذ الصغر (الفيزياء) بل كان مصراً عليه، وبالتالي كان أبوه من الداعمين له في قراره هذا لأنه يعرف أن تحقيق الأهداف الشخصية لن يتحقق إلا بعد إبداع الشخص في المجال العلمي الذي يحب. بعد توديعه الكادر التعليمي ظهراً قبل الخروج عرّج على باحة المدرسة الخالية إلا من السارية التي يرفرف علمها بهدوء والذي طالما شمخ عالياً مع صوت النشيد الوطني من لظى الحناجر الملتهبة ناراً في كل صباح، وقف ناظراً إليه بعزة ملقياً عليه التحية باعتداد وفي داخل صدره قد أفرد النسر الجمهوري جناحيه للهواء منطلقاً إلى رمز القوة العربية (العظيمة بغداد) قاصداً التسجيل في جامعة المستنصرية/كلية العلوم – قسم الفيزياء. المستنصرية المدرسة التي تأسست قبل نحو أكثر من سبع مئة وخمسين عاماً كانت مركزاً علمياً وثقافياً مهماً يقبل عليه الطلاب المتميزون من جميع البلدان الإسلامية حتى من الأندلس البعيدة جغرافياً، لكن حمزة، صياد الأسود، اهتز قلبه بين أضلعه هذه المرة وتشبثت روحه بجسده بعنف وكأن البرق ألم به عندما أقبل على بوابة

بغداد الشمالية. ماذا هنالك؟ أترى الخوف تغلب عليه أم هي الرهبة؟ نعم، إنها هيبة تلك المدينة التاريخية بأسوارها البابلية/العباسية وجيشها الأسطوري وعرين الأسد القوي الذي يتوسطها. بعد أيام أكمل أوراق اعتماده طالباً وانطلق إلى بناية القسم الداخلي في مجمع السكن الجامعي (البعث) قرب الجامعة.

بعيداً بعيداً، هناك على المحيط الأطلسي جنوب الأندلس إلى الغرب من أرض الرباط بنحو مئة كيلو متر تقع مدينة الدار البيضاء الساحلية الجميلة والتي كانت تعاني من بداية لتضخم معدلات البطالة بسبب توقف الكثير من المصانع وتسريح الكثير من الموظفين. (خديجة) التي فقدت عملها قبل سنة والآن هي في الطائرة تنظر من خلف الزجاج إلى جهة أحد الأحياء الفقيرة التي تقطنها، وقلبها يتمزق على أبنائها الذين تركتهم خلفها عند أمها ليقاسوا ما قاست عندما تركتها أمها وإخوتها الصغار في الريف ونزحت إلى المدينة سعياً خلف لقمة العيش، عيناها لم تتوقفا عن طرح سيل الدموع التي غزت وجنتيها بعد الإقلاع من مطار (أنفا) إلى حين انتهاء الرحلة الطويلة وهبوط الطائرة في مطار الملك عبد العزيز شمال مدينة جدة. استقبلها السائق وانطلق بها إلى بيت السيد محمد الذي طلبها لتعين زوجته في تربية أطفاله وإدارة منزله الجديد الكبير. خديجة (اللبوة الأطلسية) الحنون تعلم أنها تركت خلفها أبناء وبنات في المراحل الأخيرة من الطفولة ولكن تعلم أن القدر لن يحرمها من مواصلة العطاء، ها هي رامة أمامها تحدق بعينيها الواسعتين تجاهها بابتسامة شقت صدرها وسكنت قلبها منذ الوهلة الأولى. بعد أيامٍ قليلة تعلقت الصغيرة كثيراً بالقلب الكبير (خديجة) وصارت هي صديقتها المقربة.

أما حمزة فقد كوّن صداقات لا تُعد ولا تُحصى بطبيعته الاجتماعية الإيجابية داخل الحرم الجامعي وخارجه. أما عن الشق العاطفي في شخصيته فقد كان ولا يزال الرجل الأكثر جاذبية خصوصاً بعد بروز شاربه الأسود بكثافة. كان متوسط الطول، عريض المنكبين، ممشوق القوام، صلب الجسد، كثير الابتسامة التي أحياناً – إذا ما بالغ فيها مع الجنس اللطيف – تطمس عينيه تحت خديه وتُشكل تحتهما غمازتين تغزلت بهما سهى (إحدى المعجبات) دائماً. كان كثير الجلبة لقلوب الفتيات وسر سعادة أي بنت تطولها لسعات لسانه الساحر الذي يغرد باستمرار بأبيات شعرية غزلية (فصحى كانت أم شعبية) تدغدغ مخيلة هذه وتلك. يبدو أن بغداد أمدته بطاقة عالية مصدرها التيار الثقافي المتولد من تاريخ هذه المدينة الإسلامية الثرية بالأدب العربي وجغرافيتها التي ولّدت في من سبقه شاعرية لا مثيل لها تتجلى في كثير من قصائد شعراء العصر العباسي. كان يقتبس منهم ما يساهم في زيادة قوة وجاذبية حقله المغناطيسي المستقطب لكل الإناث للوقوع في غرامه، لكن واحدة قد عصت عليه الآن....!

مرت السنوات تلو السنوات وكبرت رامة وأُدخلت رياض الأطفال وقد تعلمت هناك كيف تلون بهدوء وتتحكم بعاطفتها الفنية إزاء تلك الرسوم التي طالما نادتها. كانت لخديجة موهبة قديمة قد هجرتها منذ مرحلة الطفولة ورأت (ريّوم) كما يحلو لها تدليعها تمتاز بتلك العاطفة نفسها للألوان، كانت تشجعها دائماً رغم انشغالها في إدارة المنزل والاهتمام بمرافقه مع والدتها (البستان) الذي تنوع إنتاجه من الزهور، وأصبحت تمتلك وزوجها أربعة أنواع مختلفة، آخرها

كان (الصبي) الذي كان له أربع حاضنات؛ (الأم، الجدة، المربية وآخرهن طبعاً ومن غيرها، الشقية..... رامة). كان الولد الوحيد في المنزل وشمعته، يجلس دائماً وحوله نون النسوة – النسوة اللاتي كان الصياد في بغداد يتخيّر أجملهن وأصعبهن.

(هند) هي من عصت عليه وعذبت غروره لثلاث سنوات بكبريائها كانت تمتلك جمالاً عربياً خالصاً من نوع فريد يوجد فقط في حكايات ألفُ ليلةٍ وليلة، أوصافها (سمراء واسعة العينين كحيلة، ناعمة الأطراف طويلة، شعرها التمري المسدل يغطي شعاع الشمس إذا انتشر). كانت إحدى نخلات بغداد الشامخات، على مستوى عالٍ من الثقافة. قضت معظم فترة دراستها في لندن إلا أن خوف والدها (اللواء) عليها وإخوتها من التطبع بالثقافة الغربية هو ما دفعه للعودة بهم لدراسة المراحل الأخيرة من الثانوية في بغداد قربه وقرب عرشه الذي بناه خلال خدمته العسكرية الطويلة. كانت عائلتها تعد إحدى طبقات مجتمع بغداد المخملي من أصول تنتمي لتلك النازحة من إحدى المدن غربي العاصمة، تدرس الطب. لم تؤثر عليها فيزيائية الكوكب زحل (حمزة) فتشكل على سطحه نوعان من الغازات هما (الهيدروجين والهليوم) اللذان يجعلان من نفسه أمامها خفيفاً، متفجراً، سريع الاشتعال، لا فلزياً! بالرغم من كل محاولاته الحثيثة البائسة. نعم فهي ليست مثل شيرين ولا سامية ولا حتى زينب اللاتي أتعبنه في كركوك ثم استطاع عليهن بالحيلة.

بعد امتحانات نصف السنة في قسم الفيزياء أتت لجنة من هيئة التصنيع العسكري تبحث عن الطلبة المجتهدين الراغبين في الانتماء، كان أميزهم (هو) وافق على الانتساب فور تخرجه من الجامعة

والفرحة داخله لا يسعها إلا أفق هذا الكون... من جهة أخرى، كان الأب طيلة فترة العطلة الصيفية يسأل عن مدرسة نموذجية لابنته لتأخذ من بحر المعرفة ما هو أنقاه لعلها في يومٍ من الأيام تصبح طبيبة. وقع اختياره على مدرسة البيان النموذجية للبنات في حيهم (الأندلس) ليس لقربها وإنما لسمعة الكادر التدريسي اللامعة على مستوى المملكة، ثم بعد فترة ها هي رامة في اليوم الأول من الدراسة تترنح باكراً كالغزال مرتدية حقيبتها المدرسية، يصك صوتها جميع أرجاء المنزل مودّعة كل العاملين فيه وكأنها ذاهبة في رحلة طويلة إلى القمر.

تخرّج حمزة وهو في هذه الأثناء يقضي الأيام الأخيرة من خدمة العلم (العسكرية) في (مدينة بابل) مركز تدريب المحاويل كجندي مدفعية! يا للصدفة ترى هل يتحقق حلمه في المستقبل القريب بصنع (المدفع العملاق)؟

المنشور الرابع

مدرسة الأيام

اجتازت رامة أسوار المدرسة الابتدائية ورجلاها تقفزان فرحـــاً يترجم ابتسامتها اللطيفة. لم تعلم أن والديها كانا في قمة السعادة التي تشعر بها الآن، الأم والمربية عرجتا بها إلى مكتب المديرة، وهما في الممر سعياً إليها سمعا صراخ امرأة توبخ أحداً ما ولما اقتربن أكثر رأت منظر الطالبات المعاقبات (اللواتي يكبرن رامة بسنوات) وهن يتألمن جـــراء ضرب العصا على أكفهن! يتوسلنها ألا تخبر أهاليهن بما جرى وقـــد وعدنها أن لا يتجاوزن قواعد المدرسة مرةً أخرى. عندما سقطت عينا الست (رفاء) على الطالبة الجديدة راحت تحاول تغيير نظرة الطفلـــة الأولى إليها، فتحت علبة الشوكولا وأحنت ظهرها تقـــدم بابتســـام ولطف لرامة عربون الصداقة. رفعت رامة عينيها إلى أمها، وبحركـــة تعبيرية هزت الأم رأسها إيذاناً بالقبول، رجعت الابتسامة إلى وجـــه رامة، مدت يدها ثم شكرت المعلمة بعينيها كذلك. جلسن عنـــدها وبعد القيام بضيافتهن قالت تفضلوا لنذهب إلى الصف، بعد وصولهن إلى نهاية الممر المؤدي للشعبة فتحت الباب وقالت للمعلمة الأخـــرى: قدميها للطالبات، فرددت: رحبن معي بالطالبة الجديدة رامة محمـــد. بعد تصفيق الطالبات كان المقعد ينتظرها وأمها تقول لهـــا هامســـةً: أأبقى معك اليوم؟ وبكل ثقة تحرك رأسها نافيةً، كررت: أأبقي خديجة

عندك يا ابنتي؟ ردت بصوت زعول وحاجباها قد استويا بغضب طفولي: كلا، أريد أن أدرس! نعم قالتها بعفوية الأطفال الملائكية ما أدى بأمها لاحتضانها وتقبيلها، وكان شعوراً يصعب شرحه للمشاهد حين يرى دمعة بأثر بسمة (دموع الفرح). خرجت الأم تلوح لابنتها مودعةً وكذلك خديجة بينما المقعد بات جاهزاً للانطلاق بالمغامرة المنتظرة إلى الفضاء.

كانت أول حصة تحضرها مادة القراءة (العربية) ومنها يتعلم الطالب من خلال المعلم كيفية نطق الأصوات وكتابة الحروف وكذلك حب المادة من عدمه، أما النظرات الطفولية المتكررة من جميع الطالبات إلى طفلةٍ جديدة فكانت مضحكة في كل لحظة وكأنها أعين محفورة برؤوس عصافير تلتفت سويةً وبالسرعة نفسها. ظلت جالسة بعد الفراغ من الحصة الأولى وكذلك الثانية إلى أن اقتربت إحدى الطالبات منها وقالت لها: هيا نخرج لأريكِ المدرسة، وافقت وخرجتا. وهي تمشي وتنظر إلى تلك الحيوانات الأليفة وإلى أنواع الزهور التي تمشي مثلها تارةً وأخرى تراها مرسومةً على جدران الممرات النظيفة، نعم هكذا كانت القطة رامة كل يومٍ تسرح في خيالاتها وكأنها في مسلسلٍ كرتوني تعيش في هذه الغابة الجميلة المكونة من كل الألوان والجنسيات والأطياف واللهجات في هذه المدينة السعيدة. في المدرسة أصبحت (هدى) هي صديقتها المقربة، كانت تتكلم لهجة حجازية أصيلة خاصة بأهل جدة وربيعتها رامة تتعلم منها معاني تلك الكلمات وتدلها بعد أن تسأل أهلها على مرادفاتها في لهجة نجدٍ العذبة.

بعد مرور شهرٍ كامل لمباشرتها الدوام كانت السعادة والحماسة طاغيتين على وجه (رورو) كما تناديها (هدى). تسابق زميلاتها في

الإجابة عن أسئلة المعلمات وكذلك الكتابة على السبورة. لكن في أحد الأيام لاحقتها بنت تكبرها وظلت تؤشر عليها وتقول: انظرن إنها (عرجاء) إنها (عرجاء) وتضحك باستهزاء هههه. خافت رامة من صوت الضحك المرتفع المستنسخ وصارت تعدو بسرعة، أرعبتها تلك الكلمات التي لاحقتها إلى الصف، وأخذت زميلاتها يرددن لحن الألم المزعج نفسه ولا تعرف لماذا يفعلن ذلك. قالت لهدى وهي ترفع مريولها: انظري إلى قدمي فهي مجروحة!! وليس كما يدعينَ. أتتها لمى مسرعة والشر يقدح من عينيها: هيا أرينا قدمك. نزعت حذاءها وكذلك الجورب و لم يكن هناك شيء! أمست تتلمس ساقها وتبحث عن الجرح صعوداً، (الجرح) الذي طالما آلمها قبل وبعد فتحه، كانت أمها تقول لها دائماً: سوف يشفى! ارتبكت رامة كثيراً وضاقت أنفاسها وصارت يدها تتلمس أي شيء قد يخرجها من تلك الحفرة التي وقعت فيها. هدأت قليلاً حين تذكرت أن أعلى فخذها الأيسر هو مصدر ما كان يقصدنه أولئك الحمقاوات، أصفرّ وجهها وتمنت أن تنشق الأرض لتعود إلى تلك الحفرة. وضعت كفها على مصدر الألم وصمتت بعد ذلك المشهد طويلاً.

طوال تلك الفترة التي أعقبت الحادث كان عقلها الباطن يحلل كل فراغ لم تفهمه في مجموع المشاهد التي كان يصر أهلها أن يتدخلوا بأبعادها ويحذروها دائماً من التكلم مع الغرباء، وأيضاً يحلل تلك النظرات العطوفة من الناس في السوق. كان يخيّل لها أنهم يعرفونها لشهرتها التي قد سمعوا بها، لجمالها أو لذكائها كما كان أهلها يمدحونها... الآن أدركت لماذا جميع الأشياء التي رأتها سابقاً تشبه الموج وهو يتكسر على أحد تلك الصخور، وأدركت أن تلك الأشياء

كلها لم ترقص يوماً على غنائها وأدركت أخيراً لماذا كانت تخاطب البحر دائماً فهو يشبهها؛ جميل من بعيد مخيف عند الاقتراب. عند النوم كل ليلة كانت تحضن ساقها وتبكي، ليس لوجعٍ وإنما لأنها لا تشبه الأخرى. خلال تلك السنة قلّت مشاركاتها في الكتابة على السبورة وحين يتوجب عليها ذلك تشعر بخجلٍ شديد يخدع المعلمات. ينبهرن دائماً من ذكائها ودائماً ما يسألنها أن تنسى الخجل وتُقدم على المشاركة. مرت تلك السنة دون عنوانٍ يذكر، درجاتها المدرسية جداً عادية عكس مستواها الحسي والإدراكي العالي. كانت شاردة تدرس في مكانين وموضوعين مختلفين، الدراسة الأكاديمية ومدرسة الحياة. كان شاهدها في ذلك عيناها اللتان تنقلان لها كل صورة تشبه أو تتعلق بساقها إلى فكرها المتقد، وتمنت أن تقع ساقها من مكانها كما تقع أسنانها الأمامية الآن... وبدورها ترفع يدها إلى الشمس لتهديها تلك الأسنان وكذلك الساق وتقول للشمس: هاكِ ما عندي وأعطيني سن/ساق الغزال. أخيراً باحت لأهلها مشتكية من أن الجرح رجع يؤلمها مخفيةً تفاصيل ذلك اليوم الذي لا يُنسى، وكانت ترمي بنفسها على الأرض كل يوم على ساقها أمام أهلها بتمثيل جيد، أو في باحة البيت بتهور... علّ إحدى تلك القفزات في يومٍ ما ترجع آلام الطفولة التي تراودها في واقعها أحياناً قبل منامها.

أهلها يعلمون أن ابنتهم تعاني من مشكلة في تجويف الحوض تحد من حركة ساقها أحياناً وينتظرون بلوغها سن الثامنة ليجروا لها العملية التي يعلقون عليها الآمال. من خلال التلفاز رأت تقريراً عن الخيول أحبته كثيراً، وزاد تركيزها رغم أصوات أخواتها العالية ولعبهن حولها حين تطرّق ذلك التقرير إلى إصابات الخيول في سيقانها بكسر

قد يقضي على حياتها. تولد الخوف حينها في صدرها وأصبح هاجساً لا يغادر مخيلتها، وكانت تتألم بضرب الأمثلة من البيئة المحيطة لها خلال مشاهدات سابقة. عرفت أن ذاك الرجل الذي يجلس على كرسي مدولب ليس بدافع التسلية! وتذكرت ذاك الهر التعيس الذي يمشي على ثلاث أرجل في الجوار، وكذلك الكلب الضال حين كان وجهها ملاصقاً لزجاج السيارة في أحد الشوارع ليلاً، وحتى طائر (الفلامنجو) في حديقة الحيوان وهو يقف على إحدى ساقيه. عندها أحست بجميع الآلام اليومية لتلك المخلوقات التي لا تستطيع البوح بها إلى أحد في هذا العالم ولا حتى هي! كانت الفرشاة والألوان من تحاكي أوجاع صدرها وترجمها، تغيرت رسومها كثيراً وكذلك الألوان المفضلة إلى القاتمة وتبدلت الأشياء التي ترسم على الورقة إلى شيء واحد دائماً، إلا أنها في المرحلة الثانية استعادت التوازن وبرعت في الدراسة وكذلك على مستوى تفاعلها الاجتماعي بحذر مع البنات الأخريات. كانت الجندي المجهول دائماً في الامتحانات، تسأل المعلمات: من هي رامة محمد؟ ثم يحثثنها على المشاركة في اليوميات كي لا يهضم حقها في الدرجات. مرت كذلك هذه السنة واحتلت المرتبة الأولى على باقي الطالبات وكُرمت من قبل إدارة المدرسة. في تلك السنة كانت ترى الست (رفاء) كذلك تعاني أغلب الأوقات، تراها متعبة مشتتة الذهن لا تعلم هل أن هم المديرة أكبر من همها أم ماذا؟

فلنذكر لكم القليل عن حمزة، بعد براعته في الأشهر الأولى بوظيفته وبعد الإبداعات على مستوى الفيزياء الميكانيكية في حقول العمل التابعة لمنشأة (القعقاع الصناعية العسكرية) في إضافة أفكار

جديدة تعزز من قوة ودقة ومدى المتفجرات التي تصنع هناك تقـــرر إعفاؤه من العمل وذلك بعد سنة وإلحاقه بأحد المجاميع التي ترسل سراً إلى الخارج لغرض الدراسة، ظاهرهـــا أفـــراد ينتمـــون إلى إحـــدى القنصليات العسكرية أو الثقافية كموظفين في تلك الهيئات أو البعثات الرفيعة المستوى أو غيرها. درس في وزارة الخارجيـــة مـــا يدرســـه الدبلوماسي طوال ستة أشهر، لم يتردد، خصوصاً أن الفكـــرة هـــي خدمة علم العراق الشامخ وقد نادته نجومه الخضر الثلاث والذي قد يكون (هو) أكبرها أو تعلق كلها على صدره في يوم ما، وذاك هـــو الحلم القديم الجديد.

السندباد في موسكو

التاريخ: 2001/9/9م

الساعة: 10:34 صباحاً

المكان: مطار دوموديدوفو الدولي

على ركاب الرحلة رقم (177) المغادرين على متن الملكية الأردنية التوجه فوراً إلى الطائرة!!

كان هذا صوت النداء الأخير لعاملة الراديو في المطار الواقع إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الروسية موسكو... مهلاً، هناك من بعيد رجلٌ يركض يحمل أكياساً بفوضوية! كان ذلك حمزة المشاكس وقد اشترى للتو هدايا من سوق المطار، لحظة دخوله الطائرة اعتذر من الطاقم ومن سعادة الوكيل الذي كانت عيناه تقدح شرراً وهو مستمر في قراءة الجريدة دون أن يتفوه بشيء. جلس حمزة في مقعده ضمن مجموعة من إحدى عشرة شخصية دبلوماسية تجلس خلف مقاعد الدرجة الأولى التي يشغل أحدها الدكتور عبد الرزاق كامل الكبيسي الوكيل الأقدم لوزارة الخارجية العراقية. بعد إقلاع الطائرة واستقرارها في الجو بعد الساعة الأولى من الرحلة عادةً يشغل الركاب وقتهم بالقراءة ومتابعة شاشات

العرض أو النوم لحين انقضاء الساعات الطويلة للرحلة قبل الهبوط بسلام.

بعد تجاذب أطراف الحديث مع أحد الزملاء ونوم جليسه مد يده إلى جيبه وأخرج الجواز الأحمر (الدبلوماسي) وراح يحدق في ملامح رفيقه (النسر الجمهوري) بكل اعتزاز وفخر ثم بدأ بتصفح أوراقه وتصفح الأيام الطويلة التي قضاها هنا. خطر بباله أن ينظر إلى تاريخ دخوله روسيا وقد كان في 1999/5/24م. تذكر كم كانت معلوماته ضئيلة عن هذا البلد العظيم رغم مطالعته لتاريخ وجغرافية العالم كله بشغف، فقد كان يعرف روسيا سابقاً فقط عن طريق روايات العصر الرومانسي وبعده بحقبة الاتحاد السوفيتي بالجيش الجبار الذي حبب شخصية جوزيف ستالين إلى حمزة في الحرب العالمية الثانية كثيراً، وأيضاً الشيشان – إقليم الشيشان الذي برز أسمه بعد أم المعارك[1] كقوة مسلمة تريد التحرر من روسيا والاستقلال عنها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي المريض. تحقق ذلك بعد انتخاب (جوهر دودابيف) رئيساً للبلاد وسرعان ما دخلت إلى تلك المنطقة صراعات عنيفة دامية بين الجيش الروسي والمقاتلين الشيشان، إلا أن الأوضاع ما لبثت حتى تحولت إلى صراع ديني بعد قصف الطائرات الروسية للمدنيين المسلمين ودخول المجاهدين العرب لنصرة إخوانهم في الدين ليُصب الزيت على النار من جديد لكن ليس في أفغانستان بل حتى هنا لتتجدد العقدة الروسية من هذا التيار الذي أهان كثيراً سمعة السوفييت سابقاً، إلى أن تم توقيع معاهدة السلام بعد تدمير مدينة

(1) أم المعارك: اسم المعركة كما يسميها العراق إبان حرب الخليج الثانية.

(غروزني) تماماً جراء القصف المستمر من قبل الجيش الروسي وانتهاء الأزمة في صيف 1996م.

لم يعلم حمزة أن موسكو مدينة كبيرة لا تنام، مكتظة السكان وعريقة، احتُلّت أيضاً كبغداد من قبل المغول وتوالت عليها حقبات مزدهرة وأخرى صعبة. موسكو كما تدعي الخرافة (مولودة من النهر) أصلها من الماء بنتها القبائل السلافية في القرن العاشر للميلاد، كانت عاصمة الدول التي توالت على حكم روسيا: دوقية موسكو وروسيا القيصرية والإمبراطورية الروسية وأخيراً عاصمة للاتحاد السوفيتي العتيد. (خامزا) كما يناديه الروس انبهر بـ (روما الثالثة)[1] التي لا يعرف إلا القليل من مفردات لغتها ومعالمها الحضارية الغنية فقد امتزجت الثقافات المكونة لها الآن في أفضل صورة، تجلت في الهندسة المعمارية الحديثة والمباني العالية والكاتدرائيات التي أعيد بناؤها بعد انتهاء فترة الحكم السوفييتي الذي قضى بدوره على أغلب ملامح الهندسة الدينية التي اشتهرت بها البلاد سابقاً. بعد انتهاء فترة دراسته للغة وإتقانها دخل جامعة (ميخائيل لومونوسوف) كطالب ماجستير في كلية الفيزياء وباحثاً في معهد البحوث العلمية للميكانيكا. عرفه الطلاب بشخصية وهوية مغايرة عن الأصلية كطالب عراقي عادي يدرس على نفقته الخاصة يقيم في الأردن وعائلته، أحب فكرة الدراسة في روسيا على أساس التكلفة المنخفضة وحب الاطلاع على ثقافة هذا البلد.

كان يتحاشى الاختلاط بالطلبة إلى حدٍّ ما إلا أن (ناتاليا بريجنييف) ذات العشرين ربيعاً طالبة كلية الفلسفة أعجبها هذا الرجل

(1) أُطلق على موسكو هذا اللقب بعد فتح القسطنطينية (إسطنبول الحالية) باعتبارها مركز الكنيسة الشرقية الجديد.

العربـــي الحنطي. وقعت عيناها عليه صدفة عندما كانت وصديقاتها في حديقة (غوركي) العامة وسط المدينة حيث باحت إحداهن: (يـــا إلهي كم هو وسيم). أشعلت في نفسها الغيرة والخوف تلك الكلمات من أن تسبقها إحداهن إليه فأقبلت تلك الشـــقراء تحتضـــن كتبـــها والضفيرة الطويلة الذهبية تضرب أسفل ظهرها. وقفت فوقف، حيته فرد التحية بابتسام ثم قالت: أأستطيع الجلوس معك؟ كان يجلس أمام نافورة المياه التي كانت جميع حواسه مشغولةً فيهـــا: بـــالطبع بكـــل سرور. ثم جلست إلى جانبه. بعدما تعارفـــا استشـــهدت بمقولـــة الفيلسوف الإغريقي (أفلاطون) "إن الرجل والمرأة سابقاً كانا جسداً واحداً قبل أن يفرق بينهما البرق في أحد الأيام لكن هذا الانشـــطار بين الجنسين أضعف قوة هذا المخلوق ذي الرأسين وصار لزاماً علـــى كل نصف أن يبحث عن نصفه الآخر ليعانقه ويستعيد بذلك العناق القوة المفقودة" ثم عانقته!! لحظتها لم تعانق جسده فقط وإنما روحـــهُ المهاجرة بين الأرواح الغريبة حولهما. رغم احتياجه إلى حضن يحتويه إلا أنه مثّل البرود وعدم التفاعل، ولو أن أحداً ما كان خلفها عنـــدما أغمض عينيه من الراحة لعرفت أنه يكـــذب. لم تعلـــم أن العـــرب خجولون بشأن إظهار مشاعرهم العاطفية الدفينة حتى أمام أزواجهم.

تصاحبا بعد ذلك اليوم وأخذت على عاتقها أن تقـــوم بـــدور المرشد السياحي له كلما لاحت فسحةٌ لذلك لتعرّفه أكثر على معالم (بيضاء الصخر)[1]. عرف من خلالها أيضاً أن الروس يفتخرون كثيراً بتاريخهم وبالانتصارات في الحروب التي خاضوها، وكذلك يفاخرون بنسائهم كثيراً لما يتميزن به من غزارة الثقافة. هو كان يعرف أن المرأة

(1) تسمية قديمة لموسكو دلالة على طبيعة أرضها.

الروسية من خلال النصوص الأدبية التي قرأها تتميز بأنها وفية لزوجها، إلا أنه قرأ فيما بعد أن الثقافة السوفيتية أفسدت عقولهن، ومحت الأنوثة ومعتقدات أخرى كثيرة. سحرته طبيعة المدينة وأوراقها الخريفية الصفر التي تشبه كثيراً شعر ناتاليا وكذلك خضرة أشجار الربيع التي لها وقع عيني (إليانا) نفسه في الروح. تعرف إلى الأخيرة بعد شتاء طويل ممل يغطي البياض فيه معظم أراضي روسيا، أحب المطبخ الروسي كثيراً من خلال طبخ إليانا اللذيذ. حمزة متعدد المواهب والمتقن للغات عدة: (الإنكليزية، الكردية، التركية) أتقن أخيراً لهجات النساء اللاتي تعرف إليهن (أولغا، سفيتلانا، نادية.... إلخ) من جميع الأراضي الروسية مترامية الأطراف متعددة الثقافات والفنون. طوال موسم الشتاء لم يرَ القمر الذي يحبه بسبب الغيوم شبه الدائمة وما حاجته له وأقمار كثيرة تمشي على الأرض تنجذب إليه، تشبه أقمار زحل الأربعة والستون التي تدور حوله.

حين اصطحبته إحداهن لزيارة المتحف الفضائي القومي وقف أمام نصب (يوري غاغارين) أول رائد فضاء، والمذكور في كتاب العلوم الذي درسه عندما كان صبياً في السنة نفسها التي أطلق فيها العراق أول قمرٍ صناعي عربي، وتساءل: هل سيمتلك العراق محطة فضائية استكشافية على غرار الدول العظمى؟ قاطع سرحان ذهنه ذاك صوت مساعد الكابتن من خلال المذياع وهو يقول: نحن الآن نحلق فوق أرض مطار الملكة علياء، سرعة الرياح كذا ودرجة الحرارة كذا.... إلخ، بعد النزول من الطائرة استقبلهم سكرتير القنصل الثقافي في سفارة العراق لدى المملكة الأردنية الهاشمية وانطلق بهم إلى دار الضيافة التابع للسفارة، على أن يسافروا بعد يومين مرة أخرى براً إلى

العاصمة العراقية، وحمزة أخيراً قد ظفر بشهادته والخبرة المرجوة للعمل المهم القادم في خدمة بلده العزيز والذي سيفجر أحد نجوم المجـــرة أو يحصل على لقب نجم الأرض قريباً على يد هذا البارع (السندباد).

في أثناء رحلتهم إلى بغداد أدار السائق الراديو عصراً بعد تكرار شريط الأغاني مرات عدة وكان المذيع يصيح ويشوب صوته الـــذعر والدهشة والرهبة يقول: إن عاصمة المال العالمي نيويورك تتعرض الآن إلى غزو!! وقد تحطم برجا مركز التجارة العالمية وهجمات أخـــرى على المباني الحكومية وطائرات أخرى في طريقها إلى البيت الأبـــيض وكافة الوزارات الأميركية الحساسة، إنه حقاً يوم الحساب!!

النجم الأحمر

في أواسط ثمانينيات القرن العشرين الميلادي وفي المرحلة الأخيرة من الحرب الباردة قامت وكالة ناسا الأمريكية بتجربة لاستقطاب نيزك كبير لأهم النجوم المتفجرة قبل 1405 سنوات في إحدى المجرات القريبة من مجرتنا عن طريق تحفيز المجال المغناطيسي لبقعة معينة من الأرض ونتيجة لتلك الحماقة ظهر شعاع ضوئي هو عبارة عن شهاب اخترق غلافنا الجوي وضرب منطقةً ما أواسط آسيا في بلاد الأفغان. قبل أن يختفي النيزك الكبير صهر التربة تحته مخلفاً قطعة كبيرة من التكتيت![1] تجانست هذه المادة مع التربة بمرور السنين وأنبتت رجالاً أشداء لا يهابون الموت. كانوا يتدربون كل صباحٍ ومساء بالآلاف في قاعدة أُسست مجدداً من قبل العرب لتحرير البلاد، ولكن بعد مرور سنوات من مقاومة الروس، انهار الاتحاد السوفيتي وتجلى ذلك الحجر الأسود أكثر وشذ في فكره وراح ينفي كل الثقافات والأفكار والمذاهب الأخرى بالقوة، ثم أعلن عن إنشاء ما أسماه (القاعدة) التنظيم الذي أعتبر الولايات المتحدة الأميركية هدفه القادم لأنها

(1) وهي المادة الأرضية المنصهرة الناتجة عن تأثير الحجر النيزكي، بعد أن تبرد تتصلب مشكلةً جسماً، عادةً ما يوضع جزء منها في الحلي والخواتم وهي حصى مرتفعة السعر لندرتها.

السبب الرئيسي في الويلات التي مرت على جميع شعوب الدول الإسلامية (حسب ما كان يعتقد التنظيم). وفعلاً ما هي إلا أشهر معدودات حتى بدأت الهجمات العسكرية النوعية ضد المصالح الأميركية في الشرق الأوسط وانتهت بأعظم حدث هز العالم في تدمير برجي التجارة في قلب أمريكا النابض – نيويورك من قبل طائرتين مختطفتين. إلا أن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن أعلن نفيه المسؤولية عن الاعتداء الذي أودى بحياة أكثر من ألفي شخص بريء عبر قناة الجزيرة إلى العالم. ربما كان الحلم الذي أرّق ضمير الأمة في تحرير الأقصى قد بات سراباً وهو الذي يعد النقطة الخامسة والأخيرة في أجندة التنظيم. لكن الثابت أنه كابوس الإسلام اليوم.

كان تلفاز إدارة مدرسة البيان يذيع الخبر في الحجرة إلا أن أصداءه كانت ترتطم بجميع جدران المدينة وترجع إلى رأس مديرة المدرسة النموذجية الست (رفاء بن لادن) أخت أسامة، التي طرحت الدموع ألماً عليه يشبه إلى حدٍّ بعيد ألم رامة النفسي كل تلك السنوات، ومعاناتها من الإعاقة الجسدية التي أصابت رجلها. حتى بعد نجاح العملية بقي أثر الإعاقة النفسية في روحها التي لم يخففها إلا حفظ أجزاء مباركة من القرآن. قبل سنتين وفي عطلة الصف الثالث تحديداً خضعت رامة لهذه العملية الجراحية الناجحة حيث تم استبدال المفصل بآخر صناعي لضعف الأصلي وعدم مقاومته للمرونة العالية التي تملأ أجساد الأطفال بالطاقة والحيوية والفرح، إلا أن الكلمة الأخيرة تضررت كثيراً في نفسها خلال سنوات دراستها. بدأت أمزجتها النفسية والعقلية تميل إلى السواد والعدوانية أحياناً، وأخرى إلى حد النرجسية المطلقة. كانت تلك الصبية مخلوقاً بدأت سمات

شخصيته العميقة بالتفجر والظهور جلياً مع توسع قـــدراتها الحســـية خلال السنوات الفائتة. الأخت البكر كان لها عالمها الخاص وأيضـــاً خصوصيتها عند العائلة، لم يكن أحد يعرف حقيقة مشاعرها ومـــا كان يدور في ذهنها إلا أن والدها كان يستنتج ردود فعلها الســـلبية أحياناً ويقرأها. كان قريباً منها أكثر من قربه إلى إخوتها لكنه صـــار أكثر انشغالاً بعد افتتاح شركة المقاولات والإنشاءات في عام 1999م. وأصبح عليه لزاماً التوفيق بين عمله الحكومي وعمله الخاص والاهتمام بعائلته ومشاغل الحياة الأخرى، لكنه ترك الأولى بعد ســـنتين مـــن الاجتهاد والتقصير تجاه عائلته على وجه الخصوص.

مرت السنوات تلو السنوات بعد أحداث أمريكا سريعاً علـــى الشرق الأوسط الذي كان يستعد هو الآخر للحملة المتوقعة عليه بعد أفغانستان وخصوصاً بعد الإطاحة بنظام طالبان هناك، إلا أن خارطة الشرق الأوسط الجديد تبدأ من البوابة الشرقية للـــوطن العربـــــي (العراق) الذي أنهك جسده سياسياً واستنزف عســـكرياً وعُـــذّبت الإنسانية فيه بموت ما يقارب مليون طفل من الجفاف ونقص مستمر في الأدوية جراء الحصار الشديد في سنواته الأولى. فسقط العراق بيد المحتل أخيراً وقُبض على رئيسه في نهاية العام نفسه 2003م. العام الذي يبدو أن رياح التغيير القوية فيه وكأنها تنبعث من العراق الجديد نحـــو جميع الدول المجاورة عسكرياً بطريقة العنجهية الأميركية نفســـها، إلا أنها ضُربت من قبل متطرفين بعد شهر واحد على احتلالهـــا العـــراق هناك في العاصمة السعودية (الرياض) بتفجير مجمعات سكنية لأجانب أعلنت القاعدة عن تبنيها. يبدو أن الملابس العسكرية الأمريكية الـــتي دخلت أفغانستان كانت تعجب حجر التكتيت كثيراً الـــذي بـــدأ

بملاحقتها أينما وجدت، ويبدو أيضاً أن الثقب في نفس وأعماق الصبية الذي خلفته العملية الجراحية لا يشابهه إلا الثقب الأسود في الفضاء، فهي أيضاً وقريباً ستبتلع العالم قبل خروج المهدي، لكن بقوتها الخاصة والذي أعطى إشارات لوجودها على الأرض النجم الأحمر الذي ظهر مؤخراً في السماء.

المنشور السابع

"السيف"

المدفع العملاق

كان الدكتور (جيرالد فنسنت بول) المهندس الكندي الرائد في مجال المدفعية منذ سبعينيات القرن الماضي يسوّق لمشروعه (المدفع الطويل) الحلم الذي كان يداعب مخيلته منذ أن كان طالباً في جامعة (كوين) تزامناً والحرب العالمية الثانية التي كان مبدعها (جوزيف ستالين) بفضل نجاعة مدفعيتهِ التي يقدسها ويصفها دائماً على أنها (إله الحرب). ظل بول يعرض فكرتهُ بادئاً بالقوى العظمى وعلى رأسها الولايات المتحدة والتي لم يثرها أبداً امتلاك مدفع قادر على إطلاق قمر صناعي إلى الفضاء، لكن الدكتور البارع لم يقف حتى وصل إلى القوى الناشئة التي تطمح أن تكون من ضمن القوى الأبرز (العراق) مهد الحضارات والرقم الصعب بعد خروجه منتصراً على إيران. كانت قيادته تبحث عن وهجٍ أكبر من ذاك الذي تغنى به التاريخ عن أوروك وتقدمها الحضاري، فقد أعجبت فكرة المشروع (جابر السعدي) المسؤول الدبلوماسي الكبير في وزارة الخارجية ونقلها بدوره إلى السيد الرئيس الذي أمر على الفور البدء بالمشروع خصوصاً بأنه قادر على حمل رؤوس نووية أو بيولوجية إلى أعماق

أوروبا، وفعلاً تم تصنيع نموذجين مصغرين للمدفع سميا تواليا: (الفاو ومجنون) على أن يستكمل المشروع بالنموذج النهائي (مشروع بابل) والذي يبلغ من الطول مئتي متر بفوهة عرضها متر واحد وبمؤخرة بحجم غرفة صغيرة. إلا أن ماسورة ذلك الصاروخ الفولاذية يجب أن تنتج في أحد المصانع الكبرى وتم اختيار مصنع في بريطانيا بعدها بدأ التجهيز خلال تسعة أشهر سراً. وبعد إكمال إنتاجها أصدرت الحكومة البريطانية مذكرة توقيف بحق الشحنة التابعة للحكومة العراقية وتم ضبط الأجزاء المهربة في جميع الموانئ الأوروبية. وبعد أسابيع قليلة عُثر على الدكتور (بول) مغدوراً بشقته ببروكسل – بلجيكا في ربيع عام 1990م، ويعتقد أن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) هي من نفذت العملية إلى حد بعيد. وفي العراق في أواخر التسعينيات تم تدمير الأجزاء الأخرى من قبل فريق الأمم المتحدة المختص في التفتيش عن الأسلحة المحظورة. إلى هنا انتهت المغامرة الأولى.

بعد اثنتي عشرة سنة أبت سواعد النشامى أحفاد سعدٍ والمُغيرة والقعقاع إلا أن تبرع كما برعت عقول وأيدي العراقيين القدامى التي بنت حضارات علمت التاريخ الكتابة ليُسطّر بطولات مستمرة لجيل عراقي جديد قادر على أن يحول معطيات ساحة المعركة إلى إعجاز عراقي بعمق سواد أرضه وخصوبتها التاريخية الحضارية.

"كان الصناديد في منشأة (سعد 16) يعملون ليل نهار دون توقف أو كلل ليكملوا مسيرة الغيارى أبناء هذا الوطن العظيم في إعادة كتابة التاريخ بمقولة (إن التاريخ يعيد نفسه) والارتقاء بالقدرة

إلى التصدي والمقاومة ضد هولاكو العصر (أمريكا) بإيمـــان ووعـــي وموقف وهمة تفجرت من الولادة الجديدة مع خطوط الفجر البـــهي ومن شعاع الشمس التي أشرقت بعد غياب طويل، ومـــن أهـــداب العيون التي جرحها الدمع الهتون على أحبةٍ غابوا ليشرقوا مع الشمس الجديدة وأُفُق أرادهُ (الرحمن) عزّ وجل أن يكون فسيحاً لمولود قـــوي اصطفاه ليكون باراً في أمته، وزاد إيمانه بعد المنازلـــة الكـــبرى في أم المعارك التي قهر العراق فيها ثمانية وعشرين جيشاً من أصـــل اثنـــتين وأربعين دولة احتشدت للشر وبعد حصار دام ثلاث عشرة سنة.... الآن قد حانت لحظة الحسم".

أطلق لها السيف لا خوفٌ ولا وجلُ
أطلق لها السيف وليشهد لها زحـــلُ
أطلق لها السيف قد جاش العدو لهـــا
فليس يثنيـــه إلا العاقـــل البطـــلُ
أسرج لها الخيـــل ولتطلـــق أعنتـــها
كما تشاء ففـــي أعرافهـــا الأمـــلُ
دع الصواعق تدوي في الدجى حمماً
حتى يبان الهدى والظلـــم ينخـــذلُ

الرئيس القائد
صدام حسين

هكذا كان صوت آخر الرجال يُسمعُ صداه يتردد خلال أفق هذا الكون البهي ووقع كلماته تدب في الصدور لتندي أعين الشرفاء ماء الفرح بقرب انتهاء العار الذي رُسم على وجوه العرب حين اغتصبت ابنتهم الكبرى (فلسطين) والتي هللت للتسع وثلاثين صاروخاً بتغريدات فرح انطلقت من سجنها إلى العالم الصامت على إنشاء (إسرائيل – العبيد) الذين تم أسرهم وسوقهم على الأقدام إلى مملكة بابل، ارتجفت قلوبهم لخمسين عاماً كلما مّروا من أمام تمثال أسد بابل الذي زأر الآن مجدداً ليذيقهم الرعب والتشتت الذي عاشوه على مدى القرون، فقد حان دور الصاروخ الأربعين ليقضي على خمسين عاماً من الاستبداد والظلم لقلب العروبة (القدس) ويمسح بني يهوذا من الوجود.

كان الفريق المسؤول عن إعادة بناء المشروع (بابل) بتسميته الجديدة (السيف) يتكون من مجموعة من الخبراء القدامى والشباب الموهوبين الذي أتموا حديثاً دراساتهم في ميدان التصنيع العسكري الروسي، أبرزهم كان: البروفيسور فاضل الدوري خبير الأيروديناميات، ود. حيدر الموسوي مصمم الهندسة الميكانيكية، ود. إبراهيم الجاف عالم الرياضيات.... وآخرهم (حمزة الجشعمي) بطلنا وأهم عنصر شاب في المجموعة كلها يعملون تحت قيادة رجل الظل العقيد سمير الخليفاوي، يبذلون قصارى جهدهم. لكنهم لم يفلحوا في الإنجاز الذي يحتاج لأيام أخرى على ما يبدو! ثم تبخر حلم العرب/حلم صدام/حلم حمزة، الذي ذرفت عيناهُ الدم بدل الدمع الذي ترسب ملحهُ في جسده ما حيا على ضياع النجمات التي ستعلق على صدره بأيدي المهيب الركن (صدام حسين) وعلى بغداد

التي احتلت بين ليلةٍ وضحاها ونُهبت آثارها ومتاحفها وثقافتها بأيدي المخربين المتأثرين بثقافة الفوضى الأمريكية. قال حمزة لأصحابه منكسراً: أهذا مصيرنا؟ نرى الغزاة يحتلون أرضنا ولا نستطيع فعل شيء؟... بعد تفكيرٍ طويل سحب المسدس بيده لقمه ثم رفعه ليضعه في فمه لينهي شتات أحلامه وكوابيس أيامه القادمة، هرع مصطفى وأخذ المسدس من يده وهو يقول: أنسيت النصف الثاني من القصيدة؟!.... وراح يتغنى بها:

وأشرق بوجه الدياجي كلما عتمت
مشاعلاً حيث يعشى الخائر الخطلُ
واقدح زنادكَ وأبقِ النارَ لاهبةً
يخافها الخاسئ المستعبد النذلُ
أطلق لها السيف جرِّدهُ وباركهُ
ما فاز بالحق إلا الحازم الرجلُ
وأعدد لها علماً في كل ساريةٍ
وادع إلى الله أن الجرح يندملُ

أبكت تلك الأبيات اللاهبة مقلتي حمزة أنهاراً من الأسى على الأب، على الوطن الذي سقط أمامه، على الأم التي ربّت وسهرت وتعبت، على دموع الثكالى والأرامل، وعلى صيحات الأطفال اليتامى، وعلى ألوان العزة والرفعة والشموخ بكل أطياف الشعب، وعلى الرافدين الأبيين، وعلى النخلة التي دام ظلها لأبنائها رغم

السواد الذي أعتلى سماءها وحجب شمس الحرية من جديد، وعلى عاصمة الرشيد التي احتلت مرةً أخرى من قبل هولاكو، ثم أتبع مصطفى قولاً: لا تحزن يا أخي، السيد الرئيس سيبقى يقاوم معنا فهو كان على رأس الفرقة التي قاومت الأميركان في المطار، وهو قد وجّه لنا رسالة من خلال القصيدة مفادها: (إن لم تستطيعوا إكمال المشروع قبل الغزو فقد حان الوقت لسيوفكم أن تبرع وتخرج إلى العالم من أغمادها). صاح حمزة متأثراً وهو يشحذ الهمة بصدور إخوانه الآخرين: حيّ على الجهاد، حيّ على الجهاد، الله أكبر، الله أكبر، الموت لأعداء العراق.

اللغة الأمازيغية

انتهى اليأس بمجموعة من الشباب الذين أكل الفقر أرواحهم قبل لحومهم، ونخر الذي ورثوه عظامهم، و لم يكتفِ بل امتص حتى نخاع العظم وجعل الذي يسري في عروقهم سائلاً أسود لا خير فيه!! في وقتٍ لا يُعترف إلا بالمال كقيمة للإنسان الذي فضّله الله على جميع خلقه واصطفاه ليكون خليفته في الأرض والعمل وفق شريعته الفضلى سبحانه وتعالى. فقد صفع الوجه الآخر للرأسمالية الوضعية بيده السوداء وجوه الفقراء في كل زمانٍ ومكان، وفي أكبر العشوائيات لمدينة الدار البيضاء. ومن دور الصفيح التي انتشلت الصفائح الدموية قبل أن تنتج في (النقي الأحمر)[1] خرج الفكر المتشدد عن فكرة "الجهاد" وتأثر الشباب بما تسوّق له أمريكا وأعوانها في العراق عن الإسلام وتصوير الجهاد ضد الغزاة والمحتلين على أنه إرهاب – الإرهاب المصطلح الذي ترجم في قواميسنا العربية خطأ وربما بتعمد حسب نظرية المؤامرة التي يعلق عليها الإنسان العربي كل شيء حوله دون أن يبادر إلى صنع قراره

(1) يتم تصنيع جميع خلايا الدم في النقي أو نخاع العظم. هناك نوعان من النقي، النقي الأحمر والنقي الأصفر. يتم تصنيع خلايا الدم الحمر ومعظم الخلايا البيض والصفائح الدموية في النقي الأحمر.

السياسي بيده، ومدلول الكلمة (إرهاب) يشير: إلى جميع تلك الأفعال العنيفة التي تهدف إلى خلق أجواء من الخوف.... (والإسلام براء منه تماماً)، ودائماً ما يكون موجهاً ضد أتباع ديانة أو سياسة معينة في الغالب، أو هدف أيديولوجي معين، حيث إن لكل قوة فعل قوة رد فعل مساوية له في المقدار ومعاكسة له في الاتجاه. (كما صور نيوتن الحركة وفق قانونه الثالث). هكذا نحن البشر، الجاذبية هي من تحركنا وتنتج عن قوتها وتأثيرها ميولنا وأهواؤنا النفسية، وكذلك تغذي مخيلة كل فرد منا حسب مساره الفكري بغياب الرادع النفسي (الضمير) الميزان الذي أتقن الله عز وجل خلقه في كل نفس إنسانية كما أتقن كل شيء.

في 2005/5/24م وبعد أربعة أيام فقط من تفجيرات الرياض، صاحت خديجة المفجوعة على نبأ وفاة ابنها ذي الواحد وعشرين ربيعاً المُحُول، وعلى شبابه الذي تاه خلف سراب الأمل؛ الأمل الذي طال انتظاره في الدنيا على أن يتفيأ صاحبه ظلاً يريحه من التعب الذي لازمه منذ نعومة أظفاره. لم يسبق لرامة أن رأت أمها الثانية مربيتها في هذا السوء من قبل. بعد أن أخذت الصدمة مداها في أرجاء العالم العربي. سافرت خديجة إلى المغرب علها تجد ما يفسر تفجير ابنها لنفسهُ في إخوانه أبناء جلدته لعل خيبتها التي استمرت منذ أن أبصرت عيناها النور أن تجد قطعه من جسده، تنعيها، تلومها، تدفنها وتدفن معها إخفاقاتها وظروفها القاسية التي أبعدتها عن فلذات أكبادها. نعم إنها لقمة العيش المرة، حيث قام اثنا عشر شاباً تتراوح أعمارهم بين (20، 25) سنة من ضاحية سيدي مؤمن الفقيرة بتفجير أنفسهم في أماكن عدة في العاصمة الاقتصادية

للمغرب الدار البيضاء، تلك هي الشرارة السوداء الأولى التي قدحت من المغرب العربي أرض الرباط ورافد الأندلس المتجدد والمصحح لمسار الحكم في أرض الطوائف[1].

أما في جدة خلال تلك السنة فقد برزت الصفات الأنثوية أكثر وبدأت الثمرات تنضج في جسد رامة – الغزالة التي يبدو أنها ستصدر لكل من يراها سحراً مفعوله كالمسك في النفوس، وعطراً من نوعٍ آخر لا ينفك عن زيارة مخيلة الرجال، مصدره وأصله الحور العين التي وعد الله بها عباده المطيعين في الجنة؛ الجنة التي يحلم كل مجاهد بأن يكون له قصر فيها، ويبدو أن إخواننا الشباب في المغرب قد غرر بهم واندفعوا للقائها على حين غرة! لم يكن طريق الإيمان كذلك ولن يكون أبداً، مع ظهور مفاتن الصبية بتأثير هرمون البلوغ الذي يؤثر على طريقة التفكير أيضاً في سن المراهقة ولما يعطيه من إدراك بضرورة عدم الاختلاط التي قد حفز حساسيتها فيما سبق الوالدان والمجتمع، فسبحانه مثلما جعل للأرض المنتجة قوة جاذبية مصدرها الحقل المغناطيسي في أقطابها فقد غرس في نفس كل كائن حي صفة التأثر بجاذبية القوى المحيطة ببيئته. رامة نضجت وبدأ عقلها يتأثر ويميل نحو الانفتاح على حياة الجنس الآخر وفهم حقيقة مشاعره كما هي بتجرد وليس بحكم العاطفة الأسرية للرجل. أدركت أن الأنثى هي الشمس وسر الحياة على وجه الأرض، وهي المسؤولة عن عملية

(1) ملوك الطوائف هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام 422هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس إلى إقامة دويلة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه.

التمثيل الضوئي في جسد كل ذكر تعطيه من دفئها وحنانها في الطفولة وترعاه لحين دخوله أرضاً أخرى وحباً من نوع آخر لشمس شابة جديدة تدخل إلى أعماق روحه، وينتج عن هذا التلاصق والتماثل أطفال هم زينة الحياة الدنيا؛ الدنيا بل السفلى التي أعطت وجهها الآخر لحمزة الممزق بعد احتلال بلده العراق وأسر قائده ورمزه وشمس كونه.

أصبح الهواء ثقيلاً على رئتيه المتضخمتين واللتين لم تعودا تتحملان بعد الآن أضلعه المتشابكة. في الميدان بعد إعادة تنظيم الصفوف واستيعاب الصدمة المؤلمة انطلق صوت الحق صوت المقاومة العراقية الباسلة في الذود عن أرض ومقدسات العراق الدينية والروح المتأصلة لجمجمة العرب، ها هو رمح الله يُرى بريقهُ ويُسمع صليل سيوف أهله بالحق في كل شبرٍ شمخ وارتفع على آثار أقدام الغزاة وهنا (التأريخُ يعيد نفسه) فالفترة التي استباح فيها هولاكو قائد جيوش المغول بغداد واحتل بلادها أبداً لم تعتبر تلك الفترة بالسوداء بل بالعكس ففيها برز رجالٌ كما العراقيون الغيارى الآن صدقوا ما عاهدوا الله عليه وضربوا للعالم مثالاً يُحتذى به كشعب برع في مقاومة الشر.

حين وصل الصدام الغربي العربي ذروته كانت رامة الوردة المتفتحة تحاول أن تعرف تأثير غبار طلعها على أنوف الرجال ووجدته في استخدام غرف المحادثة الكتابية (الدردشة) التي كانت تقضي معظم وقتها فيها بانتحال شخصيات وأسماء وهمية وقد نجحت كما نجح الناخب الأمريكي، في لعب أدوارٍ مختلفة مع السياسيين العراقيين وتقسيمهم، كل على حسب قوميته أو طائفته

وزرع بذور الحرب الأهلية بالفلم السينمائي (علي بابا والأربعون حرامي)!!

الحمزة بعد الخبرة العميقة في مجال المدفعية وصناعة المتفجرات أخيراً وجد ضالته في تفخيخ الشوارع النائية بعيداً عن السكان، وعلى طريق الضلال والظلم مشت المدرعات الغازية واستحقت رد الفعل المناسب على يديّ هذا البطل وإخوانه من جنوب العراق وحتى شماله؛ الشمال مسقط رأس حمزة (كركوك) نار العراق الأزلية التي تحرق كل طامع يحاول الاستيلاء عليها بتجريدها من عراقيتها، الهوية التي تنوعت وأصبحت منذ سبعينيات القرن الماضي تشمل في محتواها أغلب سكان العراق. أما أهل حمزة فقد رُحلوا عنها قصراً كما أدخلوا سابقاً في ديموغرافية المدينة (كمستفيدين)[1] رجعوا إلى مسقط رأسهم هناك إلى الحدود مع السعودية في مدينة المثنى (السماوة) لكنهم لم يلبثوا كثيراً فيها و لم يتأقلموا حتى استقروا في الموصل المتعددة الثقافات جارة التأميم (كركوك) ومثيلتها بسبب نشأة الأولاد على مذهب إسلامي مغاير لمذهب أجدادهم المسلمين الشيعة، وصار لزاماً عليهم أن يسكنوا في مدينة متعددة الأعراق والطوائف. ففي 28 نيسان 2004م. خرجت مظاهرة سلمية من أحد أحياء الفلوجة الأبية احتجاجاً على سكن الجيش الأميركي في مدرسة وتحويلها إلى ثكنة تمارس الإزعاج اليومي المتكرر للمارة، ما دفع الأهالي إلى الخروج

(1) المستفيدون: هم العرب ممن يوهبون بيتاً وامتيازات فور قبولهم السكن في كركوك، فالمدينة هي خليط فسيفسائي جميل من العرب والكرد والتركمان، تشجيعاً لتعريب المدينة.

والحصول على المكافأة المدمية بقتل سبعة عشر شخصاً منهم!! "نعم هذه الديمقراطية الأمريكية" تحتل الدول ودور العلم فيها وإن قلت (لا) أو احتججت فمصيرك الموت، فكيف ترضى بأن يخرج المقاومون يرفعون السلاح في وجهها؟ عندها سيصبحون إرهابيين في نظر العالم وهذا ما تتعمد في إخراجه كاميرات السينما الصهيوأمريكية وحسب سيناريو فاشل أشبه بفصول المسرحية الهابطة (محاكمة رموز النظام السابق).

شق الظلم كبد السماء في ذلك اليوم وطلى شوارع الفلوجة العذراء دماً، الفلوجة التي تعودت كما في بلدات ومدن العراق أن تحتفل بعيد ميلاد الرئيس فرحاً يصب في كؤوس حمر اليوم تحول إلى حزن صبغ اسمه على الخارطة بأيدي الإجرام لتشتعل المقاومة في أحد قطبي الوطنية وتقدح نيرانها وتُسيّل دماء جنود الاحتلال طوال خمسة أشهر وتكسر أنف الغطرسة الأمريكية بالكفاح المسلح الذي ظهر نصفه الآخر جلياً في مدينة النجف الأشرف. سقط حمزة في الأسر وتم نقله إلى معتقل جنوب العراق في منطقة أم قصر إلى سجن عسكري أمريكي سمي (رونالد بوكا) تم إنشاؤه بعد فضيحة سجن أبو غريب حيث سعى الجيش الأمريكي إلى أن يجعل معتقل بوكا، معتقلاً نموذجياً يصدر فكر الإرهاب من خلال أفراد متشددين زرعوا هناك يحرضون الشباب على التكفير واستباحة دماء المسلمين لتحقيق النصر على حد ما يزعم أمراؤهم! "إن الإسلام يحمل في روحه رسالة سلام إلى البشرية وينبذ العنف ويدعو إلى العدل و(المساواة)" الكلمة التي رأى حمزة أنها خدشت بإعدام الرئيس بتلك الطريقة في صباح العيد. أصغى إلى صوت

مطرقة الشر الأسود أخيراً وقرر بعد خروجه أن ينسخ اللعنة الـــتي احتلت روحه وحوّلت كل ربيعٍ فيها إلى سواد ونسف كل شيء يقف في طريقه بعد انضمامه إلى خلية إرهابية تابعـــة إلى مجلـــس شورى المجاهدين.

الحب الأول

ما أجمل هذه العبارة لما تحتويه من نقاء وصدق مشاعر تترجمها رعشات لا تنفك تأتينا، مصدرها عضو وظيفته الأساسية ضخ الدماء، الدماء في مرحلة البلوغ التي يبدو وكأنها تصل إلى أجزاء في الدماغ لم تصلها من قبل، فتفتح قنوات جديدة من الإدراك والتواصل الاجتماعي، وأيضاً تنبت في الروح أزهاراً تكون مسؤولة عن ديمومتها من عدمها. البيئة المحيطة وأهم مؤثرٍ في درجة تصبغ أوراقها هو الجنس الآخر؛ الآخر بالنسبة إلى رامة شابٍ وقعت عليه عيناها من خلف الزجاج القاتم عندما كان في باحة منزلهم مدعواً مع أبيه، سُمع في تلك اللحظة وقع طبول الفرح في روحها التي نقلتها العُصيبات المخية حباً إلى جميع أجزاء جسدها محدثةً ارتباكاً رآه جديداً عليها من كان قربها، بالرغم مما قاسته في السنين الأخيرة من ضغط نفسي وأيضاً وساوس إلى درجة الهوس المرضي إلا أنها من الخارج كانت صلبة وهادئة متحكمة أغلب الوقت في عاطفتها ومشاعرها وانفعالاتها التي يبدو أن أقواها الآن ظهرت جلياً على مظهرها الخارجي. "نعم نستطيع أحياناً أن نتحكم في جميع انفعالاتها مهما كانت بصورة إرادية" (تعتمد على طبيعة الشخص) إلا أن الحب من النظرة الأولى دائماً ما يصاب صاحبه بمرض جميل وعلة على عكس الأوجاع

الجديدة علينا؛ فهذه تضحكنا وتزودنا بطاقة من السعادة تستطيع أن تصعد بأرواحنا دون رجعة إلى أبعد نقطة في السماء، وما أحلى ردود فعلها الجسدية اللاإرادية وما أكثرها بقرب من نحب.

(رامة) ذات الستة عشر ربيعاً جرفها قلبها إلى أبعد مما كانت تتصور فانشغلت عن هوسها بقدمها غير طبيعية الحركة إلى طبيعة حركة قلبها تجاه (فيصل) ذي العشرين ربيعاً وهو طالب بكلية الأسنان وصاحب الامتيازات في كنف أبيه، ابنه الوحيد. كان وسيماً، جميل التفاصيل، رحب المحيا، حلو اللسان والمعشر، وشريك أبيه (سلطان)، الاسم المميز والكبير في مجال المال والأعمال، وأحد ألمع رجال الأعمال السعوديين والمشهور إعلامياً بقربه من الأسرة الحاكمة والعضو الفخري لنادي (الهلال الرياضي). كان (فصّول) كما يناديه أحباؤه وأقربهم والده، أنيق الملبس نقي السريرة خلوقاً، يحب الحياة ويكره الفوضى، وشديد الدقة في كل شيء. إلا أن المكالمات العشوائية الأخيرة التي كان يتلقاها من أرقام عديدة تطلبه، وحين يرد يسمع قبلات وهمسات لقلوب معذبة تاهت في فضاء حبه الواسع وأحياناً كان يسود صمت منقطع النظير خصوصاً في الساعات الأخيرة من الليل، ومغازلات هاتفية لبنات مراهقات صباحاً كان وراءها كلها دانة الخليج (رامة) بينما كانت تتعرف إلى سمات الحب الصادق داخلها ونقاء دمائه وعذريته.

أصبحت الحياة اليومية جحيماً لا يطاق بالنسبة إليها حين لا تسمع فيه صوت قلبها النابض، معشوقها، فاتنها، أميرها "أمير نابولي النبيل (الدوق فتشنزو)" صاحب السيف الحاد واللسان الساحر يذيق قلبها مرةٍ من هذا وبعدها من ذاك، يجرح قلبها بطعنات سريعة

ويداويها على الفور ببلسم بطيء ممتع، بإحساس شاعرٍ مرهف. نعم كان داءها ودواءها، كانت الجنة في الأرض بيده اليمنى وكذلك النار بيده الأخرى بالنسبة إلى روحها، يعذبها كيف يشاء ويدخلها جنته بغفرانه لذنوبها التي يدفعها إليها عمداً، فتقع في الحفرة التي يريدها وفلسفته في ذلك كانت "إن الحب لا يسمو إلى مرتبة العشق دون الألم". كان ماهراً في دور الجلاد (جلاد الروح) ليخلصها من جميع أشكال التبعية لغيره: حب (نفسها، أهلها، إلخ..... كل شيء) وهي كانت تستمتع بتجاوز روحها مراحل جديدة إلى حيث الخلاص نحو حياة البرزخ وخروجها مع قلبها طوع إرادته التي يبدو أنها اكتفت من هذه اللعبة المتكررة مع بنات مثلها يومياً ليقرر بعد التخرج اكمال الدراسة خارج حدود الوطن الحامي، إلى هناك نحو كندا بلد الجبال المغطاة بالثلوج والبحيرات المتجمدة. على مدى عامين وهو يحاورها هاتفياً، جردها من كل شيء له صلة بشخصيتها المتحكمة إلا من اجتهادها الدراسي الذي كان فطرياً فيها دون جهد. نعم كانت من كوكبٍ آخر من نوعٍ فريد، من معدن قلّ تواجده على وجه الأرض "إلا أن الحب أقوى من الجاذبية نفسها" ففعل بالمعدن ما فعله، جرده من قابليته التأثر بأي قوة غيره إلا أنه رحل إلى الأبد...

أبو ضيغم السفاح

بعد خروجه من السجن كان (حمزة) يغتصب الإنسانية من حوله في كل يوم وفي كل (عجلة) يبرع في تفخيخها باستنشاقه واستباحته لدماء إخوانه العراقيين أفراد الجيش والشرطة في العراق الجديد والمواطنين الأبرياء رداً على أفعال لا تمت إلى روح الإسلام في شيء. وفي أوج الصراع الطائفي الذي استعر كان (الشيعي) يقتل كل يوماً في دمائه مروءة عمر و(السني) يقتل في جيناته العربية شجاعة (عليّ) رضي الله عنهما وأرضاهما الخليفتين الراشدين الصالحين. نعم مات الوطن، مات القلب، وتوقفت الشرايين عن ضخ الحياة، وضجرت الأوردة من إنعاش (المضغة السوداء) التي تفحمت من أسلحة الدمار الشامل الملقاة بأيدي الغزاة: على أرضه، على جسده الذي تعفن وانتفخ كثيراً من الحرام قبل أن يدفن بذاكرة التاريخ على أنه (النخلة) التي أمطرت عليها الطائرات في يومٍ أسود غباراً كيماوياً ليس لقتل الحشرات فيها بل لقتل البشر، وامتصت جذورها نفطاً رأته غربان الشر كثيراً على أبنائها لتعدل في جينات النخلة الأصلية لتنتج بدل التمر قنابل، دبسها دم سال من يوم كربلاء إلى يوم تفجير مراقد آل البيت صلى وبارك الله عليهم أجمعين في سامراء، لتشتعل نار الفتنة التي ساعدت على سرعة انتشارها آبار (النفط)!! من شمال العراق حتى جنوبه ومن شرقه حتى غربه والتي

تركزت في دار السلام (بغداد) المدينة المدوّرة التي يبدو أن خارطتها سابقاً تشكلت كثيراً بأشكال هندسية متعددة والآن بأشكال همجية فوضوية سوداء لا تمت إلى منطق الجمال بشيء سوى أنها تشترك معه بصفة الجاذبية التي جلبت إلى (الزوراء)[1] أشرار أهل الأرض، والأشرار الذين نسبوا زوراً إلى الإسلام من كل البلاد التي فُتحت والتي لم تُفتح على طول الثغور الإسلامية.

يبدو أن الحسن بن الصّباح مؤسس حركة الحشاشين[2]، أول من صنع أيديولوجية الفداء في عقول خدامه المنشقين عن الطريقة الإسماعيلية لخدمة الهدف غير المقدس (الاغتيال) حيث كان هذا التيار يحارب في جميع البلاد الإسلامية وكان مركزه (قلعة الموت) هناك إلى

---

(1) (الزوراء) نعت أطلق عليها لأن الأبواب الداخلية لأسوارها مزورة عن الأبواب الخارجية، أي ليست على سمتها، ويستخدم ترتيب مداخل أبواب السور على هذا الشكل المنحني أو المنكسر لأغراض دفاعية. ومن المحتمل أن تكون هذه الطريقة قد استخدمت للمرة الأولى في بغداد.

(2) كانوا جماعه إسماعيلية سرية دعت لإمامة نزار ابن المستنصر. الحسن بن الصباح أسس الجماعة في إيران سنة 1090 في قلعة الموت الجبلية التي كانت مقر دعوته. أهم شيء كان يميز الحشاشين هو لجوؤهم إلى قتل واغتيال أعدائهم. الحشاشون كان يقودهم واحد يلقب بـ "السيد" أو "شيخ الجبل" وكان هو صاحب الأمر والنهي. بعد شيخ الجبل كان هناك "الدعاة" الذين يأخذون الأوامر منه وينفذونها. والدعاة كانوا مقسمين على رتب حسب درجة اطلاعهم على أسرار الجماعة.
أهم المراتب كانت رتبة "الفدائية" لأنهم كانوا يقومون بالاغتيالات. وكان زعيمهم شيخ الجبل يكافئهم على أعمالهم بإدخالهم من وقت لآخر إلى الجنة الموجودة في القلعة ويعطيهم الحشيش ويدعهم يمارسون المتع. وقد شمل نشاطهم الشام. في سنة 1256 هاجم المغول بقيادة هولاكو قلعتهم (قلعة الموت) وقضوا عليهم، ثم أكمل عليهم الظاهر بيبرس في الشام.

الشمال الشرقي من إيران الحالية والتي كانت إبان حكم الفترة السلجوقية تنطلق إليها حملات عسكرية وتحاصرها لأشهر عديدة دون جدوى. (عمر الخيام) الاسم اللامع في مجال العلوم والذي له الفضل في التقويم والرياضيات والشعر وغيرها من الإبداعات التي ربطت باسمه كان زميلاً في الأزهر للحسن بن الصباح!! لكن شتان بين النور والظلام، لم يكتفِ الحشاشون بهذه القلعة بعد مرور مئة عام فأنشأوا قلعة أخرى قرب دمشق كان قائدها (شيخ الجبل)، كانت عقيدتهم تتركز على إطاعة أوامر الزعيم طاعة تامة بعدما يقوم الأخير بتخديرهم حسياً وإدخالهم جنة في تلك القلعة وفي التي سبقتها ويسحرهم منظر جداول اللبن والنبيذ والجواري التي كان يجلبها لهم ثم يخرجهم منها لينفذوا مخططاته على أن يرجعوا إليها بعدما يحققون الهدف المنشود، ودائماً لم يكونوا يعودون إليها فإما يقتلون بعد تنفيذهم العملية أو ينتحرون خوفاً من الاعتراف الذي سيبعدهم حسب تصورهم عن الجنة (الوهمية) والتي يبدو الآن سُوق لها في العراق كثيراً فيفجر الرجال والمراهقون أنفسهم بتأثير المادة نفسها التي تميت أعصاب وادراك الحشاشين القدامى، وحشاشي العصر الحديث الخوارج الجدد يفقدون شعورهم بالواقع عن طريق تلك الأناشيد التي تلهب الحماس، وبجميع العمليات التي نفذت في الصهاريج المفخخة والتي أخفق سائقوها في النجاح لم يسمع يوماً من خلال مكبرات المسجل تجويداً للقرآن أو قراءة له أبداً وهنا الدليل "لأن كلام الله يهدئ النفس المضطربة ولا يدعو الإيمان أينما وجد النفس البشرية إلى الانتحار" وهنا براءة الإسلام من المجرمين الذين شوهوا صورة الجهاد النقي في العراق وفي مختلف البلدان.

بعيداً في العالم الآخر، على شاطئ الأمنيات بمدينة جدة عم الفرح طقس تلك المدينة بظهور نتائج المرحلة الأخيرة للدراسة الإعدادية وبنجاح وتقدير جيد للطالبة (رامة محمد) التي تحلم عندما كانت طفلة أن تكون رائدة فضاء، لكن قدر لها أن تدخل قسم علوم الحاسبات لتكون (رائدة) تغوص في عالم (الماورائيات). لطالما جذبتها الأزرار وشاشة العرض، أرادت حقاً أن تعلم كيف تعمل تلك القطع الصغيرة المرتبة في أحشاء سفينة الفضاء التي تسّيرها أينما رغبت وكيفما أمرتها في عالم المعلومات الافتراضي، وأرادت أيضاً أن تعلم ما هو السر السحري الذي يفقد محادثيها عقولهم وجاذبية أجسادهم للأرض التي هم عليها، أهي جاذبية سطحها (سطح كوكب الزهرة) الذي يسحبهم نحوه؟ أم ماذا؟ بعد إتمامها السنة الأولى بتفوق واضح وبعد إتقان الخُطى هوناً تخلصت من تلك العقدة التي توقفت عندها كثيراً حياتها، وبعد سماعها الكثير من المغامرات الرومانسية لصاحباتها الجدد أرادت شيئاً يعزز رصيدها من المعجبين أمامهن فدخلت مواقع التواصل الاجتماعي بحذر دون الكشف عن هويتها الحقيقية.

يبدو أن (الحمزة) صياد الأسود بات يثيرهُ صيد البشرية بالغش والمكر والخداع والكثير من القسوة. كان يتنقل من مدينة إلى أخرى كعامل بناء بثيابه الرثة وشعره المتسخ وبذقنه الذي سطا فوق شاربه.

العملية القادمة هي من أهم العمليات في شمال البلاد وتحديداً في الموصل لبعدها الاستراتيجي ولعبها في ترجيح كفة الفوضى على حساب سلطة الدولة الضعيفة المضعفة، كان ميدان العملية يستهدف تجمعاً لتجنيد الأفراد في الجيش العراقي الجديد، الذين أتعبهم توقف الحياة المدنية وندرة فرص العمل، فقد أخرجتهم لقمة العيش لا

سواها. كانت سيارات الأجرة تنقل المهرولين فرحاً إلى الحياة الجديدة في ذلك الموقع والذي ظهر فيه صدفةً معلم اللغة العربية (حسين الجشعمي) والد حمزة – حمزة الذي كان يستعد لإضافة الرتوش الأخيرة للوحة الدم رأى والده بسيارته المتعطلة بجانب عربة الإسعاف المفخخة والتي ستنسف أجساد المتطوعين وتودَعهم كلٌّ حسب عمله في الدنيا إما للجنة وإما للنار، حيث كان مبرمجاً أن يقوم بالانفجار التالي حمزة بعد تفخيخه للمبنى الملاصق لمركز التطويع خرج كالمجنون عندما لمحت عيناهُ القلب الكبير، الشيبة التي علمّت وربت وتعبت، (الحياة) أباه الذي ذكّره بأيامه الجميلة التي فقدها، الأمل الأخير لشفائه من (اللعنة الأمازيغية) والخيط الذي سيخرجه من مستنقع السواد الذي طلى حتى لسانه الذي تحرر وصاح أخيراً وصاحبه يركض ويؤشر بكلتا يديه فزعاً لأبيه الذي أدار رأسه صوب النداء مبتسماً لكن....! "هبت العاصفة وضرب تسونامي العرب تاريخهم، وقتل الابن أباه، وغُيّر معنى الوطن إلى المهجر، وخارطة الأرض إلى خارطة الجحيم".

الغابة السوداء

في مدينة جدة ابتلعت السيول كل شيء يقف أمامها، كذلك جرفت المياه عربة (محمد رسلان) والد رامة وأخويها العائدين من خارج المدينة بعد حضورهم مناسبة لأحد الأقرباء في الطائف. كان الخميس يوماً كارثياً على أهل الحجاز قبل ليلتين فقط من عيد الأضحى الذي يبدو وأنه ضحى بالناس قبل أن يُضحوا لله. ما أكبر مصيبتها وهي في مقتبل العمر، أصابتها نوبة اكتئاب شديدة وصدمة عاطفية أكبر من جميع كواكب هذا الكون بفضائه ومجراته ومجاهيله. انهارت تلك الفتاة النحيلة وبقيت لأسابيع طويلة في المستشفى تتعرف إلى جميع العلاجات التي قد تخرجها من حالتها التي لا يشابهها فيها إلا ظلمة ليل حمزة الهالك.

تغيرت هذه السنة المفاهيم العميقة للحياة في روح الشابة وعقلها إلى الأبد بعد أن تخطت بجسدها سابقاً بعض صعوباتها، بعد وفاة أبيها بستة أشهر تقدم العم الأصغر ليطلب يد أمها لكنها رفضت وبالتالي رفض جميع أعمامها بقاءها وأطفالها الصغار في بيت دون رجل ثم قرروا بالإجماع انتقال هذه العائلة المغلوبة على أمرها إلى بيت أمهم في مكة لتبتدئ هذه الزهرة رحلتها الحقيقية في مواجهة رياح التغيير القادمة من الشرق. ازدادت صعوبات الحياة اليومية لرامة بعد عزوفها

استئناف الجلوس على مقاعد الدراسة وفضّلت البقاء قريبة من ذاتها المكسورة تجبّر ما أصابها بالتسبيح تارةً وأخرى تبكي أهلها مع كل دعاء. فضّلت البقاء سجينة أحزانها وأغلقت أبواب اتصالها مع جميع البشر. كان سريرها فراش الموت، كل ليلةٍ تنازع روحها فيه الحياة، وكانت غرفتها في ذلك البيت الكبير تقع في الطابق العلوي منفردةً وشاهدةً على أرقها المؤلم الذي يستمر لثلاث ليالٍ بطولها. كانت ترى أنها (أحدب نوتردام) رغم جمالها الآسر، قبحها الداخلي أكل كل فتات إنساني جميل كانت تحمله روحها وتعيش عليه في السابق. كانت تكره المطر رغم قلته، يهرع ألمها إلى إغلاق الستائر ويغلق بكاؤها بكلتا يديه أذنيها وتحتضن وجعها مستلقية وكأنها تقرع أجراس الصلاة للناس، وتركض إلى الاختباء في عليتها. كانت أيضاً ترى في نفسها إنساناً ممسوخاً ملعوناً لا يمت لحياة الناس بأية صلة، إلا أن مخاض معاناتها أخيراً توقف مولداً في نفسها حب الاشتراك بكم الشتائم الطائفية اليومية المتراشقة من هنا إلى هناك. كانت تدخل غرف الدردشة باحثةً عن فتاتٍ تغذي عليه روحها السوداء بذائقتها المريضة بل وتعلمت كيف تدير وتصدر ثقافة الحضيض وتشعلها متى ما دخلت غرفاً خالية منها.

أم رامة فكانت الأمل الأخير لشفائها، رحلت عنها، نعم رحلت لكن إلى موقعٍ آخر في الأرض، إلى التربة التي أنبتتها وسقتها ورعتها قبل أن يقوى عودها ويثمر، إلى أمها في رحلة كان من المفترض أنها قصيرة لكنها طالت لمرض الجدة الشديد وتفرغ ابنتها الوحيدة لرعايتها والسهر على راحتها ورد الدّين "الذي مهما حاولنا نحن الأبناء أن نرد جزءاً منه، لن نقدر ولو افتديناه بأرواحنا" (إن نعمة الأم

أعظم من فقد رامة لأبيها) إلا أن ذهاب أمها بعيداً عنها أعطى ضميرها دافعاً كبيراً لتصحو مما هي فيه، وأن تُقدم ولو بخطى بطيئة متحاملة نحو الأخذ بمسؤولية الاعتناء بأشقائها وشقيقاتها وأن تدير شؤون منزل الجدة التي تحبها كثيراً وأن تدفع بساقيها متحاملةً مجدداً على جرحها الكبير بالابتعاد أكثر عن أشواك غابة الوساوس المظلمة. كان يكفيها اتصال واحد، اتصال فقط يخرجها من كل ما مرت به من ألم ليختزل أوجاعها ويحول تجربتها المريرة إلى عطاء لا ينضب إلى آخر يوم في الحياة. لكنه لا.. لم يتصل ولم تحدثه نفسه بالسؤال والاطمئنان على إحدى المتيمات – عشيقته التي تمنت أن يأمرها في يومٍ ما بأن تفني حياتها كرمى للمحبوب الجحود.

الراعي وقطيع الألم

الليلة رقم (936):

كان أبو فاطمة مستلقياً في خيمته ينظر بتركيز إلى النجوم، وكانت تزين سكينة ذلك المشهد الحالم تلك الشهب النازلةُ كلّ حين، عندها تذكر نفسه وأن ناره كتلك قد أطفأتها رمال الصحراء إلى الأبد، فهو أيضاً كان يهوي بسرعتها نفسها، بعدما هرب من المدينة، من الناس، من كل شيء يذكره بحمزة الإرهابي المجرم. "انسلخ عن جلده الأسود ورمى عنه بعيداً مضغته المتفحمة" أجهش بالبكاء طويلاً وثورة الندم تقتله، الأفكار المتنازعة التي نهشت رأسه تهتف عالياً لتسقط يداه، يائساً متكئاً على التراب الذي لم يتحمل وزر بدنه المتفسخ ولا رائحة الدم المسموم الذي روى يديه منه كل تلك السنوات. إلا أن قطرات المطر المتهاطلة ارتأت أن تثبت أن طبيعتها قادرة على أن تمحو كل شذوذٍ فيزيائي وأن تنبت بذور الأرواح وتحمل جيناتها في أي أرض.

الأرض التي امتصت إفرازات النصف السيئ لحمزة كانت منطقة في بادية جزيرة الموصل على طول الشريط الحدودي الفاصل بين العراق وسوريا حيث ساقته أقداره مجتمعة إلى هناك. فبعدما التقاه الراعي (فاضل) مصادفةً على قارعة أحد الطرق أخذ بيده وانتشله من

إعصار الحزن والأسى الذي أدمى مقلتيه، استضافه في خيمته المتواضعة، بعدها بأيام اقترح عليه العمل لديه في رعي الأغنام، "نعم ها هي الفرصة التي تبعده عن البشر كانت جل ما يتمنى". راح الرائد حمزة على استحياء وعلى مضض يقود سريتهُ يمنةً ويسرةً متجاوزاً خطوط العرضِ والطول، النقطة تلو الأخرى، يبحرُ بين أمواج الرمال وبين ذكريات الأمس، موجة يشق لها ثغره باسماً وأخرى يضمها مكرهاً خشية تذوق مرارة دموعه الساخنة على أبيه، على أحلامه الكبيرة، على إنسانيته التي فضّ غشاء بكارتها بكلتا يديه سهواً وعلى كل شيء "لقد طال سراب الأمل الذي أتعبه وجنوده في الوصول إلى واحةٍ خضراء مرات عديدة". هكذا كانت حياته على مدى ثمانية أشهر بين التجول لرعي قطيعه وبين العودة إلى نقطة الانطلاق، وهكذا إلى أن زوّجهُ فاضل ابنته البكر (تولين) لينهي بذلك فترة جلد الذات وأن يسمح له القدر أخيراً بأن يغرس فسيلة في أرض الاطمئنان فسمى تلك النخلة العراقية الصغيرة (فاطمة). كان يحبها وأمها كثيراً كما أحب مهنته وبيئته الجديدة التي أعطته كل شيء من لا شيء وبلا شيء.

"عندما تجرب كل شيء وتنتهي متعتك في الدنيا وتضجر، تذكر أن هنالك من يستطيع إعادة قطارك إلى سكة الحياة من جديد بنظرة واحدة، من ضحكة، من إطلالة على حين غفلة حتى وإن كنت تختصم ويومك وتنازعك مرارة العيش فيه. نعم إنهم الملائكة الصغار، الأطفال الذين لا يمتلكون حواس كبيرة تستوعب كل ما يدركونه حولهم بل يكتفون بإزاحة ما يثقل كاهلك دون عمد".

كانت تلك خاطرة كتبها حمزة بإصبعه على الرملِ عصراً وودع بوحه بابتسامة، وهمَّ بالعودة لأخذ ابنته بالأحضان، لم يعلم لماذا اشتاق إليها كثيراً هذا اليوم؟ أتذوق سر سعادته الحالية أخيراً ورضي؟ أم ماذا؟ صاح: هيّا أيتها الخراف.. العجل العجل... فابنتي تنتظرني وأكاد أراها واقفة مع أمها خارج البيت. لقد اشتاق أنفاهما إلى رائحتك وعيونهما إلى ما تثيرهُ أقدامكِ وكذلك آذانهما إلى أصوات الأجراس الآذنة بقدومنا، بامتزاج شفق السماء وأديم الأرض تكونت لوحة لم تقدر لوحات عصر النهضة الإيطالية بكل فنانيه أن تعبّر عنها بالألوان فقط بل كان يلزمُها اقتطاع ذلك المشهد من عيني الأب وأن تلونهُ بأصباغ الشوق واللهفة اللذين اختلجا في صدره وأحست بهما كتيبته المباركة، مع دنوّه من المنزل أكثر لكن... لا أثر!

بعد إدخال الماشية إلى الزريبة سأل من كان في الجوار بشيء من القلق: أين فاطمة وأمها؟ قالت أختها: لقد عنفتها (تولين) وخرجت تبكي. ظننا في بادئ الأمر أنها اتجهت صوبك لكنهما غربتا تواليا. فوراً اتبع خطاه المضطربة خلفهما اضطراب الماشية خلف السراب بعينين جاحظتين أتعبهما الانتظار والترقب، ثم مع ولوج الليل طغى صوته على أمله وبات يناديهما خوفهُ إلى أن رد عليه من بعيد خوفهما "استبشر خيراً" لكنه تفاجأ بأزيز الرصاص الذي يسابق أقدامه إليهما! وما إن ضاقت حدقتا عينيه بوصوله إليهما إلا والدم يحضن امرأته وهي تحتضن ابنتها التي سابق دمها دم أمها في الاستنجاد به. صرخ مفجوعاً بهما وظل يردد اسميهما عالياً وراح يندب ويولول مستنجداً لكن لا أحد يسعفه في مصيبته، ضمهما لآخر مرة طويلاً وبعدها صاح معاتباً عتابه الأسمى ويصيح: يا أبي، يا أبي، لماذا تركتني،

لماذا تركتني؟ نطق جرحه الأكبر منادياً على أوجاعه كلها لتبكي حاضرة شقائه وفناء شبابه وسواد أيامه المقبلة. بقي ذلك المشهد المؤلم القاتم يعاتب السماء إلى أن كشفت أضواء دورية شرطة الحدود السورية ظلامهُ. لقد جنت على هذا المسكين وقتلت أيامه، التي كان يحاول استعادتها من جديدٍ هنا أو يخلق سواها برصاصات بندقية أحد الجنود الذي أراد اقتناص مهرب قبل أن يتسلّل. صاح رفاقه عليه: ماذا فعلت (يا ليث)؟ ماذا فعلت يا أحمق!! استفزت كلماتهم قبرهما الذي ضمهما منذ الأزل ثم قام وأنهى حياة الجاني قبل أن ترديه هو الآخر رصاصات الرحمة.

بعد يومين من تلك الحادثة قام (حزب البعث العربي الاشتراكي) بقياداته المحلية في ريف حلب بمواراة جثمان شهيد الوطن ثم حث القضاء بكلمات مختصرة موجهة للسلطة التشريعية بالاقتصاص من القاتل الذي أصيب وهو يدافع عن زوجته وابنته، عن سعادته، عن آخر معاقل حياته، عن الفضاء الرحب، عن جيشه الذي يثغو ويهجو كصاحبه (ابنته وحفيدته ونسيبه). بعد أشهر من التوقيف في المستشفى وأشهر أخرى من المداولة في نطق الحكم أخيراً أصدرت المحكمة حكماً بالإعدام شنقاً على حمزة حسين الجشعمي. طوال تلك الفترة، وكل ليلة من ليالي السجن المقيتة كانت تهجم عليه الخراف لائمةً إياه على تركها، تبكي وعمه (فاضل) ما أصابها وهو يرد عليها بغزارة دموعه دون كلام أو نحيب، إلا أنها وبحب مفعم تعاود زيارته في منامه، تذكره بأيامه الهادئة الجميلة معها وتداعب حلمهُ بالعودة وإياها إلى البيت، وزوجته تبتسم وابنته تحييه من بعيد. كلما كان يدنو يصحو ضميره من نومه فزعاً وهكذا إلى

أن جاء اليوم الذي صحا كعادته لكن بفزع أكبر، على أصـــوات جماهير تنادي خارج أسوار السجن: ماذا هناك؟ لعلـــها تطالـــب بتعجيل القصاص منه!!

المنشور الثالث عشر

من المختار إلى البوعزيزي

2010\12\17م

شق أحد الباعة المتجولين طريقه فجراً نحو سوق الخضـــار، وفي أحد الأزقة اعترضته شرطية تعودت كل يوم أن تأخذ من عرقهِ مقدار حفنة، إلا أن ساعات النهار الأولى كانت باردة جداً و لم يتسنَّ لجبينه أن يندى حلالاً طيباً بعد، عندها ثارت الشرطية ومعاونوهـــا محقـــاً، انهالوا بالعصي ضرباً، وبالسلطة بطشاً، ورموا جميع ما يملـــك مـــن شرف إلى مداس الأقدام ثم صادروا عربته وفوقها كفٌّ لامرأة طبـــع على خده مهانةً لن يرضاها، أبى أن يعيش كبرياؤه بريق مـــر، بعـــد محاولاتٍ يائسة لاسترجاع أحلامه، وشهادته، وآلته. أخيراً استجاب لصوت الحرية في دمائه الذي ناداه، وأضرم النار في نفسه منهياً شقاء يتمه وشقاء أيامه القادمة.

أشعلت تلك الحادثة الشارع التونسي وتواصلت الاحتجاجات ضد الفساد والبطالة والظلم على مدى أشهر في جميع أمصار تونس إلى أن أدار قائد طائرة الرئاسة محركها هرباً من الغضب الشعبـــــي الكبير الذي تصاعد. الغضب الذي أنكر غصة لقمة العيش في نفسِ (محمد البوعزيزي) وروحه تفجر ملهماً جميع شـــعوب المنطقـــة في

الثورة على الجمهوريات العربية الطامحة للتوريث، فسقط حكم رئيس مصر، وازدادت الاحتجاجات السلمية في كل من ليبيا واليمن وبعد أشهر تحول هذا الخروج إلى كفاحٍ مسلح أسقط نظاميهما تواليا.

الله، سوريّا، حريّة، وبس

الله، سوريّا، حريّة، وبس

الله، سوريّا، حريّة، وبس...

كانت الأصوات في الشوارع تزفرُ ناراً والصدور يقدحُ أملها عالياً في إنهاء فترة حكمٍ آخر عاث فساداً في العروبة وسحق بالقوة أي ضمائر يخرج نداؤها ولو سهواً خارج حدود الجسد.

صاح أحد السجناء فَرحاً:

لا تفزع يا حمزة

لا تفزع يا حمزة

إنها الحرية، إنها الحرية..

وأكمل الهتاف بقية السجناء بصوتٍ واحد. كانت ترددات موجاته: حرية، حرية، حرية، لكن ليس طويلاً! فقد هشّمت أفواه المساجين العصي ونالت من حماستهم فوهات البنادق الخائفة التي يبدو أنها ركزت على ما يقلقها في الخارج أكثر. فبعدما أمطرت الرصاصات الناقمة سماء الحرية جاء الدور على طالبي اللجوء إليها، سالت دماء المتظاهرين في كل شبر من أرض سوريا وزُف عاشقو الحرية هناك في السماء كلّ إلى عشيقته وابتدأ صراع كل شيء لكل شيء في أرض المحشر. كان للشبكات الاجتماعية الافتراضية دور بارز في تنظيم صفوف الثوار في كل البلدان ومد جسور الاتصال ونقل الاحتقان

الداخلي واستنساخه بين بقعة وأخرى لكسب المؤيدين المتفاعلين.

أما رامة في بلاد الحرمين فكانت تجاهد في فهم ما يحدث حولها متفاعلةً بإيجابية مع مشاعر الثوار الغاضبة، بذرة التأييد الأعمى في روح الشابة زرعتها سابقاً احتجاجات الانتخابات الإيرانية عام 2009م. كانت تثيرها مشاهد الاعتصام والاحتجاج والعنف الشعبي الكبير متكئة بذلك على عكازة الطائفية التي باتت تقدسها. كبر ذلك الثقب الأسود الصغير في ساقها الذي لم يعد كما كان، التهم حتى روحها، كانت تحتاج لشيء ينقل الشحنات السلبية المتولدة بداخلها كل ثانية إلى العالم بأسره، حمم البركان تفور داخلها والتي ترغب بأن يموت كل أب وأن يبكي لفراقه كل طفلٍ مدلل وأن يعاني ما تعانيه الآن. إن أكثر ما شد رامة من جميع مظاهر الرفض الشعبي المتمثل بالثورات العربية ضد السلطات كانت الثورة السورية دائماً وأبداً ومجدداً، ربما لأن فيها نتانة الطائفية التي أدمنتها أو لأن الدماء التي في عروقها تصيح عليها كل يوم للانخراط فيها.

حرية:؟

(حمزة مخاطباً نفسه) لطالما تغنيت بهذه الكلمة في باحة المعسكر، فماذا جنيت؟ بعد صمت استعرض فيه شريط حياته سريعاً نطق بشيء من اليأس: (وحدة، حرية، اشتراكية) لفت أنظار السجناء إليه بدهشة ثم أتبع قائلاً: نعم جردتني الأهداف التي اعتنقت مذهبها من كل شيء إلا من لعنتها، فهي ما زالت تطاردني. فبعدما كنتُ أمسكُ بسوطِ السلطة في العراق ها هو السوط قد تمرد عليّ في أرض البعث ونهش جسدي جروحاً تلامس جروح روحي التي غابت مع آخر ضياء لمحته في عيون ابنتي وزوجتي.

ثم أنشد قائلاً:

إليكَ عني يا صديق، ما زلتُ أقاوم مخالب الضيق
إليك عني ودعْني أكمل وحدي ما تبقى من الطريق
لم يكن هناك ورود بل أشواك، وحجارة، وما لا تُطيق
دعني ألحن الأمنياتِ نشيداً لغيرنا علّه يحقق نصراً بنا يليق
فأنا وأنتَ ولدنا في نهاية ألفية المعانَاةِ الأولى
وأمتنا ما زالت تتخبّط في وادي الوحلِ العتيق
كُنا نحلمُ في الصغر أن يكون بيتُنا الآخر على القمر
وكُنا نحلمُ أن نكونَ خلفاءَ تاريخ أراهُ اليوم يحتضرْ
وكُنا نحلمُ أن نُصلي في الأقصى والعدو دمهُ خلفنا ينهمر
وكُنا نحلمُ بالوطن الواحد لكن قادتنا اليوم كُلهم في سَقَر

لا أعلم أين وصلنا؟
في هذه الألفية الجديدة
أنستَجيبُ
لعصبيةِ العدوية أم لنداء التحرير؟
ليتَ المصيبة بقيت في تورا بورا ولم تستشهدُ العفيفة أم قصْر
وليتَ لم يدفعُ الجوْرَ بـــ "بوعزيزي" لحرق نفسهِ
ويا ليتَ ما وعدنا بالحرية وأن القيدَ منذ زمان منكسِر
ليتَ القدرَ ما أرادَ لنا الحياةَ وبقينا لِقرونٍ
في ضميرٍ مُستتِر
يا صديقي إن كُنتَ تعلمُ فتلكَ مُصيبةٌ
وإن لم تكُن تعلمُ فالمُصيبةَ أدهى وأمر

"نوريخ"

المنشور الرابع عشر

المعبر

منذ مطلع الألفية الجديدة والعالم بدأ يصطبغ بلون العولمة شيئاً فشيئاً، إلا أن الغزو الجديد المتعدد الجوانب تجلّى بعد عقدٍ من الزمن وأخذت الهويات الثقافية للدول المستهلكة ومنها العربية تصارع هذا المارد العتيد بشيء من الممانعة المحدودة. أما في العالم الإسلامي فكانت التيارات الداخلية منذ سبعينيات القرن الماضي تكافح الفكر التكفيري المتطرف الذي هو على النقيض تماماً من الرسالة العالمية السمحة للإسلام، وقد تجلّى هذا الفكر الشاذ مؤخراً بدوره أيضاً على الأرض في منطقة ما بين العراق والشام فوق منابع النفط الخام. إن ما جمعته الطبيعة من ضوء الشمس على مدى ملايين السنين أخرجته أنابيب النفط العملاقة، ونسيت شركات التنقيب الأجنبية في الشرق الأوسط، وربما عن تعمّد، أن تردم آبار الخوارج الناضبة بعدما فتحتها، مما أخرج أنويتها التي تفاعلت مع قشرة الأرض الهشة وأحدثت انفجاراً ديموغرافياً كبيراً طرده الحقل المغناطيسي الأرضي إلى خارج الغلاف الحيوي ليكون ذلك الغاز أساس الجرم الذي كوّن بدورانه المستمر حول نفسه جاذبيته الخاصة والتي تمكّنت من جذب عديد الأجسام التي تدور في فلكه حتى وصل إلى صورته النهائية. ويُطلق على ذلك الكويكب اختصاراً له (داعش) الذي اختار أن

يتعامد فوق نقيضته نسبة الأرض الذهبية (مكة) مركز الكون، حيث إن جزيئات هذا الكوكب لا تعرف الاستقرار وهي في حالة تصادم وتنافر دائم مع كل شيء يتعارض وجاذبيتها المادية المضادة لجاذبية أم القرى الروحية. لكن على غفلة من نوم الأمة الإسلامية استطاعت إشعاعات هذا الثقب الأسود السلبية أن تفتح جزءاً من الغلاف الحيوي وأن تصل من خلاله إلى الإشعاعات الإيجابية للأرض المباركة التي صارت تُرى من بعيد على أنها من صدّرت تلك الآفة إلى العالم أجمع. "أي إنسان يرى أنه لا يستطيع العيش أو التأقلم في مجتمعه ويكره الحياة أو يظن أنه مكروه من الناس من أي عرقٍ أو لون كان يسكن على وجه المعمورة، يهرول مسرعاً إلى ذلك المعبر" لكن دون عودة بحكم جاذبية جسمه المضادة لجاذبية الأرض: "كل مادة تخضع لجاذبية العالم الذي جاءت منه وليس لجاذبية العالم الآخر". ذلك المعبر كان المعبر المادي الوحيد وذا اتجاهٍ واحدٍ فقط، وكان قرينهُ معبراً افتراضياً إشعاعياً اخترق حتى ذرات الكون الخارجية في الفضاء لشدة توهجه، وسمي بـ "شبكات التواصل الاجتماعي"، وكان يستغله أنصار هذا الكوكب الغريب لصالحهم بالدعوة لاستقطاب أعداد أخرى راغبة بالهجرة إليه أو من التي تتمنى بدعائها اليومي له أن يرثَ سوادهُ في يومٍ ما: الأرض ما فوقها وما تحتها وما عليها بالإجمال.

"لكِ أكتب عن الكون المضاد. كان يجب أن أذهب في رحلـــة مدفوعة التكاليف إلى الفضاء"

وابتدأت الملحمة...

كتب آدم صباحاً على صفحته الشخصية في الفيس بوك.

حين يغمرك الحزن تأمل قلبك من جديد، فسترى أنك في الحقيقة تبكي مما كان يوماً مصدر بهجتك.

"جبران خليل جبران"

وانصرف إلى عمله، في فترة الظهيرة تعودت حـــواء وهـــي في الطريق بعد الفراغ من الجامعة أن تتصفح ردود مدمنيها. وقد وضعت صورة تزعم أنها التقطت في المطار فجراً وهي متوجهـــة إلى جزيـــرة إيبيزا – إسبانيا لقضاء العطلة الربيعية.

فتحت صفحتها وإذ بالتنبيهات تسمن جوعها غـــروراً (12107 إعجابات، 532 تعليقاً، 53 مشاركة، 222 رسالة على الخاص) وكل التفاعلات كانت تتفق على المدح، الإسراف في المدح، الابتذال فيـــه إلى حدّ تقبيل الأقدام! كان يعلو وجهها الشاحب نظرة مصطنعة من تحت النقاب الذي يغطي تاجها وكأنها تجلس على عرش المملكة، قبل أن تقوم عنه تواضعاً لترأف بشعبها وتقرأ ما كتبوا مـــن خطابـــات أمالت ثغرها جانباً بابتسام زاد حسن عينيها تألقاً، انتبه لـــه الســـائق بعدما أمرته بأن يرفع صوت المذياع طرباً لأغنية عراقية تتكلم إيقاعاتها السريعة عن الخيانة والانتقام رقصاً!

في تلك الأثناء كان الأمير يتفقد أحوال المدينة ليتأكد بنفسه من تطبيق لائحة القوانين الجديدة التي تملأ الشوارع إلا أنه كلما رأى ما هو مخالف لذلك يطلب من قائد المركبة أن يتوقف وقد أخرج نصف ذراعه المزين بساعة سوداء أهداه إياها زميله أبو حفص التركمانستاني عبر النافذة، وأصابعه تؤشر مع تكراره النداء:

- يا أخ يا أخ تعالَ، السلام عليكم. لا يجوز أن ترفع زوجتك عباءتها عن الأرض، ذلك مخالف للشرع.
- حسناً، بارك الله فيك.

انطلق بنا يا معتصم، ترجع ذاته إلى مخاطبته قبل أن يرد عليها، يسأله أحد أفراد الدورية:

- يا أبو ضيغم: ألم يزد جمال هذه الشوارع بعدما اكتست الرقة مظاهر تطبيق الشريعة الإسلامية؟

زانت الابتسامة وجهه قبل أن ينطق لسانه: بلى والله. قبل قليل كنت أحدث نفسي بالأمر ذاته، سبحان الله، بعد استوائه على مقعده بجانب السائق أخذت صور المناظر الملتقطة مرة أخرى كل لحظة خلال عينيه تخترق روحه بسرعة انطلاق السيارة. تكدس كم السؤال الذي طرحته ذاته مرات ومرات ومرات، خفف السرعة يا معتصم: هنالك مخالف آخر. ودون أن ينزل من مركوبته:

- يا أخ، السلام عليكم، لا يجوز أن تضع صور الكفار على واجهة محلك. رعاك الله.
- أنا آسف ولكني أتفيّأ بها من الشمس. أعاهدك أمام الله وأمام الناس أنني لن أجرؤ على إعادة خطأي من جديد.

- لا بأس لا بأس.. هون عليك. نحن نحرص على أن تلتزموا بالتعليمات الجديدة.
- هيا يا معتصم انطلق بنا من جديد، السلام عليكم.

في مكة كانت رامة تصحو من نومها دائماً مع دخول توقيت صلاة المغرب، مكتئبة ورأسُها يعلوه وجعٌ جاهدت نفسها في الأيام الأخيرة كثيراً للتأقلم معه لكن جميع محاولاتها فشلت، رفعت سماعة الهاتف الأرضي وطلبت من الخادمة إحضار فنجان قهوة على وجه السرعة، تناولت الحبوب المسكنة وراحت تتأمل شريط حياتها بلمح البصر ليتوقف عند محطتها الحالية، ضربت وجهها بكفيها أبقتهما هناك قليلاً خشية أن يرجع ما قاسته، فتحت أجفانها ورأت النور الذي يتخلل من بين شقوق الأصابع وأحست بالهواء البارد المنبعث من فتحات المكيف يدغدغ وجنتيها وإذا طرقٌ وصوت ينادي:

- ماما: كوفي، طق طق طق، ماما؟ عاد إليها وعيها منهياً تأملها الطويل ذاك، نزلت عن سريرها بخطوات رشيقة، فتحت بيدها الباب المقفول وقالت: ضعيها هناك.
- مين بالبيت؟ في ضيوف؟
- يس ماما.
- أوكي.

بعد فراغها من الاغتسال وشرب القهوة لبست وتزينت ووضعت دهن العود على معصميها المزينين بنقوش الحناء ثم مسحت بهما جانبي رقبتها أيضاً. عرّجت على غرف إخوانها وأخواتها

الصغار قبل أن تنزل إلى الطابق الأرضي لكن يبدو أن لا أحد فـــوق غيرها.

بعد إتمامه صلاة المغرب في المسجد وقعت في يدي حمزة نسخة من لائحة القوانين الجديدة التي تخص الحياة المدنية داخـــل الدولـــة الإسلامية:

1- حظر ارتداء ملابس الكفار للنســـاء والالتـــزام بـــالزي الإسلامي.
2- يمنع تدخين السكائر وكذلك الأرجيلة.
3- تغلق محال الحلاقة الرجالية ويمنع تقصير الشعر.
4- يمنع وضع الملابس النسائية على واجهات المحلات ويجـــب أن يكون البائع أنثى.
5- تغلق محال الخياطة النسائية في حال كان البائع ذكراً.
6- تزال كافة الإعلانات واللافتات للمحلات النسائية.
7- يُجلد سبعين جلدة من يقول كلمة (داعش) ويجب عليـــه قول: الدولة الإسلامية.
8- يمنع زيارة النساء للأطباء النسائيين بقصد المعالجة.
9- يمنع الشبان من تسريح الشعر وفق الموضـــة أو وضـــع أي مادة على الشعر.
10- يمنع على الشبان ارتداء الجينز ذي الخصر الساحل كمـــا تُمنع الفتاة من الجلوس على الكرسي. يمنع فتح المحـــلات التجارية أوقات الصلوات وإلا يعاقب الفاعل. من يقـــوم بابتزاز المواطنين من سائقي الأجرة عقوبته ستكون قطـــع اليد أو الرأس لأنه أضر بمصالح العباد.

بينما هو جالس يقرأ البيان، قاطع صمته صوت:

- تقبل الله يا أبو ضيغم.
- منا ومنكم صالح الأعمال، كيف حالك يا أبا عمرو؟

واسترسل مخاطبه بالكلام يسأله عن رأيه في مسألة إعلامية تخص التنظيم، بينما أوصلتهما أقدامهما عند باب المسجد. دنا منهما رجل مسلح وهمس في أذن حمزة:

- كما قلت لك يا أبا عمرو، رأيي هكذا، لا تنسَ. هيا بنا يا أحمد، أين باقي الرجال؟
- كلهم جالسون ينتظرون في السيارات.
- لا أرى معتصماً؟
- آه ألا تعرفه؟ الأكيد أنه أخذ غفوة صغيرة خلف المقود، فهو لا يشبع من النوم.
- بل أنا من يطيل الجلوس في المسجد كل مرةٍ (الأمير يحدث نفسه).

دخلت المطبخ وكانت تحرص على تنوع الطعام ولذته في كل مرة، تسأل الخادمات الأربع عما ينقص المائدة من مواد أو أدوات لتحضير الوجبات للزوار القادمين. كانت حريصة على تحضير حساء جدتها الخاص بيديها وعلى السؤال أيضاً عن نوع طبق الحلوى المعد لهذا اليوم، لأنها كانت تتغذى أكثر على السكريات ونادراً ما كان يُستساغُ لها تناول الطعام المطبوخ. كانت قليلة الأكل وبالتالي قليلة الكلام، من يراها من الضيوف هادئة هكذا أغلب الوقت ينخدع

بتصنّعها ذاك، إلا أن في داخلها تفور شواظ بركان يمكن أن ينفجر إلى أبعد مكان خارج جسدها النحيل.

هو بعد اجتماعه مع والي الرقة في دار الأخير والمسؤولين الأمنيين والقضاة العاملين في الدولة الإسلامية للتباحث في مستجدات الأوضاع الأخيرة من الصراع مع قوى التنظيمات الإسلامية الأخرى: من جبهة نصرة وأحرار شام وغيرهم على الخارطة السورية، تمت مناقشة النتائج الميدانية والمغانم المحققة وتقييم أحداث شهر نيسان لعام 2014م. انصرف إلى داره الخالي مع انتصاف الليل، الأمير المسؤول عن إدارة شؤون الداخلية للدولة: أبو ضيغم حمزة الشمري، لم يكن يأبه لكل ما وضع على الطاولة قدر اهتمامه بمتابعة ردود الأفعال على الأرض خارج حدود كيان داعش وما تتداوله وسائل الإعلام المرئي والمقروء إلكترونياً، بينما أغلب الناس يخلون إلى شياطينهم. كان بعد يومٍ طويلٍ شاق يستسلم للنوم والترحيب بزائري الليل "أحباب القلب" الذين يطرقون أبواب أحلامه ويرسمون على خديه غمازتين أخفتهما لحيته الكثّة وابتسامته الصفراء والمسؤولية الكبيرة الملقاة على عمامته السوداء كرهاً. بعد استقراره في درة الفرات لا يدري لِمَ كانت أمهُ مؤخراً تزوره بكثرة في منامه، يستيقظ فرحاً لبرهة قبل أن يتذكر مشهد موت أبيه أمامه ثم هروبه إلى البادية، يقطّعه الندم وكذلك الأسى على موت زوجته وابنته اللتين لم يغيبا عن باله، كان يراهن يومياً بكل أم تذهب بطفلتها إلى المدرسة صباحاً أثناء جولاته من هنا إلى هناك، وكان أيضاً يخاطب أباه بتواضع كبير وخجلٍ عظيم كلما مر بشيخ أو كهل، إلا أن بعضهم يقاطعون صفاءه الروحي وسعادته بكلمات

من اللهجة المحلية ومنها (خيّوه) يعيدونه بها إلى واقعه المر الذي لايزال يعيشه هنا.

كان حريصاً كل صباح أن يفتتح يومه بحكمة يضعها على صفحته الشخصية في الفيس بوك، اليوم (1) أيار عيد العمال، يحدث نفسه: تُرى ماذا أكتب للأصدقاء؟ أخيراً، يستقر رأيه على جملة ويضعها:

خير العمل ما نفع وخير الهدى ما اتّبع.

"عبدالله بن مسعود"

بعد الفراغ من المجاملات طوال الليل تخصص جزءاً من وقتها للاهتمام بشؤون إخوتها ثم تبقى مستيقظة تتصفح الإنترنت وتبحر في أمواجه وتغوص في أسرار محادثيها وعاشقيها الذين أتعبتهم ندرة تواجُدها للرد على ما كتبوه لها، كانت أغلب مشاركاتها في الفيس بوك تكون بعد صلاة الفجر واليوم قد وضعت هذه:

وكان لنا في (البي بي) حياة....
تعالَ ويكفي إحراجي
تعبت وما عرفت أختار
ترى ما بينك وبيني
حلولي أنت أكثرها

في كل جمعة التزمت الأخت البكر بأخذ إخوتها الصغار في الصباح الباكر ليجلبوا معها الطبق الحجازي التقليدي (الفول والتميس) وذلك بعد طابور طويل يقف فيه السائق ومعه أحياناً

أخوها فارس، إلا أن صبر الفتى لصغر حجمه ينفد بسرعة، يعود راكضاً إلى أخته رامة والصغيرة هوازن في العربة ينقل لهما مستجدات الخبز وأيضاً الطبق المفضل ليس في مكة وحدها بل في سائر أرجاء السعودية، في جدة سابقاً كان الأب يأخذها معه دوماً في هذا المشوار، كانت حريصة على أن تنقل كل ما كان يفرحها بصحبة أبيها إلى إخوتها الصغار، ترى بعيونهم نفسها، وترى بقفزهم كل حين تلك الزهرة الصغيرة التي شيئاً فشيئاً ذبلت وتفحم عودها، إلا أن عطرها لا يزال يثير في السكون جلبة. بعد الانتهاء من وجبة الإفطار في المنزل تحث إخوتها على الخروج بهم مع من كان عندها من النساء إلى باحات الحرم المكي الرحبة على أمل أن يجدوا مكاناً لهم وسط الجموع الغفيرة القادمة من كل حدب وصوب بأرجاء المعمورة لحضور خطبة الجمعة وتأدية الصلاة. في الغلاف الجوي للأرض وعلى الكوكب (داعش) تلك الهالة السوداء المتعامدة فوق الكعبة ترفرف فوق مآذن عاصمتها رايات الإسلام: ظلماً، وزوراً، وعدواناً، إلا أنه كان هناك مؤخراً من قاوم هذا الادعاء فقد ثارت بعض الأصوات المناهضة والرافضة في ثلاثة مساجد بريف الرقة خلال خطبة الجمعة قبل أن يتم إسكات مطلقيها بالقوة، حاجزين بفعلهم ذاك تذكرة الخروج من الدنيا على وجه السرعة، كانت جاذبية ذلك الكوكب المضادة لجاذبية الأرض تستقطب المقاتلين منها بإثارة ما بأرواحهم من حب للقتل والبطش والتعطش للسلطة الوحشية التي أرعبت نصف السكان الذين بقوا قصراً دون إرادتهم في تلك التربة الفراتية السوداء والتي يبدو أنها قد اختارت أن تعاكس قوانين الكون وقوانين الطبيعة وتعاليم الإسلام.

تعوّد أبو ضيغم خلال هذه الفترة المنصرمة من حياته بعد تأدية صلاة الجمعة أن يدعو رفاقه الذين يتوقون لتناول الثريد في داره: أبا عبدالله التونسي وأبا عبيدة الفرنسي وأبا سلمان الجورجي وكذلك أبا حفص التركمانستاني وأبا عبد الرحمن الليبي، كان يطبخ اللحم بطريقته الخاصة، واليوم كان هناك ضيفٌ جديد هو أبو دجانة القصيمي والذي سأله:

- بالله يا أخي أين تعلمت هذا الطبخ الرائع؟ هل كنتم كذلك تخيّمون في بر العراق سابقاً؟

يبتسم الحمزة ويتذكر أيام السكن الجامعي الجميلة في العاصمة الحبيبة بغداد.

بعد استيقاظها في الساعة المحددة تتجهز رامة وإخوتها ليخرجوا وجدتهم إلى شاطئ (ابحر) السياحي وكان لهم فيه شاليه يجتمع فيه عادةً بقية أفراد عائلتها الكبيرة من عمات وأعمام بأولادهم وأزواجهم نهاية كل أسبوع، منهم من كان يسكن جدة ومنهم من يسكن الطائف وأحياناً في موسم العطلات يحضر من يقطن الرياض أيضاً. تستمتع كثيراً بصحبة قريباتها اللاتي بسنها تتجاذب معهنّ أطراف الحديث وتسر بعضهن ما تتمنى في الحياة ويسمرن على ألحانٍ خليجية لا تخلو أحياناً من عروض الرقص أو العبث الإلكتروني مع أحدهم بقصد الضحك. كانت دائماً تحب أن تخطو لوحدها حافية القدمين على الساحل: تكلم البحر، تسأله ويجاوبها على عجل بأمواجه التي تهجم عليها وعندما يسكت تأتيها الرياح فتنثر أمواج شعرها على وجهها وعلى باقي مفاتنها، تمسك بشعرها الطويل المسدل وتلفه

بيدها ثم تعيد نثره في الهواء إلى أن يرتد خلفها وكأني بها مهرٌ عربي أبيض بعزته وجماله وعنفوانه، إلا أنها عندما يحين الصبح ترجع إلى عادتها القديمة في الاكتفاء بالنظر دون تفاعل، يحاول صدرها التجاوب مع حركة المد والجزر فيمتلئ هماً إلى أن تفرغه أصوات الأمواج المتكسرة عند أصابعها الغارقة في الرمل، وقد نشرت صورة قدميها هكذا على صفحتها وكتبت اسمها بصورة أخرى على الرمل أيضاً.

أثناء تجوله في اليوم التالي راجلاً برفقة أحد رجاله وإذ بشيخٍ كبير يتشفع به وأحمد يقول لما لا تذهب إلى ديوان المظالم يا عماه؟

- يا ابني لا يأبهون بما أقول، يسمعون منكم أما أنا فلا، أرجوك.. أرجوك يا أمير.. ساعدني لأخرج ابني من السجن فقد أخذته دورية الحسبة منذ أسبوعين ولا نعرف عنه شيئاً، وأمه تبكي ليل نهار...

يقول بخجل:

- حسناً حسناً يا عماه سأذهب الآن من أجله، ما اسمه وماذا يعمل؟
- إنه يبيع السوس على قارعة الطريق ويمسح زجاج السيارات الواقفة طمعاً بفتات النقود، حاولت أن أصل إلى جناب الوالي لكنني لم أستطع.

أخرج بزفيره ما لم يستطع قوله: (واللهِ صدقت).

- أبشر سأخرجه إن لم تثبت عليه إدانة.

ودّع الرجل ببشاشة أثلجت صدر محدثة وأجبرت لسانه تكرار الدعاء له، كان وهو يمشي بين الناس يوزع الابتسامة على الوجوه العابسة البائسة ويفشي السلام على العيون الفزعة ويلاطف الأطفال ويقبل الصغار منهم واليوم سأل أحدهم وهو يحمله:

- ماذا تريد يا بطل؟ أتريد قطعة شوكولا أم كيس حلوى؟
- أريد كرة، أريد كرة.

سكت حمزة دون أن ينطق بشيء، كانت قدماه وعصاه بالتناوب تحادثان الأرض وتشكوان لها ما ملأ صدره وأثقل كاهله، ففي السجن الذي زاره قبل قليل شباب بعضهم تهمته التدخين فقط أو عدم الحضور في صلاة الجماعة أما الباقون فكانوا مدانين بتجارة الخمور والحبوب المخدرة، كان يكره نظراتهم الخائفة وتملق الحياة بتوسلهم إياه أيضاً، للأسف بعضهم عقوبته الإعدام كالذي حضر ساعة تنفيذه قبل قليل في الساحة العامة مع الناس، على الرغم من أن شوارع المدينة تذكّره يومياً بمدينته الأم (كركوك) إلا أنه لم يكن سعيداً منذ إخراجه والمعتقلين خارج حدود السجن. كان يتمنى الموت على أن يرجع حليفاً لمن كان السبب المباشر في قتله لأبيه بكلتا يديه، لكن بعد إقامة جلسة المحكمة الشرعية عليه واتهامه بتفكيك وخيانة الخلية التي كان يعمل من ضمنها سابقاً في الموصل صار لزاماً عليه أن يثبت براءته بالعمل وتحرير رقبته من الرجل الأول الذي زكاه بنيل حسن ظنه على الدوام.

رامة لم يكن أكبر همها أن تنال الرضى قدر اهتمامها الظفر بتركة أبيها من أيادي الأعمام إلا أن سن إخوتها الصغار كان يؤجل

توزيع الحصص ويسهم حسب ظنها في استهلاك الثروة أكثر، سألها عمها الأكبر أثناء الجلسة الصباحية للعائلة:

- ريوم حبيبتي أيش تبغي بعد التخرج: نزوجك وإلا تكملي الدراسة في الخارج؟ (بلهجة الحجاز).

سكتت لثوانٍ معدودة طار فؤادها فرحاً للسؤال الذي يحثها للحاق بقلبها الذي أبعد عنها إلى كندا (فيصل) حبها الأول والأوحد، ظن السائل أنها خجلة على أن تصارحه باختيار الشطر الأول من السؤال لكن ذاتها أرجعت إلى عينيها سوادهما العميق وهي تعلن صراحتها للجميع:

- لا هادي ولا ديك، أبغى يعود الحق لصحابو!

أدهشت هذه الكلمات جميع الحاضرين وربما جميعهم اتفقوا على كلام زوجة عمها وهي تحدث نفسها: "يا لوقاحتك" بطريقة تعاطيها مع ذلك المزاح.

صاحت الجدة: اسكتي يا بنت بلا بشكلك. أعمامك مدويين حالهم بالشوغل من شان مين؟ هاه كلو لخاطر عيونكوم، كول ديك السنوات وهما محافدين على سروة أبوكي بإدارة الشركة وأنتي تعرفي كويس صعوبة الموهمة دي والبلد مليانه بشركات المقاولات.

بعدها ساد البرود الصباحي بقية أنشطة اليوم الأخير في المرسى.

كما ساد الفتور ذاته روح أبو ضيغم الكسلى. رجع إلى المنزل باكراً وفتح جهاز الحاسوب وراح يقرأ بعض الكتب الإلكترونية إلى أن أصابه الملل، بعد تصفح المشاركات كلها للأصدقاء المضافين في

الفيس بوك خطرت له فكرة بالبحث عن معارفه وأخذ يفتش في الذاكرة عن أسماء رفقاء الدراسة سواء الأولية في كركوك أو الجامعية في بغداد أم التطبيقية في موسكو لكنه لم يوفق بشيء يذكر. تفحص منشوره الذي تركه صباحاً قبل أن يغادر وكان:

حزنٌ صموت...
والصمتُ لا يعني الرضاء بأن أمنيةً تموت،
وبأن أياماً تفوت،
وبأن ريحاً من عَفنٍ مسَّ الحياة
فأصبحت وجميع ما فيها مقيت!

"صلاح عبد الصبور"

تدبر معاني منشوراته السابقة كلها وقد كانت جيدة منوعة فيها إرث ثقافي واضح وبصمة إبداع عقلي فذ لأعلام الأدب العربي والإسلامي، لكنها بمجموعها لم ترقَ إلى ذائقة الأصدقاء الخمسة والسبعين كلهم ولم تحصل بدورها إلا على إعجابين فقط! قال وهو يحدث الشاشة:

- ما بالكم لم تعد تغريكم النصوص الأدبية وتغريكم أكثر ثقافة الدم والطائفية والانحدار؟ ماذا حل بكم يا عرب؟ غريبٌ أمركم! عندما يضع ناشط إلكتروني صعلوك ولّته الدولة الإسلامية نشر مقاطع أرادت إظهارها للعالم تتهافتون بالآلاف للتفاعل وكأنه بذلك يطعمكم الخبز الذي نزع ملحه في بلدانكم، تباً لكم.

والله يا في صـــدري حـــزن والله يـــا في عـــيني دمـــوع
كنها عطايـــا مـــن مـــزن وكنه بقايا مـــن خشـــوع
لو كـــان لإحساســـي وزن تهشّـــمت منـــه الضـــلوع

وضعت تلك الأبيات ونزلت تصالح الجدة بعد كميـــة الـــبرود الذي ساد جو البارحة ثم رجعت إلى الغرفة لتقود المركبة الفضـــائية بأوامر جديدة تكتبها على لوحة المفاتيح، تنقلها إحـــداثياتها بســـرعة الضوء من شخص إلى آخر، ومن كوكب إلى كوكب، ومن مجرة إلى مجرة إلى...، أن داهمها وقت نومها المعتاد ظهراً وغطّـــت بســـبات عميق.

كانت السنابل الذهبية تمد عنقها على طول الطريق الواصل بين الرقة ودير الزور تحمل الحبوب الناضجة والتي ينتظرها الفلاحون على أحر من الجمر منذ أشهر عدة، قاطع ذلك المنظر الذي امتزج مع زرقة السماء معتصماً وهو يقول: انظر يا أبو ضيغم إلى الجهة الأخـــرى، السحب الدخانية قد لوثت سماء المدينة. بعد وصولهم إلى مقر الـــوالي وتباحثه مع المسؤولين هناك حول الأوضاع السائدة في المدينة ومناقشة أحوال الأقضية والنواحي والقرى التابعة لها، انطلقوا مرة أخرى عصراً عائدين باتجاه العاصمة (الرقة). ساد المركبة الصمت وعادت نفســـه تحدثه عن كل ما كانت تراه خلال الأيام الماضية، جاوبها أخيراً: والله صدقتِ أن هذه البقاع بمحصولها ودخنها وبشـــرة رجالهـــا تشـــبه كركوك، آه متى أتحرر من هذا القيد؟ وكيف أصل إلى ذلك العقـــد الذي سجنني هنا؟ وأين المسير بعد جهنم إلى جهنم؟

بينما هو مستلقٍ مساءً يعبث بهاتفه وجد برنامجاً في المتجر أعجبته فكرته كثيراً تتحدث عن إرسال رسالة إلى أشخاص مجهولين بعد وضعها في قنينة زجاجية وإلقائها في بحر افتراضي، شرعَ في تحميله وفوراً أخذت أصابعه تتمرن على الكتابة فيه، ماذا أكتب؟ أنقذوني أريد الخروج من هنا؟ هههه حسناً سنرى:

في أحد الأيام المأساوية
فقدت نصفي الآخر
نزلت إلى الشيطان
لأوقع معه عقد الأبدية
كان له ما أراد ولم أعلم
إنه يعيش غربته الأزلية
فحوّل نصفي الباقي كما طلبت
لكن بقوانينه الرجعية
لأزور به كل ليلة معشوقتي الراقدة هناك
في قبرها في إحدى قرى
شمال العراق العربية
صحوت بعد خمس سنوات
وإذ بالطين الأسود المحترق
طعمه بفمي ويغطي حتى
تلك ملامحي الطفولية
صرخت في بحر النسيان
أنقذوني إني أغرق

وأستمر في النزول ليس لي
من أحد يساعدني على الخروج
فكثيراً هي حالاتي
السود الملعونة الشيطانية
واليوم أرى نفسي
تنينٌ بسبعة رؤوس
أنفخ النار على من حولي
وأقطع الحبال الممدودة
واستمر بالنزول إلى قدري المحتوم
ألا وهو الغربة الأبدية
سألتني فتاة في أحد الأيام
لماذا لا تجرب أن تحب من جديد؟
جاوبتها:
لا أستطيع لأن يومي ليس كله لي
نصفي إنسان والنصف الآخر يتغير كل ليلة
واختاري أنتِ من بين جميع
الأشكال غير الإنسانية
أوقات أتحول إلى طائر أخذك
بعيداً إلى حيث السعادة
ومرات كثيرة تحولت إلى سحلية
تلعق حتى قدميها من شدة
الرمزية والنرجسية والتجهمية
وفي أيامٍ سرمدية أصبح أرنباً لطيفاً

يهديكِ أعز ما لديه، جزرة
يحملها بين أصابعه الوردية
وأخرى أصبح قائداً للجن وأحمل معولي
لأشعل به نار الفتنةِ في كل البلاد الشرقية
فابتعدي عني لأني في أحد الأيام سافرتُ
مع گلگامش لأفتش عن عشبة الحياة الأبدية
ليس لتولين
لأنها رحلت بعيداً عني
ولكن لنفسي لتستمر في حبها
إلى أن تفنى البشرية
لقد نجحت أيها الشيطان فحولتني
من حالتي الطبيعية
أنا (حمزة) إلى جميع أشكالك
التي تدعو بها إلى ترك العبودية
وتدعو الناس إلى التحرر حتى من الإنسانية
تبعوك وتحرروا من أجسادهم
لكن إلى أين؟
إلى النار التي سجرت أرواحهم فيها هناك
وأصبحت خيالاً لقلادة علقت كثيراً
على عنق محبوبتي الراحلة
إلى حياة البرزخ وبعدها بعون الله
إلى الجنة الأبدية
تباً لك كيف سأتخلص من عقدي وإياك؟

كيف أحرقه وأصل إليه
وهو بين يديك النارية
ضحك عالياً وأعطاني مرآته الفضية
لأرى نفسي التي أصبحت هي الأخرى
بين نصفها البشري والنصف الآخر نارياً
لأصيح لكن بعد فوات الأوان
وأقول أنا
ابن الشيطان

"نوريخ"

وألقى الزجاجة في البحر على أمل أن تصل إلى شـــاطئ غـــير شاطئ الأحزان هذا، وما هي إلا دقائق معدودة وإذ بردّ على رسالته باللغة الصينية وترجمتها كانت: أي هراء تتكلم عنه؟ أنت مهلاً ما هذا الجنون!!

على الجانب الآخر من العالم خرجت رامة مع رفيقاتها إلى المول لشراء بعض الملابس المستوردة والتسكع في أحد المقاهي الأجنبية التي أصبحت من أبرز سمات العالم الجديد. الشباب في المملكة ما زالـــوا يزعجون البنات فيها بقصاصات الورق المتراشقة من هنا إلى هنـــاك، انتبهت رامة إلى حقيبتها وهي لاتزال واقفه أمام الكاشير وقد ملئـــت أرقاماً لهواتف رمتها كلها بعد أن مزقتها وهي تبتسم من خلف النقاب لمحاسب المحل الأجنبـــي الذي تعود منذ أن وطـــأت قـــدماه أرض السعودية رؤية تلك الظاهرة، كانت الرطوبة في ليل جدة قد كست سماءها التي تحاول اختراقها النافورة العملاقة المشيدة قبالـــة الشـــاطئ

الجميل. رامة لا تقدر على فراق جدة وكيف ذلك وقد أصرت على أن تكمل دراستها الجامعية هناك برفقة صديقاتها صديقات الطفولة وصديقها الأكبر البحر بكل أسراره ومكنوناته الدفينة.

بعد انقضاء العطلة الربيعية عادت رامة إلى قاعات المحاضرات والمشي في الممرات التي زينتها لوحاتها وصديقاتها الفنانات، فهي لم تتوقف عن مزاولة هوايتها منذ الصغر واليوم قد شاركن في معرض أقامته عمادة الجامعة لتكريم ذلك الفن وبعض المشغولات النسيجية والتي أتقنت إحدى تقاناتها القديمة أخيراً، وضعت صورة على صفحتها وقد كتبت:

الجروح اللي تجيك من صديق
تذبحك أكثر من جرح العدو
كنها الشكه في لحظة شهيق
وكنها المغزل في قلب السدو

"من أعمالي اليدوية"

في اليوم التالي بينما هو يتجول في شوارع الرقة انتبه إلى ظاهرة آخذة بالنمو وقد وصلت اليوم حدها. تلك المشكلة في ضميره، ذهب إلى الوالي وطرح ما رآه لحلها إلا أنه كان عاجزاً عن حل مشكلته الكبرى التي أرقته وجعلته في الأيام الأخيرة كثير الصمت مشتت الذهن بارد الطباع يقضي عقله أغلب فترة نشاطه في المساء وهو يبحر بقاربه في بحر المعلومات. يحاول صيد أي شيء صالح للأكل يبقيه على قيد الحياة ويطيل أمله في الوصول إلى واحة خضراء تنهي كل آلامه إلا

أن رجاءه الوحيد في هذا الجحيم يبدو مستحيل الحدوث قريباً مهما كانت الطريقة ومهما كان حجم التضحيات المبذولة لذلك، فبعد قطع أرزاق الطبقة المعدومة من مزاولة مهن كانت توفر لهم الحاجات الأساسية للعيش كان الحل الوحيد أمام أبو ضيغم للحد من ظاهرة التسول المترتبة هو دعم المطبخ الإغاثي، لكن رفض طلبه وبشدة، فالمطبخ الإغاثي تأسس أوائل العام 2011م، من قبل دكتور صيدلاني محلي يوزع الطعام على طوابير البطون الجائعة كل يوم بعد جمع الهبات من السكان المقتدرين ومن أبناء المدينة المغتربين في الخليج.

بعد الفراغ من عمله نهاراً وبعد الزيارات الاجتماعية مساءً يتوقف يوم حمزة في محطته الأخيرة (البيت) دوماً، يقضي ساعات خلوته في تصفح مجلد حياته الكبير، يقف طويلاً عند الصفحات المشبعة بالسعادة ويقلب الخالية منها على عجل خوفاً من تذكر كل ما يسكن نفسه من ألم وغصة وندم، بينما هو يطالع صفحات الأصدقاء في الفيس بوك استوقفه منشور أسطوري عن خرافة يونانية ماجنة وضعها أحدهم:

"بتحريض من أمه الأرض قتل كرونوس والده أورانوس بالمنجل وقبل أن يموت أخبره بنبوءة مقتله أيضاً على يد أحد أبنائه، فقام كرونوس بابتلاع أبنائه الرضّع واحداً تلو آخر".

أذابت تلك القصة عيني حمزة بكاءً وحسرة بعد ما رأى أنه يقرأ عن نفسه بقتله لأبيه وبمناداته على ابنته وزوجته قبل أن يقتلن، ضرب رأسه بتكرار بكلتا يديه نادماً وروحه جعلت حول جسده حلقات حزن يراهن من بعيد من ينظر إلى زحل بعد ابتعاده وتنحيه عن

الشمس.

رامة (الزهرة) رغم قربها من شمس الأرض (مكة) إلا أنها لم تستطع الاحتفاظ بقمرها فيصل (عطارد) الذي استطاع الإفلات من مدارها ليكون كوكباً متفرداً نراه جلياً في السماء فوق القطب الشمالي، كانت الأيام كل ما تمر عليها وهي لا تزال متمسكةٌ بمكانها على الأرض تزيد حرارة سطحها، فهي الكوكب الوحيد الذي يدور حول نفسه من الشرق إلى الغرب عكس جميع كواكب المجموعة الشمسية. من يراها من بعيد يقول إن الأقمار الأخرى هي من تصطدم بها وتتكسر على سطحها. لم يعلم أن الثقب الأسود الذي يقع أعلى فخذها الأيسر قد أكل روحها منذ الطفولة، فحرارتها الداخلية اليوم جحيمٌ قد غُلفت شواظهُ بقشرةٍ هادئةٍ باردة بعدما أكلت أجسام الأقمار التي تجنبت دوماً الاصطدام بها، كانت كما الزهرة تغير موضعها باستمرار في السماء تشرق قبل الشمس على الأرض وتودعها بعد الغروب لترتفع إلى كبد السماء مجدداً وتحاول اجتذاب قمر الأرض إلى مدارها بإشعاعاتها المستمرة التي لا نزال نراها كل ليلة من ذلك النجم الأفاك.

لحالي:

هو شخص لطيف اعتدت الجلوس معه بكل أعيادي،

لحالي هو من أعز أصدقائي

"هابي بيرث داي يا حالي"

5/27 اليوم عيد ميلادي ما في مبروك؟

كيكتي حا تبقى متل ما هي في الصورة ما حدا يزورني: ☹ حياكم.

بعد قليل:

صحوتُ اليوم باكراً
بعد ليلة صاخبة
من أيام العمر الجميل
على همسكِ
وعلى يدكِ
التي داعبت أصابعها كثيراً جبهتي
فتحت عينيّ لأراكِ أخيراً أمامي
لقد اشتاق بصري إلى تلك الملامح
السمراء الخجولة
وإلى تلك العيون
التي سكنتني واعتصرت قلبي
لأنهض من فراشي البارد
وأركض إلى حضنك الدافئ
أضمك بلهفة ويبرد صدري
أخيراً... أخيراً أغمر أنفي تحت عنقكِ
وأتنفس رائحة جسدكِ
أصابعي تتحسس إدمانها حرارة نبضكِ
لكنكِ لم تتكلمي معي
لماذا..؟
لماذا هكذا دائماً تفعلين بي
لماذا تكتفين بالابتسامة
أهي ثقتكِ بعشقي لكِ

أم أنكِ
إلى الآن عاتبة لتأخري
اصرخي لا تقفي مكتفية بعناقي
والنوم علي كتفي
أنتِ دائماً هكذا
للأسف حتى هنا في الرقة
فزعتُ
وقد أيقظني نشيد المدرسة
القريبة من بيتي
والبرد على وجنتيّ
نسيتُ إغلاق النافذة
أرفع يديّ وأمسح دموعي
التي اشتاقت إلى أرضكِ
هل أنتِ سعيدة لأجلي؟
لماذا أشتاق إليك حتى بأحلامي؟
وأسجل ذكرى هذا اليوم في دفتري
فأنتِ الشيء الوحيد
الذي أردته وفقدته... بشدة
نعم أنا من بعدكِ
لا أرى نساءً من حولي
فالأنوثة قُتلت معك
والجمال ذهب معكِ
والرشاقة لم تعد موجودة بأي شيء

فكل أيامي دونكِ رتيبة
مملة لا تستطيع الجري
ولا حتى قدماي
أرجوكِ أرجوكِ... كفى
توقفي عن زيارتي
لأن قلبـــي هنا بين أضلعي
إلى الآن يثير جلبة
وأردتُ لهذا الصدر
بعد سفري وإقامتي هنا
أن يعيش بسلام
أن يعيش بسلام

"نوريخ"

وألقاها في البحر...

كان كل ليلة ينتظر الأحلام ليهرب من واقعه، وعلى أمـــل أن تجدي إحدى نجاويه اليومية بردٍّ من أنس أو جان أو حـــتى مخلـــوق فضائي يخفف غربته إلى حين العودة إلى أرض الوطن، دخلت رامة إلى البرنامج ثم أتتها رسالة من "نوريخ" لكنها لم ترد عليها، اكتفت فقط بحفظها على الهاتف، أحزنها ما قرأت وقالت في نفسها: أمعقول أنه لا يزال هناك رجال أوفياء في هذه الدنيا؟ تأثرت بها بحكم ولادتها في برج الدلو الذي يملي عليها ما سكبه أورانوس في نهر الفضول والتحدي.

انتبهَ لتبدل حال الأمير مرافقيهِ المعجبين بـــه وكـــان أكثـــرهم (معتصم) الذي لطالما تغنى بصفاته.

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام.

وانطلقت السيارة إلى غايتها بصمت...

- ما بك يا أبو ضيغم؟ هل هنالك شيء؟ لم أعتد صمتك الأخير (معتصم يكلمه).
- لاه.... لا شيء إنها ضغوط العمل المعتادة.
- لكني لاحظت سرحانك الطويل في الفترة الماضية؟

ثم يمازحه معتصم: اليوم سأقول لزوجتي أم منصور أن تبحث لك عن زوجة.

- لا لا.... إياك أن تفعل (وقد فرج عن كرب صدره قليلاً بابتسامة سرعان ما تلاشت).

ويرجع حمزة إلى صمته الطويل ويحدث نفسه: يا ترى ماذا هناك؟ وهو يمسح لحيته، هل عاد (الحاج بكر) من مهمته أم ماذا؟

ظل يسأل نفسه طوال الطريق إلى أن وصلوا إلى مكان الاجتماع الصباحي المبكر.

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد عناق حار مع الإخوة أعضاء مجلس الشورى، جلس على كرسيه المخصص للتداول.

قال: خيراً يا أمير المؤمنين؟

- كل الخير يا أبا ضيغم، كل الخير. البارحة وفي ساعة متأخرة من الليل وردتني معلومات مهمة من العراق.
- العراق؟ (ياه كم اشتقت إلى أرضك يا أبـــي يا عراق) وهو يحدث نفسه.
- بخصوص إخوانكم المعتقلين في مدينة الموصل تقول المعلومة إنه بعد عشرة أيام سيتم نقل الإخوان المجاهدين إلى سجون مدن الرافضة الكفرة وقد يبيدونهم عن بكرة أبـــيهم إن لم نتحرك لنجدتهم في أسرع وقت!

رجعت روح حمزة إلى جسده مجـــدداً واستنشـــط صـــوته أكثر:

- هل وضعت خطة يا أمير المؤمنين؟
- نعم، وها هي النسخ بين أيديكم، تصفحوها. هذه الخطة وضعتها قبل عام من الآن بعدما نفذنا الشق الأول مـــن استراتيجية تحرير السجون العراقية، وتشير المعلومات أيضاً إلى أن معنويات الجيش العراقي متراجعة جداً هذه الأيام وهي في أدنى مؤشر لها منذ هجومنا المبارك على ســـجن أبو غريب، إضافة إلى أن إخواننا في الموصل قد شـــددوا رميهم وهم في ذروة الإيمان وأنا أرى من الأحـــرى أن نتقدم في هذا التوقيت وبشكل سري وسريع ومباغـــت، ماذا تقولون؟
- قد يفتح الله علينا؟

وكلٌّ أدلى بدلوه وحمزة صامت ينظر إلى أبـــي بكر البغـــدادي أمير المؤمنين.

- ماذا هناك يا أبو ضيغم؟ أعطنا رأيك، أشِرْ علينا!
- ما تفضلتم به والأخوة هو عين الصواب، وأنا لا أرى أفضل من إنقاذ المجاهدين إخواننا لينعموا معنا في ربـــوع دولـــة الإسلام هنا بيننا ومن يدري قد نتوسع هناك.
- أحسنت.

كانت أقدام حمزة تريد أن تطير به إلى خارج المبنى مـــن شـــدة الفرح يريد أن يزف خبر رجوعه للعراق إلى كل الدنيا، أمسك هاتفه فتح برنامج المحادثات المجهولة message in a bottle، ثم رفع عينيه عن شاشة الهاتف وانتبه إلى (أحمد) الذي كان يختلس النظر إلى شاشته ثم عن عمد بعد تردد قليل كتب أمامه حديث رسول الله محمد ﷺ:

"تبسمك في وجه أخيك صدقة".

صدق رسول الله

ثم تبسم في وجه أحمد مبادراً والذي أعادها بشيء من الخجـــل. أرجع عينيه إلى شاشة الجوال وبلمسة سريعة عليها بسبابته رمى تلك الزجاجة في عمق البحر الغريب.

طوال ذلك النهار والابتسامة لم تفارق محيا الحمزة ولا روحـــه الحاضرة بشدة في صوته الذي أفرح معتصماً وباقي أفراد دوريته التي كانت أصواتها تتفق مع صوت معتصم في صدره وهو يهتف: "لقـــد عاد أميرنا" لقد عاد.

لم يعلم أبو بكر البغدادي أن «أبا ضيغم الشمري» كان هو الآخر يرتب لخطة منذ خروجه من السجن وانخراطه في سجنه الأكبر معهم، نعم لقد حانت ساعة الصفر!!

- الحمد لله إجاباتي كويسة، أنتِ كيفك ماما وكيف حالك؟ كيف صحتك؟ كيفها تيتا هلق صارت أحسن؟
- مشتاقة لك كتير يا مو، أي طلال وفارس وملاك وهوازن كلهم يبوسون أيدك، مو ناقصنا إلا شوفتك.
- إيه باقي لي ثلاث امتحانات وبخلص، آه يا ريت بقدر أجي على عطلة الصيفية، والله اشتقت لسوريّا.
- نعم أي والله، الله يكون بعونون مساكين، بنشوفهم على التلفزيون كل يوم، أي والله معترين هل شعب.
- أميّ: كيف الأوضاع عنكون؟ أها، الحمد لله، الله يديم الأمان، والأحزاب الكردية لا يكون يضايقوكو لأنكون عرب؟
- الحمد لله، بيبقوا أحسن من النظام الرافضي، هذول أخوالنا، آه يا أمي آآآآه أديش مشتاقة لك والله ما بتكفي الاتصالات اليومية، كل ما بدي شوفك على سكايب بيقطش الاتصال قبل ما بنقطع الخط أو نشوفك بتبكين وتبكينّا معك: يسعد أرضك يا ديريك.
- أمي تتذكري يوم كنا مع أبي نتغدا بمصيف عين ديوار؟ وكيف سرق خالي سليمان سيارة البابا؟
- هههه، أي والله كان مراهق يتعلم السواقة، منيح ما صدما بشي حيط.

- أوف يا ليت يرجع الماضي، الله يخليكي يا أمي تعالي؟ ماما: نرسلك الفيزا على أربيل وتيجي أنتِ وستّي الله يخليكي قولي أي؟ الله كريم، الله كريم، سلمي عا تيتا وعلى نسوان الضيعة، في أمان الله.

اضطجعت على فراشها تبكي وهي تحتضن وسادة أمها وتشمها، لقد أمسكت دموعها وهي تكلمها، فهي في أمس الحاجة لها حتى أكثر من الصغيرة هوازن، ثم بعد أن هدأت دخلت إلى الفيس بوك وكتبت على صورة لطفلة سورية مصابة ملفوفة الرأس:

لو ينجرح راسي وينهان ما هان
عزمٍ زرعه الله بصدري وراسي
قولو لبشار القذر كان ما كان
أموت واقفة بس ما يموت ساسي

ثم نامت وما هي إلا دقائق ويشتعل الفيس بوك بالتعليقات المؤيدة لما طرحته، بل وتعدى ذلك إلى سيل من الشتائم بحق الرئيس السوري من قبل أصدقائها وكان أغلبهم سوريين وسعوديين وثلة من مريديها العراقيين.

كانت مسؤوليتها كنجمة السماء التي ترشد التائهين، تتيه الراشدين منهم بحبال مودتها، إلا أن تلك النجمة التي تغير موقعها من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب تعرف كيف تُذهب عقول متابعيها الذين يتخبطون الخطى في وحل هواها الزائف ومشاعرها الفياضة

نحوهم كلن على حدا على وجه الخصوص، تارة نراهم يمشون نحوها إلى الشرق دون أن يدركوها فترتفع إلى السماء قبل أن تختفي وتارةً أخرى تُبكيهم وهي ترسل لهم مع الغياب إشارات ودها ويرجع من حيث ما أنطلق عاشقها إلى نقطة البداية ويتعداها قليلاً قبل أن تختفي مرةً أخرى، كانت ترى في نفسها تلك الفرس البيضاء العربية الأصيلة الكحيلة التي لم يقدر أحدٌ على ترويضها وكانت ترى في فيصل حصاناً أدهم جامحاً وناداً وقريناً وحبيباً وقاتلاً.

صحت فزعة في الظلام يكاد قلبها أن يخرج من صدرها، نهضت وهي تحاول منعه من ذلك بكلتا يديها، بلت ريقها ماءً برشفات المقطوع في الصحراء على أمل أن تعيد روحها إلى الحياة، أرّقها الكابوس الذي لم ينفك عن زيارتها منذ الحادث قبل خمسة أعوام. وضعت كفيها على وجهها وهي تحاول أن تهدئ من روعها بقيت جالسة قليلاً في الفراش تفكر في طريقة تمنع تلك الكوابيس المزعجة من زيارتها مرةً أخرى فقد جربت جميع أنواع الرقى دون فائدة، وإذ بصوت المؤذن يرفع الإقامة لصلاة العشاء. طمأنها النداء وأعاد السكون إلى نفسها المنزعجة المضطربة، دخلت لتستحم بماء بارد بنية تغيير مزاجها بعد حمام الاكتئاب الغاضب وفورات الندم القاتلة التي تلتهم روحها كلما صحت من النوم.

"من الصعب جداً أن يرى الإنسان من نفسه مصدر شؤم وشر، يلومها كلما يحدث مكروه لقريبٍ يحبهُ دون أن يكون له يدٌ في ذلك".

رجع حمزة إلى الدار فرحاً يتفحص أغراضه ماذا يأخـــذ ومـــاذا يبقي من ذكريات الأمس. إنه العراق، إنها كلمة الحرية التي هتف بها زملاؤه المساجين سابقاً إنه السماء الذي أشتاق بصرهُ إلى معانقتـــها، إنه التربة التي نشأ فيها أنه الهواء الذي قد يعيد ما تبقى مـــن فتـــات روحه إلى مكانها وتخضر أوراقه من جديد.

وكتب في الفيس بوك بعد غياب لأيام:

الشمس أجمل في بلادي
من سواها والظلام
حتى الظلام هناك أجمل
فهو يحتضن العراق
واحسرتاه متى أنام؟
فأحس أن على الوسادة
من ليلك الصيفي
طلاً فيه عطرك يا عراق؟

"بدر شاكر السيّاب"

ونام على انتصار الحنين، فقريباً سَيدكُ أصفاد أسره بقوة!

بعد انتصاف الليل بدأت في دراسة المادة السادسة التي ســـتختبر فيها غداً صباحاً و لم ترفع رأسها عن مراجعة الكراسات والكتب إلا على صوت أذان الفجر. بعد الاغتسال والوضوء وأداء الصلاة دخلت النت ورأت كمية التفاعلات المعتادة على منشوراتها السابقة، شجعها ذلك على إضافة منشور آخر:

"خارج التغطية أذاكر..... دعواتكم".

وانصرفت إلى خزانة ملابسها تختار ما ترتديه لهذا اليوم.
صحا مرعوباً كعادته بعد فرحة البارحة لكن ها هو اليوم يبكي بحرقة!

"فالكوابيس رسائل عتاب تأخرت في الوصول إلى مسبّبيها".

كتب محاولاً التخلّص ممّا عكّر مزاجه هذا الصباح:

كفى أرجوكِ لا تأتي إليَّ مرةً أخرى
بمنامي وتوقظيني على جرحي
الذي أحاول أن أغفو عليه
لم أعد ذلك الفتى الذي أحببته يوماً
ها أنا بعد فراقكِ شتات إنسان
انظري إلى كرسيّي الذي لم أبارحهُ
وكيف تمشي قدماي
وأنا في بحر من الأحزان
وانظري إلى وجهي وشعري وجسدي
قد أتعبني قلبـــي يتذكر
وأنا أريد النسيان
ارحلي وابحثي عن ملاك
أو في الجنة عن إنسان
فأنا يا حبيبتي مثلهم أصبحت
أليس الفكرةُ بأن كل رجلٍ خوّان؟

ولكن قلبـــي يبكي ولا أستطيع إخراسهُ
كل يوم يعلو به الحنين إلى الأوطان
حسبت أنساك بعدما بدلت العراق بالأحزان
فأنا خنتكِ منذ فقدتُ وعيي لتسعين يوماً
وأنتِ تعانين هناك من الدم والعدوان
في يوم وداعنا ويحي
كيف تردّدت بأخذكِ في الأحضان؟
وخنتكِ قبل قبلها عندما سمحت
لجيش الظلام والدخان
أن يحتلوا بلدي ويزرعوا
بدل كل زهرةٍ فيه متطرفٌ شيطان
فأنا دائماً أخونك وأنتِ لا لم تعلمي
حتى عندما كنتُ راقداً في المشفى
أتيتِ وزرتني ومعك الورد الأبيض
لا أدري لما أدرتُ وجهي عنك
أفٍّ... ليتها تعود بـــي الأيام
لأصفع نفسي وأنهضُ إليك
وأحتضنكِ لأنتشل مني
كل ضعف وحرمان
آه كم أنا جبانٌ
نعم جبان ودائماً خوّان
ليتك تنظرين بعيون النساء اليوم لي
فإنّهن يرونك في عينيّ فقط

وأنت تستحقين أن أصلبَ نفسي لكِ
وأكتب على جبهتي لا
لستُ شهيد الإنسانية
وإنما المسيخُ الدجال
كل يوم أزحفُ في الأرض
وأنشرُ الفساد في كل مكان
أضحك مع هذا وأشفي جرح ذاك
مع ذلك لست بإنسان
كي لا أنسى أول خيانةً لي في حبكِ
كنتُ كل يوم أقول غداً أخرج إلى أرض حبكِ
لأصحى وفوقي زبر الحديد أطنان
فأنت لست لي منذُ كنتُ خلف القُضبان
واليوم أقول لها لكِ بفصيح اللسان
أحببتك أكثر مما أحببتني
والبرهان أنتِ في قبركِ
وأنا في دنيا تملؤها الأحزان
نعم الحقيقة لها وجهٌ واحد
لا اثنان
كُلُّ رجل في الدنيا
خوّان
خوّان
خوّان

"نوريخ"

وكأني به رمى شيئاً من الذي يسكن قلبه إلى البحر وأكمل ترتيبات يومه الأخير هنا قبل أن يسافر في رحلته الأخيرة إلى الملاذ النهائي.

لم تكن إجاباتها موفقة كثيراً اليوم، ربما حان الوقت المناسب للترويح عن النفس بعد الضغط الكبير في الأيام الأخيرة، وها هي الفرصة مؤاتية لحضور حفل زواج نهاية الأسبوع لأحد الأقرباء في الطائف. كانت تحرص على مرافقة جدتها في المناسبات دائماً والجلوس بالقرب منها إلا أنها كل ما يحين لها فسحة تقف عند منصة العروس تشاهد نفسها وهي تزف في أحد الأيام؛ كانت تصفق فرحاً تسابق قريناتها بطلب أغنية ترقص عليها. تعودت العائلات الغنية في السعودية على أن ينتجوا باسم العريس والعروس على وجه الخصوص أغنيات يتغنى بها المطربون الخليجيون المشاهير كمكمل لديكور وأجواء حفل الزفاف رغم تكلفة الألبوم المرتفعة والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من مليون ريال سعودي، يسرح خيالها بها إلى ألبوم زواجها ومن ستختار من مطربيها المفضلين وكيف ستدخل إلى قاعة الاحتفال على أغنيتها من مغنيها الأفضل. هكذا يخطط أغلب البنات وبالطريقة ذاتها يحلمن هناك.

بعد الرجوع إلى البيت مع الخطوط الأولى للفجر تهب رامة مسرعةً إلى نزع قناع المجاملات الملون والمعبأ بالعطور وقد علا اليومَ على وجهها الصامت، حاجبها الذي سطا على توأمه وهو يحلل كل كلمة وكل حركة كانت موجهة إليها وبتعبير منها عن الإجهاد البدني والعاطفي والتمثيلي، يقف هكذا معلناً عن حالة الطوارئ والنفير العام. بعد بحثٍ طويل استقرت على صورة تضعها لمعجبيها

وكانت استمارات تسجيل لأطفال أيتام وكتبت:

بشر كافـــل اليتـــيم بريحـــة الجنـــة

دامه بقرب الله ومن خيرة أحبابـــه

وقال الرســـول الكـــريم المصـــطفى

عنه، بيني وبينه مثل وسطى وسبابة.

مع غياب الشمس اتجهت قوافل المجاهدين من ولاية الرقـــة إلى ولاية نينوى لنصرة أعضاء المجلس العسكري العراقـــي الـــذين قُتـــل بعضهم في مقرات التدريب على طول الحدود العراقية الســـورية في ولاية الفرات، وبقيادة الأمير أبو عبد الرحمن البيلاوي حانت اللحظة لدك حصون معتقلات الروافض في الولاية وإخراج المعتقلين. بعـــد منتصف الليل تم الوصول إلى سجن (بادوش) وبعد حصار دام لست ساعات من أبناء الدولة الإسلامية في العراق تم تحرير ألفُ سيفٍ ليرفع للجهاد في سبيل الله في وجه الرافضة والمرتدين، إلا أنه يعز علينا زف خبر استشهاد بطل من أبطال الدولة وسيف من سيوفها وقائد مـــن قادتها الأبرار ورمز من رموزها وعَلَمٌ من أعلامها وإمامٌ من أئمتـــها ورجل من رجالاتها، اللهم تقبله في عليين، اللهم آمين يا رب العالمين.

"المكتب الإعلامي لولاية نينوى"

انتشت وهي ترى مقطع فيديو نشر تحت عنوان (تحرير سجون ولاية نينوى). تفاعلت وطابور جمهور الشامتين الشاتمين المهنئين دعاة الفتنة من صعاليك الجزيرة العربية والمطبلين لها. بدورها كتبت:

"اللهم انصر المجاهدين في العراق وسوريا واخسف اللهم الأرض ببشار الزنديق وأرنا اليوم في نوري المالكي عجائب قدرتك".

بعد إخراج جميع نزلاء سجن بادوش انضم ألف متطرف لجنود الدولة من المعتقلين أصحاب السوابق، أما بقية المدانين فقد تم الإفراج عنهم دون الشيعة الذين تم اقتيادهم لمكان ليس ببعيد وفي سيارات النقل الجماعي إلى شعيب جاف روته دماء ما يقارب 800 معتقل شيعي قبل أن تحرق جثثهم.

"قناة العربية الحدث"

إصبعها ولسانها لم يتوقفا ولو للحظة ذلك اليوم في الانتقال من محطة لأخرى ومن الدعاء بالنصر إلى الدعاء بالتنكيل.

غداً يا رجال ستثأر لأبي عبد الرحمن البيلاوي، سنحاول اقتحام جميع مراكز الشرطة الاتحادية في الجانب الأيمن من الولاية..... وظل صوت أبي بكر الخاتوني يتأبط شراً في الأثير وحمزة يحدث نفسه وهو واقف بينهم معلقاً باستهزاء "حسناً سنرى ذلك" غداً سأتخلص (أنا) منكم وإلى الأبد.

بين جميع نكسات حزيران العربي خرجت فرحتها من جدة تهللُ بانتهاء الامتحانات.

- أنا جاوبت منيح بس السؤال الرابع كنت مخربطة وانتِ يا سارة؟
- هوا الدكتور كان حالف إلا يجيب أصعب الأسئلة، كده كده أنا غرقانه هههه.

- استني بدي كلم ميمو لا تيجي معنا، تأخرت البنت لساته بقاعة الامتحان.
- ألو وينك يا منزومي؟ احنا نستناكي برا، اي أنا عازمتكن نروح نفطر بشي مكان.
- أوكي سلام.
- هافينه حا تيجي؟
- إي جايي.
- يخرب بيتك يا ريوم كتير تحوبي تتكلمي شامي.
- إي ولو أنا خوالي شوام.
- لك تسلملي يا قبضاي هههه.

وما إن حان وقت صلاة العصر إلا ورامة بدأت تغط وهي في الطريق للمنزل بغفوات مزعجة.

- شو يا محمد لا تمشي شوي شوي عجل بدي نام.
- أوكي ماما بس في ساهر. (نظام مراقبة السرعة المروري).
- بلا ساهر بلا بطيخ مسمر، شد!

وبعد وصولها إلى مكة غطت بسبات لم تصحَ منه إلا قرب منتصف الليل وبصداع شديد أثر على فتحتي عينيها ضيقاً، وبعد طقوس الاستيقاظ المر المعتادة نزلت إلى الصالة لتبتدئ يومها عكس باقي بني البشر، وكيف لا وكوكب الزهرة يدور حول نفسه بعكس دوران باقي المجموعة الشمسية التي يقبع في آخرها زحل والذي توعد الكويكب "داعش" اليوم بقرب الاصطدام الكبير!

سقوط محافظة الموصل بيد ثوار العشائر!
سقوط نينوى بيد حزب البعث!
تضارب الأنباء حول الحدباء.
نعم انتظروا!
عاجل!!!

سيطر تنظيم داعش على مدينة الموصل "أم الربيعين" بعد سقوط الجانب الأيمن من المدينة بيده وبعد مقاومة الجيش لساعات قليلة هربت قياداته وأمرت الجنود بالانسحاب مما ترك منظر المدينة يعج بسحب الدخان وبجموع المهرولين إلى الخارج، الانهيار الأمني الكبير الذي شهدته المدينة أثّر سلباً على باقي قطاعات الجيش في المحافظات الشمالية الأخرى، فسقطت الواحدة تلو الأخرى كقطع الدومينو واستولى التنظيم في العراق على مدرعات وآليات وأسلحة ثقيلة وطائرات حربية وصواريخ نقلت أغلبها إلى ولاية الرقة.

الهروب الكبير الذي كان يحضر له حمزة تبخر أمله فيه بانهيار معنويات أفراد الجيش العراقي التي اجتمعت كلها بسلبيتها في جسده، كان يمثل كعادته منذ إخراجه من السجن ويرسم على وجهه ملامح الفرح بالانتصار الكبير والثأر لأبي عبد الرحمن البيلاوي بتلك الطريقة، تشتت، ولى، ضاع، انكسرت ساعة الرمل "الأمل" قبل نزول آخر حبةٍ فيها، الاصطدام الكبير تحول إلى انقياد أكثر نحو مركز جاذبية ذلك الكوكب، وتحول زحل إلى الأبد كذرة تراب في ذلك النجم الآخذ حجمه بالازدياد يوماً بعد يوم، يبدو أن التكبيرات ومشهد رفع الأيادي والأفراد بالسبابة، تكرر أمام كاميرات العالم

لكنه قد لا يعني التوحيد لله، بل قد يكون الإشارة إلى ذلك الكوكب الأحمر الذي ظهر سابقاً في سماء أفغانستان "أي نحنُ من ذلك الكوكب" الذي يعتبر ظهوره سابقاً في ثقافة شعب المايا نذير شؤم وبداية ويلات وحروب ودمار ومصائب للبشرية جمعاء، الكوكب الأحمر (الزهرة) الذي يزين السماء هو مصدر تعب لجميع مواليد الأبراج التي قد يمر بها وبالأخص الأسد (حمزة) الذي لا يزال يعاني، بل هو في قمة المعاناة، جراء مكوث فينوس في برجه منذ سنوات عدة والذي يبدو بأن تأثيراته السلبية قد وصلت الآن قمة ذروتها.

كتب في إحدى ليالي أم الربيعين (بل أم السوادين) وهو يحاول مداواة جراحه:

أنا الجسد الوحيد الممزق على هذه الأرض
أنا إحباطات الرجال في أصدقائهم
أنا ثورة الحق التي باءت بالفشل
أنا الحلم الجميل الذي استمر في النوم
أنا شعلة العلم التي توهجت كثيراً ثم انطفأت
أنا ذاك الأعزب الذي عبر التسعين
أنا السجين في تلك الزنزانة الفردية
أنا الأخرس الذي كان أبلغ الناس في الكلام
أنا الضريرُ الذي كان يتمنى نور الشمس كثيراً
أنا الطفل الذي تعب من براءته وقد أصبح رجلاً
أنا خصوبة التراب التي حُوّلت إلى رمال عادية

أنا جذع النخلة الذي أبى الخضوع للموت فردياً
أنا الوطن الذي تمزّق جسده سياسياً
أنا ذاك الشعب الذي هُجّر قسرياً
أنا الإنسان الذي لم يعد له في دولتي حقوقٌ مدنية
أنا من سافر وبقيَ يعيش في المطاراتِ دون هوية
أنا رجل مطارد خرج ولم يعد لدولته الفلانية
أنا المواطن الذي لم يعد لدولتي
لا نشيدٌ لا جيشٌ لا علمٌ، ولا حتى جنسية
أنا معاناة كل العراق في الأعراق
أنا وأنا وأنا
ذاك الظل الطويل
أنا الوحيد الفريد البعيد النادر
آه أين أنتِ يا دولتي الوردية
تولين.. تولين.. تولين
قد هتف الشعب باسمك ألا تلبـــي؟
لا تلبـــي النداء نعم لا تلبـــي النداء
قد قتلتك جيوش التكفير والحلفاء
وكلهم للعراق
أعداء
أعداء
أعداء

(العراقي)

وألقاها في البحر على أمل أن ترسو بعيداً عن متناول البشر، لكنها وصلت إلى أحدهم قرأها وهو يبكي، وقرر بعد استلامه للرسالة الثانية من الشخص نفسه أن يرد عليه وكان:

إلى نوريخ:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد قرأنا ما كتبت سابقاً، واليوم قد أخرجت ما لم تخرجه مدامعي من قبل. فيا أخي خفف بالله عليك واستغفر ربك فمهما بلغت ذنوبك هناك ربٌّ رحيم وسعت رحمتهُ كل شيء.

بعد امتعاضه من وقوع رسالته بيد شخصٍ عربي صحيح اللسان كتب ما يلي:

إلى جارة الأزد:

هذا غيضٌ من فيض والقادم أعجب!

- ليش أنت وين؟
- مسجون.
- وين بغوانتنامو؟
- لا بالموصل.
- آها يعني أنت عراقي؟
- إي، كنت عراقي.
- ليش تحكي هيك؟
- واضح من لهجتك أنك سورية.
- أوف أوف أي والله شامية ومتلك مسجوني هون.

- بالشام؟
- أي شام الله يخليك، لا أنا في السعودية.
- ها زين والله أحسن لك من سوريا.
- بلادي وإن جارت عليّ عزيزةٌ.
- إيه إيه أووووف، صدقتي.
- احكيلي كيفها الموصل هلق؟
- منين ابتدي ولوين انتهي إيه إيه خليها على الله بس.
- الله يعينكن أجوكم الدواعش.
- المشكلة الناس فرحانين يا أختي.
- ليش؟
- مو كان الجيش العراقي مآذي الناس ويعاملهم كأنهم سجناء.
- ليش الله لا يسامحن.
- والله كان كل حي سكني مسيج بصبات كونكريتية ومنفذ واحد بس للدخول والخروج وتفتيش السيارات وتدقيق على الهويات وأكثر من هذا بعد.
- متل أيش؟
- من يجي الرجال بالليل ومعاه عايلته يجبروه إلا يشغل الضو الداخلي حتى يتفرجون على النسوان وهذا مو من شيم العراقيين، بعد اطّبعو بالأميركان. ما يفيد الحكي والدواعش استغلوا الفرصة من اجونه، فرجوا عن الناس المساكين خطيه.

بعد 15 دقيقة:

- ألو، وينك؟
- هون هون موجودي.
- أنتِ من نفس الشام؟
- لا، أنا من الرقة.
- الرقة! وشلون يصير؟
- كيف يعني؟ مدينتي.
- بس ما تحكين مثلهم.
- إي، أنا بالأصل من الشام بس طفولتي ودراستي كلها بالرقة، بحكم عمل الوالد. إنت شو عرّفك بلهجة الرقة؟
- كان عندي شركة نقل بضائع بعد فتح الحدود بين العراق وسوريا بعد الاحتلال وكنت مقيم بالرقة، لأنها صايرة بوسط المسافة بين الشام وبغداد.
- الله حلو شغلك، شو عرّفك؟ يمكن بأحد الأيام التقينا هونيك.
- هع يمكن، كم صار لك من طلعتي؟
- صار لي شي سنتين.
- وليش ما رحتي لتركيا أو الأردن أو حتى العراق؟
- هيك صارت القسمة إجينا عمرة وبقينا بمكة.
- الله مكة شقد أحبها وأتمنى أجيها بيوم من الأيام.
- تعال وليش ما تيجي؟
- صعب.
- وليش صعب؟ لا يكون صحيح مسجون.

- إي.
- وشو تهمتك؟
- قتلت عائلة.
- أفففففف.
- هههه، أشاقه وياج.
- شلون يعني؟ ما فهمت شو تقصد.
- أمزح، أمزح.
- طيب، هات احكيلي: ليش لساتك هونيك؟
- شغلي ومحلاتي أهنا وبيتي، وين أروح؟
- امبارح شفت الناس كيف كانوا يخرجوا من المديني، أخطي كسروا خاطري أتذكرت كيف إحنا السوريين طلعنا من بلدنا بذات الطريقة.
- اي والله الناس حقها، خافت من القصف، داعش ترمي الناس بالهاونات والجيش بعد ما قصر حتى بالطيارات قاموا يضربون البيوت بعد ما فقدوا السيطرة، اسكتي صار فلم أمريكي البارحة.
- تعالَ، تعالَ، لهجتك مو متل أهل الموصل، تكتب متل أهل بغداد؟
- وأنتِ شعرفك بلهجات العراق؟
- لهجة الموصل متل حلب واللكنة البغدادية كتير معروفة (شكو ما كو عيني؟) هههه
- هههه أي أني بالأصل من بغداد وتهجرنه للموصل بعد الاحتلال بسبب الطائفية.

- شتقصدين "بجارة الأزد"؟

وبعد مرور ساعة!

تباً لي أرهقتُها بالأسئلة، كل ما ابتدأ مع أحدهم تحقيقاتي الصحفية يهرب وكأنه بات يعرف أنني الوحيد الملعون على هذه البسيطة!

لم يعلم بأن رامة غطت اليوم بسبات عميق على عكس أيامها السابقة، أخيراً وجدت إنساناً مثيراً للاهتمام لربما يعيش أصعب من ظروفها، فهي أيضاً ممزقة!

"يا أبطال الدولة الإسلامية، أيها المؤمنون، ويا مناصريها ومؤيديها، اليوم نزف لكم أخبار النصر، أخبار العزة، أخبار عودة الأمة الإسلامية إلى مكانتها الصحيحة. فبعد الانتصارات في أرض الشام حان دور أهل العراق من السنة المستضعفين بأن ننتصر لهم من الرافضة المجوس الكفرة، وقد رأى العالم أجمع بركات غزوة أبو عبد الرحمن البيلاوي الأنباري وما نجنيه اليوم من ثمارها، فالزحف مستمر باتجاه عاصمة الرشيد، عاصمة الخلافة الإسلامية، ولن يتوقف إلا بعد تحرير كامل أراضي العراق من السطوة الفارسية ونحن اليوم على أعتاب مدينة بغداد المدورة، فهنيئاً لكم وبارك الله لكم أراضي فتحتموها وغنائم كسبتموها لإعلاء راية التوحيد راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)".

(بعض من خطاب أبو بكر البغدادي في جند الله)

دولةُ الإسلامِ:

باقية، باقية، باقية.

تكبير:
الله أكبر
تكبير:
الله أكبر
تكبير:
الله أكبر

(كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل) لا والله إنها باغية لكن سأصبر حتى يجيء أمرُ الله، يرفع ذراعه إلى الأعلى مثلهم ويحتفل مردداً كلمات لا يؤمن بها قلبه، "فباسم الله تُستباح الدماء، وباسم الله تُستباح الحرمات والأملاك، وباسمه جل في علاه تستباح الأعراض وتصبح الحرة (جارية) تُباع في سوق النخاسة، أي شرع مخالفٌ بما جاء به محمد؟ وأي عهدٍ هذا؟ لا وفاء به لمختطفٍ أو أسير أو ذمي آثر البقاء في بيتهِ بغية الحفاظ على أملاكه من الضياع وعلى نفسه من اللجوء إلى أقوام أرضٍ لا تريده ولا تريد ماله ولا تهتم بقضيته" التي استباح التنظيم حرمتها اليوم، فبعد تطمين نصارى الموصل، ها هي دوريات الدولة الإسلامية تُبلغُ دار دار وتطرق أبواب الكنائس بالقوة لخروج أبنائها من مدينة الموصل، حفاةً عراة لا مال ولا ذهب ولا حتى جنسية تثبت عراقيتهم التي مزقت أول أوراقها بالاحتلال الأمريكي.

قال حمزة مستنجداً:

يا أبو بكر أليس من قررتم أن تضرب الجزية ويؤخذ خراجها من الذميين من أبناء الطائفة النصرانية في الموصل؟ فكيف تخرجوهم اليوم عنوة؟

ألم يشفق عداسُ النصرانيّ على رسول الله صلوات ربي عليه، بعدما أنكر أهل الطائف دعوته وضربوه؟ ألا يشفع لهم طبق العنب الذي قُدم إلى النبي؟ فهو أيضاً كان من أهل الموصل، أهذا جزاؤهم؟

يا أبو ضيغم بقاؤهم خطر على متانة أساس الدولة الإسلامية، فجميع الخلافات الإسلامية احتضنت أهل الذمة من اليهود والنصارى وكان خرابها على أيديهم، يستمرون في حياكة المؤامرات والدسائس إضافة إلى إحلالهم في أرض المسلمين ما حرم الله على المسلمين أنفسهم.

بل خرابها من فساد رعيتها وخوفهم من مواجهة الحاكم الظالم (وقد لاحظ الخليفة ما تعنيه عينا حمزة) وقال:

قد تم ذلك الأمر يا أبو ضيغم واتخذته دون رجعة وستقطف ثماره يا أخي في المستقبل القريب إن شاء الله، فلا تحزن.

إذن لا فائدة لدوري في مجلس الشورى.

كلا بل أنت من أعمدة الدولة، ولكن هذا القرار نابع من سياسات مصلحة الدولة العليا.

سكت حمزة وهو يطمئن قلبهُ أثناء الخروج من دار الخلافة "لا تحزن إن الله معنا، إن الله معنا، إن الله معنا" وظل قلبه يردد طوال الطريق الآية الكريمة:

﴿... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90].

وبعد وصوله إلى داره الجديدة التي اقتطعتها الدولة الإسلامية لأمير من أمرائها في مدينة الموصل الحدباء إذ بهاتفه يرن لحظة دخوله الدار:

- ألو، السلام عليكم، أخي أبو ضيغم كيف حالك؟
- الحمد لله، أهلاً أخي أبو حفص، كيف حالك أنت؟
- الحمد لله، أريد أن أهديك شيئاً.
- ما أكثر عطاياك حفظك الله، خيراً إن شاء الله ما هو هذا الشي؟
- إنها فتاة يزيدية بكر، اشتهيتها لك.
- لا، لا، معاذ الله، حد الله بيني وبين ما تستبيحون.
- ما بك؟ إنها إحدى السبايا وقد شرع الله لنا التمتع بهن.
- أستغفر الله، يا أخي تلك حالة أُحلت للمجاهدين المسلمين أثناء حربهم مع الكفار المعتدين وهؤلاء فلاحون مسالمون.
- ستبقى هكذا عفيفاً إلى متى؟ تخاف على نفسك حتى من النساء، هههه. لا تقبل الزواج ولا تقبل هدايا النكاح، ما بك؟ هل هناك معشوقةٌ لك في بلاد الكفار ومتيمٌ بها قلبك لا يقبل خيانتها؟

وظل البائع يعرض تجارتهِ حبواً بينما بقي عناد من يمشي في الأسواق ولا يشتري واقفاً.

وما هي إلا دقائق وهو مستلقٍ في فراشه ينتظر سكرات النوم التي تعوّد أن تخرجه من عذابه إلى نعيمه حيث الأحلام، وإذ برسالة على برنامج "رسالة في زجاجة".

معنى جارة الأزد:

الأزد: من قبائل العرب القحطانية وأكثرها شهرة حيث بلغوا من المجد قمته ومن الشرف رفعته. حفظ التاريخ ذكرهم ودوّن مجدهم فهم أصحاب الجنتين في مملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم وكانت لهم السيادة والسيطرة على أجزاء كثيرة من بلاد اليمن، وهم سادة العرب وملوكها بعد نزوحهم منها بعد تفرقهم، ملكوا معظم بلاد الشام والعراق والحجاز قبل الإسلام، بعده كان لهم بادرة عظيمة ومنزلة شريفة أنهم أول القبائل العربية تصديقاً وإيماناً بما أنزل على الرسول الكريم فآووه في أرضهم ونصروه بأموالهم وأنفسهم، وهم الذين أسماهم الله (الأنصار) إضافة إلى ما تقدم عُرفوا بالفصاحةٍ كما كانت لغاتهم من مصادر الاحتجاج اللغوي والنحوي عند علماء اللغة العربية وغيرهم، فأسميت نفسي تيمناً بهم لأنهم جرثومة العرب (أصل العرب) وأساس الشيء وهم موجودون في كل البقاع العربية.

كلمة "جارة" أردتُ بها القرب منهم، أي من العرب أينما كانوا، لأكون أختاً عربية لهم ولا يتجاوز أحدهم على الأخوّة في شيء سوى النصر والاستجارة لها، فكما تعرف أن فضاء الإنترنت واسع ويغلب عليه خلال المحادثات مع الأشخاص الغرباء "سوء الظن" فأردت أن أبين لك في الوجه الأول ما أسلفته وفي الوجه الثاني الجملة التي أقصدها (جارة الكعبة) وبهذا قد كسبت حسن الجوار وحسن الظن فأحسن ظنك بي يا أخي يرعاك الله.

- عاشت إيدك أحسنتِ، ما شاء الله علم وفهم.
- شو خيّوه شكلك نسيت إني شامية، هههه.

- هههه لا والله ما نسيت بس حبيت اسأل عن عنوان الكتاب واتضح أنه باين من عنوانه، والنعم.
- ومنك، مشكور كلك ذوق. وأنت ليش اسمك "نـــوريخ" احكيلي. اسم غريب بالفعل!
- لست متأكداً إن كان جذر الاسم عربياً لكنه يسمى كثيراً حتى هذه اللحظة في شبه جزيرة ملايو (ماليزيـــا). تقـــول الأسطورة إنه كان هناك رجل ملائكي وسط الشياطين التي تسكن الجزيرة وكان هذا النوراني يعمل على نشـــر الخـــير والمحبة بين المخلوقـــات، فأحبتـــه النباتـــات والحيوانـــات والمخلوقات الأخرى، ونقلت أخباره الطيور إلى الأراضـــي المجاورة لتلك الجزيرة التي كانت تُعـــرف ســـابقاً بـــأرض الشياطين. والإنسان بطبعه ميال إلى المغامرة والاكتشـــاف والبحث عن الحكمة، فدخل أحد الصيادين تلـــك الأرض المرعبة والتقى الحكيم الملائكي نوريخ بعد سبعة أيام مـــن مقارعة الشياطين، والذي أهداه بدوره هذه الحكمة (البـــذر الجيد لو سقط في البحر لأنبت جزيرة). ومنذ ذلك اليـــوم وجزيرة ماليزيا تتقدم في سُلم الحضارة بفضل هذه الحكمة التي تحتوي بشقيها على تزكية النفس وعلى زراعة الأرض. وأنا معجب بالثقافة الماليزية فقد درســـت هنـــاك ســـابقاً وتعرفت إلى روح التسامح والوئام بين أطيـــاف الشـــعب الواحد الذي يؤمن بما جاء به محمد ﷺ وتطبقه الدولة من خلال وسطيتها في التعامل، فنحن أمةٌ وسطى والذي يفرط في حق الله ويقصّر في القيام به متطرف، وإنـــي بعـــون الله

معتدل ولهذا اخترت اسمَ (نوريخ) الاسم الماليزي المتـــداول بالرغم من أن الكثير من قدامى العراقيين قد تســـموا بـــه، وكما ذكرت لا أعرف أصله هل هو بـــابلي عربـــــي أم ماليزي؟

- شو يا نوريخ طلعت فيلسوف، هههه؟
- هههه لا بس حبيت أبين لك لأنني مديون لك بتوضيح.
- من هلق بديت تحط حواجز ورسميات؟
- لا العفو، إن شاء الله أنتِ أخت عزيزة وأتمنى أكون عنـــد حسن الظن.
- بس حسن الظن؟ يخرب بيتك! أنت كنت محط الإعجاب: نيالها زوجتك.
- إي والله هنياله وهيه عد ربها (وهو يحدث نفسه).
- بديت أغار
- ليش؟
- كل هاد: شعر وفصاحة وفلسفة وأدب ودين، أي والله نيالها مية مرة، الله يطعميني زوج متل حدرتك.
- وأنتِ همين والله فصيحة ولبلبانة بالكلام وفاهمة وروحـــك حلوة.
- مشكور كتر الله خيرك، أنا هم بالنسبة إلك؟
- لا لا لاااا، همين معناها أنتِ مثلي وأحسن.
- هههه، والله اللهجة العراقية كلامها شي ومعانيها شي تاني متل أغانيكن.
- هههه، صدقتِ.

- ممكن أطلب منك طلب؟ بس ما تفهمني غلط الله يخليك.
- أؤمريني عيوني إلك.
- بدي شوف عويناتك.
- شلون؟ (وهو متفاجئ مما تقول).
- هههههه، أمزح معك. شو بدي أسألك، عندك سكايب؟
- لا، شنو هذا؟
- بتحسسني أنك من كوكب تاني، يعني شو برنامج محادثات.
- لا خلينا أهنا أحسن، كولهن نفس الشي.
- لأن هذا تتأخر تنبيهاتو. وهذا حسابـــــي في البرنـــامج: (Rauma 911) يلا بستناك؟

وبعد مرور نصف ساعة:

- باجر أراسلك منه، أوكي؟
- من هلق بديت تتقل؟
- لا والله لا ثقل ولا شي بس مو راضي يتحمـــل البرنـــامج والخط ضعيف وهمين تأخرت الساعة صارت ثنتين بالليل.
- همين! وكمان تعيدا؟ هههه.
- هههه لا لا.... لا تزعلين هم واحد بس.
- تصبح على خير يا أرق إنسان!!

بعد حيره وارتباك من كلماتها السريعة التي كانت تصليهِ بها كل حين كتب:

وأنتِ بخير يا أم العرب الحنون.

وغطّ في نومه

"إن الأرض كريمة بطبعها فمهما تلوثت قشرتها تستطيع أن تنتج أجمل أنواع الزهور، فلا تحكم على أي تربةٍ من بعيد بل بادر إلى حرثها".

بينما بقيت مستيقظة تجالس شياطينها من الجن والإنس، تتحدث إليهم وتتآمر على بعضهم وتضحك على بعضهم الآخر لحين أذان الفجر، الذي يرجعها بعد كل ليلة إلى حالتها الأصلية كنجمة الصباح التي تزين سماء الفجر أو إلى خالٍ تغنى به الشعراء، رأوه بوجه فتاةٍ حسناء بغية اختلاس لحظٍ من أطرافها، كانت بعد انتصاف كل ليلة تتحول إلى جنية تشعل نار الفتنة في كل البلاد العربية بصوتها ومعولها وبعينيها الفاتنتين، فهي إلهُ الحبِ وكذلك الحرب في جميع الميثولوجيات القديمة، إنها فينوس (الزهرة) التي لن تَشمّ عطرها إلا عند الاقتراب منها، فاحذر يا رائد الفضاء لأنك إذا التفت إليها لن تكمل مهمتك ولن ترجع إلى الأرض مرة أخرى.

مؤلمة هي الأحداث.... لكنها سُطرت لنا بجمال حرفك أروع الكلمات.

رواية (حبيبتي بكماء)..... لمحمد السالم.

أنصحكم فيها رااااائعة.

كتبت ذلك على صفحتها وأفلت.

استيقظ حمزة صباحاً بنشاط وسعادة غامرة شقت ثغرهُ لحظة رؤية ذاته في المرآة عند الاغتسال وأخذ يفتش على آفات الشيب وسط زرع لحيته الكث.

ما هذا؟ وكأنني كنت أقطن في كهف!

أخيراً، انتبه إلى ذلك الجسد الذي غابت روحهُ أو أنه كان عن تعمّد يتجنب النظر إلى نفسهِ خشية تذكر آلامه الحاضرة معهُ على الدوام.

- ألو، معتصم؟ السلام عليكم إلى الآن نائم يا أخي؟
- الساعة تشير الآن إلى الثامنة صباحاً هيا عرّج عليّ أنت والشباب أريد أن أذيقكم بعضاً من الإفطار الصباحي المعتاد هنا في مدينة نينوى الحدباء.
- حسناً، لا تتأخر.

بعد برهة:

- والله آسفين يا خويا ما ظل.
- حسناً، اذهب بنا يا معتصم إلى حي الزهور.
- ومن أين أذهب إليه؟ أنا لا أعرف طرق المدينة. أنسيت يا أبا ضيغم أنني من أهل الرقة؟
- أف، أعذرني نسيت يا أخي.

يسأله أحمد وكذلك فضول سالم:

- ما هي الأكلة التي فوتناها يا أمير؟
- تسمى (القليّة) أي طبخة اللحم، أهل الموصل مشهورون بإعداد شتى أنواع الطعام اللذيذ على مستوى العراق وكذلك أنظفه، والمطبخ الموصلي غنيٌّ يا إخواني.

بعد الوصول إلى مطعم سيدتي الجميلة.
حمزة يسأل صاحب المطعم:
- أكو باجة؟
- لا والله يا أخويا خلصت من السبعة وانتو جايين متأخرين، تعرف إحنا أهل الموصل عدنا طبق الباجة مفضّل الصبح، كل شي أكو حتى القوزي هم استوى إذا تحب؟

حمزة يطيل السكوت وبعدها: هيا يا رجال إلى منطقة المجموعة، ما رأيكم بقطع الكاهي مع القيمر؟ أم تحبون أن نذهب إلى الدركزلية لأكل تشريب الكص عند حسين الشيخ؟
يسأله أحمد: وما هو الكاهي وأيضاً الكص؟
- الكاهي نوع من المخبوزات أشبه بالفطير المشلتت عند أهل صعيد مصر، والكص هو شاورما لحم الغنم تشتهر به الموصل دوناً عن كل البلاد.
- أظنُ أني سأبقى طويلاً وأرسل على أم منصور والأولاد ليسكنوا معي هنا يا أمير.
- هههههه، ما هذا يا معتصم؟ إذن صحيحة تلك المقولة (بطون الرجال أقصر طريق إلى قلوبهم).

توحد ذلك اليوم جسده مع المدينة مع روحه المتوهجة التي طغت على هواء دجلة العليل الذي يدخل النفوس ويغير ما يخالج الصدور فيها من همٍ وكدر في المساء، كان يحب الجلوس كثيراً على جانب الشاطئ يتذكر أيام طفولته بين أهله عندما كانوا يخرجون بنزهٍ كثيرة إلى نهر الزاب القريب من مدينته الأم (كركوك).

آه أين أنتم الآن يا أهلي؟ فبعد نزوحكم إلى الموصل واغترابي عنكم كل تلك السنوات لم أجد لكم أثراً! أرجعتم إلى كركوك؟ أم ماذا؟ قد تكونون الآن في بغداد؟ أو حتى في السماوة، هل يعقل ذلك؟

هي بعد إتمام واجباتها العائلية تهرع إلى غرفتها ليلاً لتمارس إدمانها (الغوص في أسرار النفوس) بدل الفضاء من خلال إحداثيات تدونها أصابعها على لوحة المفاتيح والتي قد جمعتها سابقاً أثناء صعودها إلى كبد السماء عبر مناجاة طالبي اللجوء إليها، فهي حقاً عشتار بإشعاعاتها الحمر التي تغري الرجال على استمرار النظر إليها دون تشتت.

- صباحو.
- أهلين، صباح الخير.
- وينك اليوم ما راسلتني؟
- أعتذر والله شوي انشغلت.
- انشغلت وإلا ما بدك تراسلني؟
- هههههه، لا والله مو القصد.
- دبه.
- شنو يعني؟
- أنتا دبه.

دبه دبه دبه.

- براحتك دب وإلا فيل أو جمل، تموني ☺
- هههههه، أو ما جمل! حته وحده؟ لا يكون بتشبهو؟
- يمكن.

ثم توقف عن الكتابة وقد علا وجهه الخجل الذي يدفعه الحماس بإلحاح، فهو للمرة الأولى يشعر بالضعف منذ اصطدامه بهند ابنة اللواء أيام الجامعة، لكن يا ترى ماذا هناك أيضاً؟ هناك الخجل ومِنْ مَنْ؟ من شخص بعيد عني و لم أراه ولا أعرف إن كان ذكراً أم أنثى!؟

كتبا الجملة نفسها باللحظة نفسها:

- ممكن اسمع صوتك؟ (هو ليبدد شكوكهُ وهي لتعرف سر انجذابها الشديد نحوه).
- حسناً، سأتصل بك.

لحظتها أحس أن قلبه يريد أن يخرج من صدره من شدة الحرج وراح يركض يحاول اللحاق به في أرجاء المنزل الخالي ودماؤه تتشبث بكل جزيئة من جسده قبل الذبح، إعصارٌ حلّ به لحظة رنين هاتفه "يا الهي" وهو يقرأ ما ظهر للمرة الأولى على شاشته: (Rauma 911 calling you)!!!

رد بصوته العذب محركاً ذرات السكون من الفراغ:

- ألو، ألو، ألو، تسمعيني؟ ألوه!!؟

كانت مغمضة العينين وهي تستمتع بصدى نبضات قلب زحل والتي حجبتها عنها الكواكب الأخرى (كل تلك السنوات) وبشيء من الخجل واللذة في إطلاق صوتها منخفضاً:

- ألو، ألو، تسمعني؟

لم يسمعها!!

بل طارت روحه إلى هناك، إلى مكانها منذ ملايين السنين، ورجعت إلى جسده الأول المتمثل بكوكب (زحل) منذ تنحيه وتباعده بعد غضب الشمس عليه وطردها إياه إلى المنفى. فهما كانا عاشقين قبل أن يولدا بصيغتهما النهائية بشراً. هي عشتار وهو تموز إلها ميسوبوتيميا القديمة وأخيراً:

- إي أسمعك.
- مرحباً.
- مرحباً.
- كيفك؟ إن شاء الله تكون منيح.
- أهلين الحمد لله بخير أنتي شلونك؟

وعيناه تكادان تُقتلعان من محجريهما بتركيز نظره إلى السماء من خلال الشرفة بحثاً عنها!

- أنا طيّبة.
- دوم يا رب، نسيت أسألك شسمك؟
- أنا الريم.
- ريم اسم حلو.
- لا، لا.... لا تزعلني منك اسمي الريم.
- وش راح يفرق مثلاً؟
- الريم محدد بأل التعريف، و(ريم) أي بنت تقدر تسمي نفسها هيك.
- تشرفنا أختي.

- وأنتا شو اسمك؟
- أنا؟... أنا؟ نصّار، اسمي نصّار.
- نصّار ولا فزاع هههههه.
- هههههه إن شاء الله نصّار. باين من صوتكِ إنك زغيرة.
- كم تعطيني؟
- 16، 17، أو بالكثير 18 سنة.
- لا غلطان، عمري 23.
- مستحيل صوتك كثير ناعم.
- وأنت صوتك كتير خشن، أتخيل شواربك هيك، هههههه.
- أنا أكبر منك بعشر سنين، يعني عمو، هههه.
- إي، لا لا، أكيد عمرك خمسين، هههه، اطّلع عا شيباتك، جدوه؟ لا عن جد خل المزح على جنب، أديش عمرك نصّار؟
- 33 سنة.
- العمر كلو يا رب.
- تسلمين.
- إحكيلي شو وداك لماليزيا؟ وشو تخصصك؟
- رحت لماليزيا أيام الحرب الطائفية بالعراق وحصلت بعد أربع سنوات على شهادة الماجستير بإدارة الأعمال.
- واو، والله كتير منيح، ما تخيلتك هيك؟ اللي يقرا كتاباتك بيحكي أنك سكير غرقان بالسهر من الوجع، وشو رجعك للعراق؟ أكان كملت دكتوراه.

- الوالد توفى العام الماضي واضطريت ارجع حتى أدير مصالح العايلة.
- الله يرحمو والوالدة عايشة؟
- تسلمين، لا والله من عشر سنين توفت.
- أوه، الله يرحمن برحمتو الواسعة.
- تسلمين أختي.
- أنت موظف؟
- لا، ما توظفت.
- وليش بقه؟ شهادتك تعينك أستاذ جامعة.
- ماكو وظايف حالياً بالعراق، متوقف التوظيف.
- يا رجال إحكي غيره؟
- إي والله، ينراد لي واسطه وما عندي ظهر إلها أني من عامة الشعب، الواسطة هل يومين بكومة فلوس.
- لعن الله الراشي والمرتشي.
- إي والله صدقتِ.
- لا كان خلك هيك أحسن مما تغضب الـــرب. تعـــرف؟ وجهك خير عليّ.
- بشري؟
- الحمد لله اليوم استلمت النتيجة وانجحِت.
- إي مبروك وشايفة الخير يا رب، حتى ما خليتيني أســـألك، أكلتيني بالأسئلة ما شاء الله فعلاً شامية.
- هههه.
- على أي مرحلة عبرتي؟

- المرحلة الرابعة وإن شاء الله الأخيرة.
- شنو تخصصك؟
- متلك إدارة أعمال.
- إي بيها الخير، يوم نشوفك سيدة أعمال وتعمرين بلدك.
- مشكور الله يخليك.
- أف! تأخر الوقت الساعة ثلاثة الفجر والله ما حسيت بالوقت.
- وأنا كمان..... مليت مني؟
- لا العفو، أتمنى ما تفهميني غلط بس باجر عندي قعده من الصبح.
- شو عندك يا داعشي؟

هنا أحس بالضيق من كلامها وتغيرت نبرته:

- شغل، وتعرفين الشغل ما يخلص.
- لا يكون عندك خطيبة تروح تكلمها؟ وإلا يي نسيت أديش أنا غبية؟
- لا حشاك، ليش تحجين هيج؟
- عمرك 33 سنة أكيد متزوج!
- لا والله.
- ولا منفصل؟
- أبد.
- طيب خاطب؟
- لا.

- تكلم بنات من هون لهون؟
- همين لا.
- بي الله يخليك لا تلفظ هاي الكلمي.
- هههههه، باين عليك كتير مهتمة تعرفين حالتي؟

وبشيء من الارتباك الذي خفف جرعة فرحها به:

- ولو أكيد، بيهمني أسأل عن أخي.
- إن شاء الله أخو وأكثر.
- يعني شو تقصد بـــ أكثر؟ (وهي تحاول أن ترد ارتباكهـــا عليه).
- أخ وصديق ومرات الصديق يكون أكثر من الأخ (نجا مـــن شركها بأعجوبة).
- هلق بتقول عني كتير حكّابي ورغابي وما بقى تســـترجي تكلميني؟
- هههه لا.... لا، الله يسامحج بالعكس اتونست بيج.
- إخوانك وين؟ كنك ما ذكرتن ولا مرة.
- إي أهلي مهاجرين بالسويد.
- روح الحقون يا رجُل.
- ينراد لي أصفي أملاكنا أهنا يا الله أكدر أســـافر، وهســـا صارت صعبة.
- إي والله وأنت الصادق.
- ممكن سؤال؟
- تفضل.
- إنتي شنو حالتك؟ مخطوبة وإلا شنو؟

- هههه، كنت أحب قبل بس هلق لا بطلت، تبت هههههاي. يالله سامحني طولت عليك بس والله ما بحسن سكر الخـــط بوشك بستحي.... سكر أنتَ.
- لا سكري أنتي.
- لا أنت.
- لا أنتي، أنا راح أنام واخلي الخط هوا يسكر لحاله، اتفقنا؟ أوكي.
- أوكي، أحلام سعيدة.
- تصبحين على خير.
- وأنت بخير.

وغطّ بنومٍ هانئ لم يتذوق مثيله منذ سقوط النظام العراقي عـــام 2003م.

أما هي وكعادتها، فقد أكملت برامج يومها كالمعتاد ووضـــعت بعد الفجر:

يبه تمنيت لو أنك تشاركني فرحة نجاحي، أنت من يحب هالحظة وأنا من حقق الوعد.

(الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات).

في الصباح الباكر، وبينما هو واقف في الشارع على غير العادة نشيطاً فرحاً ينتظر حافلة المدرسة التي اشتاق إليها كثيراً ذلك الطفـــل المجد كتب:

إلى مكانٍ ما في عراقي أهديك بعضاً من كلِمات:

أحن إلى صوت الجرس وتدافع أجسادنا
لحظة الدخول
وغبار أقدامنا المختلط بدقيق الطبشور
ومكان يعلو صوت المعلمة فيه
ومكان آخر يشتت مسامعي إليه دائماً
أصوات لعب أصدقائي في باحة المدرسة
وزقزقات أعشاش الطيور
وإلى دوي ضوضاء المدينة صباحاً
وحتى إلى عربة الفول التي تنادي أنوفنا
من خلف ذلك الجدار المتشقق في مدرسة النسور
وحتى إلى تلك الطلبات المتكررة لزملائي
قلم، ممحاة، مقطاطة، مسطرة
وإلى تسابق أصابعنا للإجابة
أو طبع فينا الميل للغرور
وإلى نشيدٍ كان يجمعنا كضباط صفٍ
في قاعدة الصقور
حييت يا وطني ما زلت أراك
رغم هرمك كهلك مرضك عجزك
وإزعاج الحضور
أسداً ينادينا زئيره حتى من سكن فينا القبور
اعذرنا فوالله قصرنا

وله السر في تيسير الأمور
عساه يجعل في يوم ما من أحدنا ليثاً
يهديك النصر ويخفف مرارة خسارة الأهل
وهجر الولاة للثغور.

"نوريخ"

صباحكم حنين إلى أيام الابتدائية.

أحس أن الأرض بجميع ويلاتها ونكباتها وحروبها تناديه ليعمّرها منذ آلاف السنين، وأحس أيضاً أنه المستخلف الوحيد الذي يحق لـــهُ اليوم السير على هدي النبـــي سليمان بجمع مخلوقات الله حولـــه. لم تشرق على الموصل شمس واحدة ذلك الصباح بل شمسان، شمس دنت الأرض منها لتجفف محاصيلها التي هجرها الفلاحـــون في الأريـــاف رغماً عنهم، وشمس تمشي في الشوارع توزع على الناس بعضـــاً ممـــا فقدوه في الأيام الماضية، كان هو مصدر الإشعاعات الإيجابيـــة الـــتي تسربت إلى أرواح السكان ورفعت من معنوياتهم قليلاً رغـــم كـــم الخوف والرهبة من احتلال أشرار أهل الأرض (التكفيريين – داعش) لكيانهم وتاريخهم وثقافتهم وذلك بتمييعها كلها بيده. أضريبة الموصل من عدم مناهضة ومقاومة المحتل الأمريكي سابقاً وهو يستولي علـــى مدن العراق (الواحدة تلو الأخرى) تدفع اليوم هكذا؟ وباسم العقيدة وباسم الإسلام؟ فمن حازت لقب (الدجاجة البيضـــاء) في وســـائل الإعلام تدنيساً لها، برع أبناؤها في ضرب أسمى آيات الفداء والتصدي في وجه مغول اليوم (أمريكا وحلفائها) لكن يبدو أن اليوم قد حـــان لتدفع هذه المدينة العريقة أيضاً أكبر ضريبة – ضريبة غنى لهجتها المحلية

بالمفردات العربية الفصحى، فتضرب فيها اللغة العربية والدين الحنيف والتاريخ مرةً واحدة ومن أين؟ من منبر أقدم جوامعها (جامع النوري) ذي المنارة الحدباء المشهورة وذلك بإعلان قيام الخلافة الإسلامية الزائفة والوجه الآخر لأمريكا ابنة (العولمة الكبرى). كان هو الأمل الذي لم ينطفئ رغم كثافة مشهد رقص المعاصم التي تحتضنها الساعات عالياً، وكان هو اليد البيضاء التي لم ترفع سبابتها إلى ما ينتمون وما يتمنون. إنه حمزة بحلقاته التسع المميزة والتي أعادت إحياءها في نفسه من جديد البنت البكر (رامة) "لقد عاد حمزة" من خلال صوتها الذي نزل على تراب روحه المغبرة مطراً أعاد للبشرية أمل استمرار زراعة الأرض وديمومة خضرتها في أيامها الأخيرة!

- ألو.
- ألو.
- مساء الخير، كيفك إن شاء الله منيح؟
- مساء النور والسرور يا هلا.
- شو باين عليك فرحان بإعلان الخلافة؟
- هههههه، أنتي شلونج زينة؟
- آني زينة الحمد لله هههههه.
- رقصتوا ووزعتوا الحلويات؟
- هههههه، لا والله إحنا بس نباوع بعيونّه، هما سووا كل شي، أصلاً واحد منهم قال:

"نحن خير من يمشي على الأرض بعد الأنبياء" ليش ما تحتفلون ويانا؟ أشو بس الأطفال؟ وجان حيل زعلان وجاوبتوا:

- لا والله خيّرنا جان يبالع بريقه هههههه، يا جبناء.
- هههههه، أنتي شسويتي؟
- والله أبد ما طلعت من غرفتي من صحيت المغرب.
- حيّل هاي من البارحة نايمة؟
- لا، نمت الظهر وإنت السبب.
- أنا؟! ليش؟
- خفت عليك، ظليت أفكر فيك بعد ما سكر الخط.
- هههه لا تخافين أنا بأمان (شرحت صدره كلماتها أخيراً هناك من يهتم به).
- احجيلي ليش لحد الآن بالغرفة؟
- والله ما حبيت أنزل تحت في ضيوف دمن تقيل.
- شلون مدبريها وعايشين بالغربة؟ شُغل عمل؟
- بابا مدير بشركة مقاولات، لا واحد من أصحابو القدامى، الحمد لله أمورنا تمام.
- الله لا يغير عليكم.
- آمين.
- حلوة الموصل؟
- إي تخبل الموصل، ماكو منها.
- شو تختلف عن الرقة؟
- بكل شي: أكبر وأنظف والشط يمر من نصها.
- حتى الرقة هيك.
- لا، الرقة النهر يمر من يمها ☺
- إي طبعاً سيدي لأنها بلدك بتكون أحلى.

- لا والله أني مو عنصري، أحجي اللي اليّ والعليّا.
- حاج بقى صرنا بلد واحد هههه، خلاص لا في ســـوريا أو عراق أحنا جماعة الدولة اليوم.
- هههه أي والله أختي الشكوى لله، الله كريم.
- لا تقول أختي!
- ليش؟
- مو حلوه من تمك.

(عجز عن الرد واكتفى بالابتسام كالأطفال).
- شو عم تعمل؟ بتلعب المزرعة عا الفيس؟
- لا والله.
- لا كان قاعد تكتب لمين؟
- لا هايا ولا ذيج.
- احكي ليش ساكت، تعجبني لهجتك يا خليفة.
- خليفة؟!
- لك أي خليفة شو نسيت أنك بغدادي؟ هههه.
- هههه شكد حلوات سوالفج وآني حيل ارتاحيـــت لـــك (شقاجية)، كأني أعرفج من زمان.
- شو شقاجية؟
- يعني أتحبين المزح.
- أها، أوكي. تعرف؟
- شنو؟
- بدون ما تحس كلامي غريب، ما بعرف كيف قوله؟ أنـــت

بالنسبة لي صرت كتير مهم وقريب، أشعر بوجودي حولك، كأني عايشه معك!!

صمت و لم يبح لها بأن كل شيء حوله يختفي حين يكلمها وكأنهما في مكانٍ آخر، ليس فيه بشر وكيف لا وهو العاشق المتيم بحب سومر منذ الأزل، زحل كان يحاورها وهو ممسك بها يتغنى بأجمل القصائد ويضرب على أوتارها الناعمة ويسمعُ الناس أجمل الألحان. فهي قيثارته التي اشتاقت أصابعه لمداعبتها واللعب على نغماتها التي عادت من جديد لتملأ السكون الذي ملّه الفضاء منذ فراقهما، كان صوتها يبدد الملل في روحه ويعبث بتلك المضغة السوداء التي تفحمّت فيزيل شيئاً فشيئاً قشورها وبعضاً من آلامها، لقد أحبها بسرعة ودون مقدمات، وقد يسأل سائل: هناك حب من النظرة الأولى فهذا ما يكون؟

أقول ما قاله "جبران خليل جبران":

نغلق أعيننا عندما نبكي وعندما نحلم وعندما نتمنى وعندما نتعانق، لأن الأشياء الجميلة في الحياة لا نراها بالعين، بل نشعر بها بالقلب.

فينوس في الميثولوجيا القديمة لم تُتخذ إلهة الحب والجمال عن فراغ، و لم تُعبد في روما القديمة عبثاً، و لم تسرق عقول ملوك الأكديين قبل جيوبهم هكذا؟ و لم يشيد لها العرب معبداً في الطائف لأنها أنثى فقط، بل هي أكثر من ذلك بكثير.

دائماً ما آمنت الحضارات التي حكمت بلاد ما بين النهرين وما حولها من دول بوجوب تمهيد الأرض لاحتضان أفروديت إلهة الجنس والتكاثر لكن جميع المحاولات فشلت ويبدو أن داعش اليوم لم تحتل

الأراضي التي اغتصبتها صدفةً بل هي تمشي على نفس نهج التوسع الذي تمددت به تلك الحضارات العريقة، ويبدو أيضاً أن دولة الخلافة المزعومة تحضّر تلك البقعة من العالم لاستقطاب إلَهِم بإفشاء الفساد الجنسي باسم الدين لتجلس عشتار على عرشها المشيد منذ آلاف السنين وتحكم الأرض من الأرض أخيراً وإلى الأبد.

أقبلت يا شهر الكرم والتراحم
والناس تنتظرك شهور طويلة
لاحظ تباشير الفرح في تزاحم
يا مرحبا بأجمل ثلاثين ليلة.

بعدها:

- ألو، ألو، ألو نصّار؟
نصّار إصحى، نصّار إصحى!
قوم يا أخي قوم، قوم اتسحر.
- شنو أتسحر؟
- اليوم الأول من رمضان. نسيت؟
- هاه، منو أنتي؟
- أنا الريم شو بيك؟
- هاه، نسيت نفسي، كنت أحلم.
- إي وشو كان الحلم؟
- والله مدري، أووووه راسي.
- قوم تسحر لا تصير كسول، قوم؟

- أففففف، الساعة 4:30 خلاص أقام الإمام الصلاة ما ألحق على الجماعة (وهو غارق في العسل) والله مو مشتهي أقوم من الفراش أآآآآآه (بتثاوب طويل).
- لا تخلي شيطانك يسيطر عليك، قوم خيّوه.
- لا تقولين خيّوه! خلاص كايم كايم أكره هالكلمة، ولو جانت أحلى نومة بس الصلاة أحسن على قولتك.
- دبه، أنا نازلة أتسحر وراجعه ماشي؟
- ماشي عيني ماشي.
- إي هلق أحنا تمام ظلك قوليّ عيني ولا تقول أختي!!
- والله أمرك غريب! عل عموم روحي اتسحري ونتفاهم بعدين أم خيوه.

بعد الصلاة حمد الله وشكره كثيراً على النعمة التي هو فيها بسببها وأطال الدعاء بأن يخلصه من وزر الفئة الباغية ولو أسكنه دعاؤه حتى في إسرائيل لكن بقربها وتحت سقفٍ واحد، لطالما أستوقفته بعض البنات وهو يبحث في النت عن سبيل للخروج من قبضة داعش لكن لم يكمل مشواره معهن، كانت الوحيدة التي أرتاح معها وكيف لا وهي التي خلقت من ضلعه من نفسه من روحه، يتذكر وهو يحادثها كلام ناتاليا عندما كان في موسكو عن الحب والتي كانت تقول له دائماً "إن العشاق الحقيقيين روح واحدة تنفصل عند ولادتها، وإن هذين النصفين سيتوقان دائماً إلى العودة ككيان واحد". كانت هي بالتحديد بالنسبة إليه النصف الضائع من أحجية قدومه إلى هذه الحياة.

- إي عيني أحجيلي شلون أنتي تقولين أنت أخوي! وانا مـــا يصير أقول لك أختي؟
- هههه، أنت جيت؟ على فكرة غير سماعاتك لأنهم طوشوني مو صافيين.
- أوكي، بأمرك، اليوم أشتري جدد، بعد؟
- شوف أما عن سؤالك، أنا بيحق لي أقول لك اللي بدي ياه بس أنت ما بيطلع لك!
- يا سلام، والله خوش سالفه؟ هههه.
- إي مو أنتيّ ختيار وأنا دلوعه زغيري.
- هههه، والله يابه صحيح يطلع لج، صحيح أتذكرت شـــي مهم!
- شو؟
- إحنا صيّام ما يصير نحجي مع بعض!!
- بالله شو؟ ليش بقى عيوني؟
- يعني من باب أنو صوتك حلو.
- قصدك تقول روحي حلوة ما؟
- روحك وصوتك هههه.
- يا بكاش!
- شنو بكاش؟ أنا أعرف بكداش اللي بسوق الحميدية هههه.
- وقلت لي أنك كنت برقة ما؟
- ها، بدينا أنخوّن؟
- لا، بس مو أنو زغيري يعني تقدر تاكل بعقلـــي حـــلاوه، شوي كمان تقولي بدي شوف وشك، أصلاً أنا ما بحـــب

كلام المدح كتير!!

- خلاص يابه أنتي أكبر دبه خوش؟ أقول صار وقت الشغل، أروح أني في أمان الله.
- وين تروح؟ خدني معك أبو أني.
- بس ما عندي (واي فاي) بالمحل.
- وخطك؟ ليش ما تفعّل فيه نت؟
- مفعّل بس بمنطقة المحل حيّل ضعيفة الشبكة!
- طيب أعطني رقمك!
- ليش ما تخلينا عل سكاييـــي مو أحسن؟
- إي لائه حبيبـــي بدك تعطيني رقمك غصـــبن عنـــك وإلا بزعل هاه!!
- خلاص خلاص كله إلا زعلك يابه، وهذا رقمي هسه أبعثه الج مسج، يلا عيوني باي.
- باي.

أفٍّ ماذا فعلت؟ حسناً سنرى طريقة ما للتهرب إن اتصـــلت!! بينما كتبت على الفيس بوك للمرة الثانية اليوم وهي لم تنم في انتظاره:

لا تدعْ أحداً يسبقك إلى تحفيظ الصغار "سورة الفاتحة"!! لأنـــه سيصليّ بها طوال حياته.

بعد إنجاز المهمات التي أنيطت به دخل يصلي الظهر في المسجد وبعد فراغه، تفقد الهاتف (الحمد لله أنها لم تتصل لكان قـــد لاحـــظ إحراجي وتمنعي أحد من الزملاء) وماهي إلا دقائق أثنـــاء تجوالـــه في

العربة لتفقد نقاط المرابطة وإذ برقم يتصل: ..... 966+

تذكر أنه أعطى رقمهُ لها، ظل يحدق في شاشة الهاتف محتاراً! أيرد أم لا يرد؟

هل إن لم أرد عليها، ستغضب؟ وخلال ارتباكه الذي طغى على هدوئه في وضح النهار إذ بها تتصل مرةٍ أخرى! ورجع هو إلى تحليل أجوبة نفسه المضطربة لكنه توقف عند آخر جواب لها (إذا لم ترد، لن تتصل بك مرةً أخرى) ويمكن أن تفقدها إلى الأبدً. أمر معتصم أن يتوقف وقال له أنا سأرد على الهاتف وأنت أفعل كذا وكذا بعد دقيقة، اتفقنا؟

- حاضر سيدي.

بعد ابتعاده عن من كان معهم بالعربة:

- ألو.
- ألو.
- كيفك قلت ما بنام إلا كلمك، كيف الشغل؟
- والله تمام أبي بالشارع مو بالمحل، طالع بشغله.
- ليش واقف بالشمس؟ حارة.
- انتظر رجال ياخذ البضاعة ما يندل، خطيّة.

(اتبع صوتهُ المنتقل لها عبر الأثير صوت رجل لم تفهم كلامه كثيراً).

- أغلق الهاتف، ماذا تفعل؟ هل أنت جاسوس (وهو يُلقم بندقيته).

- هون عليك، حسناً سأقفل الهاتف.
- هههههه، أشكرك يا معتصم، هذه المرأة أزعجتني كثيراً، فقد اتصلت البارحة بالخطأ واستمرت بإزعاجها.
- يا سيدي يبدو أنها معجبة بك، وما الحرج في ذلك؟
- وهل نحن لدينا وقت لمثل هذه الأمور يا معتصم؟
- لماذا لا تخولني أقول لأم منصور أن تبحث لك عن زوجة؟
- لا لا، يا معتصم ألا ترى ما نحن فيه، ربما لاحقاً بعد أن نسيطر على كل الأمور.

ومعتصم يحدثُ نفسه (والله يا أمير أنك تخفي شيء بتمنعك عن الزواج، عسى المانع خيراً).

انقضى ذلك اليوم وأجسادهم تعبت من مقاومة ميلها اليومي إلى جاذبية أحد الكوكبين المتعاكسين، كل ضد نقيضه؛ فحمزة يسعى لتدمير جاذبية الكوكب داعش، حتى ولو بشق صغير يكفي لخروج جسده فقط من تلك الهالة الشيطانية التي تمنعه ومن يسكن هناك من العودة إلى الأرض، ورامة، الزهرة، فينوس التي تدور حول نفسها بعكس جميع الكواكب، التي تدور بدورها مع اتجاه عقارب الساعة، فانتقالها سابقاً وهي صغيرة من الرياض إلى جدة ومن ثمَ إلى مكة لم يأتِ من فراغ. فالكعبة التي شرفها الله بزيارة حجيجه إليها من دون كل الأماكن "هي الحقل الأكبر للطاقة النورانية الواصلة إلى الأرض من السماء" ولكي يتم الحاج أهم مناسك زيارته عليه أن يدور حول بيت الله عكس عقارب الساعة ليأخذ نصيبه من نور الله، والمؤمن بطوافه ذاك يزيد من الهالة النورانية التي تحيط بجسده. فكل جسد على

هذه الأرض لديه هالة خاصة به لا تُرى بالعين المجردة، وتختلف من شخصٍ إلى آخر وتحمل بصمات روحه ومدى درجة أيمانه وتأثره بالقوى المحيطة وتأثيره فيها، وهي على ألوان متعددة عند الكشف عليها بأشعة (الأكس) إلا أن أقواها السوداء فهي تعمل كعمل الثقب الأسود في الفضاء الذي يقوم بابتلاع النجوم والكواكب التي تنجذب إليه، فتلك الهالة تقوم أيضاً بابتلاع الطاقات من الأجسام الأخرى وتضعفها (خصوصاً المريضة منها).

كان جسد رامة يجمع من خلال الثقب الأسود في رجلها "الطاقة" كل تلك السنوات ليطير إلى أرضه، إلى أصله الذي تكون (حديثاً على شكل كوكب) والذي بدوره اقترب إليها أكثر بل تعامد فوق الكعبة (جارتها) لتعود إلى مملكتها وعرشها الذي اشتاق إلى عشتار ملكة بلاد ما بين النهرين ومصدر إلهام الرجال فيها.

- ألو.
- ألو.
- شلونج؟
- أنا زعلاني منك، لا تحكي معي هاه.
- أف، أف ليش؟
- ما نمت لهلق من وراك.
- ليش؟
- خفت عليك، قلت لا يكون اعتقلوك، أتصل وأنت ما بترد.
- هههه، يا عمري لا تخافين. هوا بس طلب مني أسكر التلفون خاف لا أكون أصورهم.

- لا... لا جد أنا زعلاني منك اليوم!!
- "لك حق تزعل ولك حق نرضيك". شنو اللـــي تريديـــه؟ أوموريني عيوني كولي الج.
- إي شو أمرك ما أمرك، أنت حتى شطر البيت ما كملتو!!
- هههههه شاطرة، ها يلله نكمله ليش لا: "مقوى زعل قلبـــي وعيني".
- بعد وقت، يا دمك!
- تصدقين إذا قتلج صوتج صاير أحلى بعد الزعل!
- لا وأنت الصادق من السهر، ما برضى عليك إلا تشـــغل الكاميرا يلا.
- الكاميرا؟
- إي بدي أحكي معك فيديو، مسكت معي خَلاص!!
- بس يا بنت الحلال أنا بغرفتي والمكان مو قد المقام.
- مو قد المقام وإلا مو قد البسط مو شغلي، مـــا بيفيـــدك ولا بيطلع لك تتهرب. أختار يا أما زعلـــي أو فيـــديو هلق.
- حاضر، بس ممكن أعرف شراح يتغير؟ ترى أنا أخـــوّف، شكلي كثير بشع.
- أنا شو بدي بشكلك؟ أنا بدي شوف عيونك لأني بـــدي أسألك سؤال مباشر!!
- أوكي، دامك تريدين عيوني بس، أبشري بـــيهن، دقيقـــة وراجع.

وراح يبحث عن لثام وتذكر أنه بشخصية مزيفة أمامهـــا، ولا يجوز له ترك انطباع لديها أنه منهم، ثم جلب شماغ أهداه لـــه أحـــد الأصدقاء، أخرجه من علبته لبسه على رأسه ولف جنباته على وجهه تاركاً فسحه لعينيه تحقيقاً لما تتمنى.

- ها، اشتغل الفيديو؟
- هههههههههه، يخرب بيتك ليش عامل هيك؟ أنت رجـــال لشو الخجل؟
- والله أستحي.
- عيونك حلوين متل ما توقعت.
- عيونك أحلى، بس ما أشوفهم يمكن واقف النت من يمك؟ وإلا مشتغل، بس مشتغلة الكاميرا مالتج؟
- لا، ما بيصير.
- شلون ما يصير؟ وأنا مو مشغل لك كـــامرتي؟ والله قويـــة هههه.
- شكلك أنت نسيت اليوم شو عملت فيّ؟
- يا به آسف وحقج على راسي من فوق.
- شو هاد؟
- شنو؟
- الله عندك لحية، اكشف عليها بدي شوفه.
- لا لا لهنا وبس، مو اتفقنا أنك تريدين تشوفين عيوني؟ هاي عيوني قدامج.
- دبه، طلعت دبه عن جد شوف عيونك من تدحك كيـــف بيغطسو؟ هههه.

لم تعلم أن تلك العينين لطالما قد تغزلت بهما سابقاً الكثير من البنات و لم تعلم أيضاً أنه رجل استثنائي، فهالة جسده وحدها قد تغذي مدينة الموصل بأكملها طاقة، بل نساء العالم أن أردنَ استمرار إشراقة وجوههنَ، يكفيهنَ أن يطالبنَ حكوماتهنَ بإظهاره على شاشات التلفاز!!

- نصار، نصار، نصار، اصحى!!
- ها؟
- إصحى عم بتشخّر، إصحى.
- أوف شنو أنتي ما تنامين؟ خلاص راح أسكر أنا تعبان اليوم.
- لا، لا، أوعى ولا تطفي الكاميرا خليها شغاله، بدي أحرسك وإنت نايم.
- نامي بابا نامي قابل أنتي حارس مرمى؟
- ما إلك خص، أنا راح أسهر على راحتك، وكل ما بتشخر أصحيك غصبن عنك!!

لم يجاوبها، بل وكأنه أرتمى على فخذها أخيراً وغط بنومٍ عميق لم ينمه منذ أن هجرته الطفولة. كان يحس أن يديها فوقه تلعب بشعره، تمسحهُ، تنيّمه رغماً عنه كما كانت تفعل أمه. كانت عامدة أن تعيده طفلاً لتربيه على يديها وعلى أفكارها من جديد، كانت تثق أن وراءه سراً كبيراً، بعد أن قرأت عينيه، كانت تؤمن أكثر بضرورة إعطاء فرصة ثانية لأي شخص وبالذات ذي النفس المحطمة لتدفعه بفلسفتها هذه نحو السعي للكمال وإثبات ذاته أمامها.

- نصار، حبيبـــي، نصار، نصار؟
- هاه، هاه؟ أوف يا ريم ذبحتيني، خليني أنام الله يخليك، كـــل شوي تصحيني ما صارت نومه والله؟
- إنت عم بتهلوس وتقول كلام غريب، خفت عليك!
- أهلوس وإلا بجهنم، مالك شغل.

!!! واقفل الخط!! [توت]... [توت]... [توت]

- ماشي يا نصار، تقفل أبّوشي؟ بسيطة.

وإذ بهاتفه يرن مرةً أخرى، كاد يجن وهو ينظـــر إلى مصـــدر إزعاجه لكنه هدأ عندما قرأ اسمها فقد دونه بعنوان (وطن عمري) نعم كانت الوطن الذي حرمَ منهُ والأمل الوحيد الذي بقـــي يحفـــزه إلى الهروب من المنفى.

- ها يا ريم، خير؟
- اسمي الريم، لو سمحت.
- حاضر أختي تؤمرين أمر.
- لا تقول أختي، أنت فاهم؟
- كافي دلع، أريد أنام تعرفين شنو أنام؟ لا أفجر بيج، عندي شغل عوفيني.
- هاه، هيك؟
- إي، هيك.
- لكن أسمع: راح أقولك معلومة وبعدها ما راح أزعجك بعد ولا راح تسمع صوتي!!

أخذ صدره يشحذ الهواء من الغرفة وتحوّل غضبه إلى خوف، ولّى، تقطعت أنفاسه خشي أن تبعده عن مركز جاذبيتها بعد أن لقيها، لكنه صمت ينتظر خروج روحه مثلما تشتهي هيَ.

- من يوم كلمتك وأنا مو عرفاني شو مالي؟ كلماتك أحيت روحي، تعرف؟ كنت نايمي من زمان وصوتك صحاني من سباتي ومو عارفه أرجع متل ما كنت، بخاطرك!! (وصوتها ينازع غصة البكاء).

أقفلت الخط دون أن تسمح له أنفاسه المتصاعدة من أن يتجرأ على الإفصاح لها عن إيقاعات قلبه لحظتها، ثم اتصل بها وهي كانت مشغولة بشيء آخر، تحاول نشر ما كتبت على الفيس:

سيّدي قمْ، ما خبرت اللي يحب يشتهي النوم.

ردت:

- نعم؟ برضو بدك تقلعني؟ (وقد غيرت دموعها صوتها الشجيّ).
- لا والله يا ريت انقطع لساني وما زعلّتك. ريوم، أنا أحبك!!

بعد عمري!

ولا راح أزعلك بيوم بعد أبد، هذا وعد!

كان برواز لوحة ربيعه الذي ابتدأ للتو ذهبياً، رسمة حبه هذه تفوقت على بعديّ الزمان والمكان وعلقت هناك في الأعلى بأحد جدران الجنة، عرفاناً بجميل أم البشر حواء.

استمر اهتمام حواء برعاية آدم والسهر على راحته لليال عدة. كان كلما يكشف غطاءه وهو نائم تناديه ليغطي جسده وأيضاً روحه بطيفها، وكذلك عندما يشخر وعندما يصك بأسنانه وحتى عندما يهذي، تارةً توقظه وطوراً تلاسنه وهي تضحكُ كثيراً.....

كان حريصاً على أن يلبي دعوتها باقتطاع الدين اليومي منه ظهراً، يختلي عن الناس وقت نومها رغم انشغاله. يترك طفلته المدللة تغط على صدره وتلعب بأصابعها الصغيرة بشعر صدره الأشيب كأب حنون إلا أنه أيضاً كان يخاف عليها حينما تصحو مرعوبةً من الكوابيس التي لا تنفك عن زيارتها حتى وهي بحضنه!!

ذات مساء صاحت:

- آآآآآآآآآآآآه.
- شبيج حبيبتي؟ بسم الله لا تخافين، هذا كابوس، هذا كابوس، أني وياج بسم الله عليج.
- بسم الله.

تجلس على فراشها وجسدها كلهُ يرتعش بغضب يكاد أن يخرج على شكل أشعة ليزر من عينيها ويحرق كل شيء حولها، تحاول أن تهدئ من روعها بوضع كفيها على وجهها كالمعتاد لكنها فشلت هذه المرة، واليوم انفجرت حدقتاها ببكاءً شديد ووالدها يحاول إرضاءها ويتوعد بقتل من سبب لابنته الآلام ويواسيها بكلمات رقيقة لينة تعودت عليها منه.

وهي لا تزال تبكي، تقول:

- من خمس سنين وهادي العجوزة كل مرة تيجي تحاول تبعج بطني.

أحس حمزة بتبدل لهجة معشوقته وراح يفكر بمفرداتها الحجازية.

- ما يخالف ما يخالف، هذي فترة وتنقضي.
- (بعدما هدأت) الموشكلة أنو جربت كول المشايخ وما فادني قرايتهم.
- حبيبتي هذا العقل الباطن، آني همينا دايم أحلم أبيتنا القـــديم، زين تعرفيها للمرية؟
- لا والله مو شايفتها إلا بالحلم، يمه شكلها بيشع مـــا أبغـــى أتذكر، ما أبغى أتذكر... تدري؟
- أحس أني أقل من كول الناس بكل حاجة!!
- لا تقولين هيج.
- كم صار لي من غفيت؟
- حبيبتي ما صار لك ساعة.
- أوف يمه راسي يوجعني، أنا خايفة.
- يا بعد راسي، تعالي بحضني أنومج.
- وين أنت؟
- بالمحل حبـــي.
- يلا روح عل بيت!
- وشغلي؟
- ما أعرف؟ سكر المحل في حدا فاتح بالدهرية؟
- أوكي حبـــي، أوكي مشينا.

وبعد برهة:

- ها دخلت الغرفة؟
- لا توي دخلت المطبخ.
- بوشك عل سرير، يلا بدي نام بحضنك حبيبـــي.

كانت مسيطرة عليه تماماً تنوّمه مغناطيسياً وتسلب ما تريده من دفء وحنان وقبلات حارة للزوجة المستقبلية البارة!

فقد لمست نقاط ضعفه وانحناءاته المتكررة أمامها، وباتت تتحكم فيه بعد شهرين فقط من علاقتهما. وهو كان يعلم أنه منقـــادٌ لهـــا بإراداته، حريصاً على أن تذهب نفسهُ خلفها إلى أبعد الحدود وبـــأن تتعرى روحهُ أمامها دون الذكريات، كانت تسحبُ منه كل طاقـــة جسده المتوهجة التي خفتت شعلتها قليلاً خلال السنوات المنصـــرمة، إلا أنها أعادت تفعيلها من جديد بصوتها، بحبـــها، باهتمامهـــا، إثـــر العملية. (الثقب الأسود) أصبح قرمزياً امتص كل هالتـــه المشـــعة، وارتاح أخيراً لأنه أصبح بشراً عادياً بعد أن كـــان أحـــد قطبـــــي المغناطيس كل تلك السنوات، والتي هي أيضاً كانت قطبـــه الثـــاني، بالرغم من هالتها السوداء التي تحيط بجسدها وتضعف (منذ أن كانت صبية) كل جسد نوى فقط مجرد النية أن ينظر لها.

"آه ما أجمل أن تسلم نفسك وروحـــك وقلبـــك وعينيـــك لشخصٍ تثق به كثيراً وتدعهُ يسلبك ما يريد وما تريـــد لتصـــل إلى الخلاصٍ النهائي الحقيقي، وتتبرأ من حب ذاتك وملذات نفسك إلى الأبد، وتستمتع بالعذاب الحلو ما حييت وما سوف تحياه في العـــالم الآخر".

أدمنها، نعم أدمنها وأصبح لا يستطيع أن يعيش يوماً واحداً من دون صوتها الذي بات يعذبه في الفترة الأخيرة أكثر من أن يريحهُ ويجلد بأسواط حبها ذاته الآثمة الخاضعة وخلاصها مما فعلت قبل موعد خلوده في الفردوس المفقود!!

ففي أحد الأيام صدرت الأوامر ليلاً بأن يذهب حمزة، كونه أحد أعضاء مجلس الشورى (الاثني عشر المهمين)، إلى مصفاة بيجي لتفقد الاستراتيجية التي وضعها التنظيم في آلية عمل المصفاة وبعض الأمور الفنية المتعلقة بتجارة النفط في السوق السوداء.

وفي صباح اليوم التالي:

- حبيبي ما راح أقدر أكلمك اليوم الظهر!
- ليش بلا؟
- لأني حا روح لتكريت، عندي بضاعة أجيبها وما أظن أقدر أكلمك لأن مثل ما تعرفين أكو هوايا سيطرات بالطريق وأكون كثير مشغول، أوكي؟
- أمم..... نشوف!!
- لا حبيبي والله ما أقدر أرد إذا اتصلتِ صدق، قلت أقولك من هسا على مود لا تزعلين وتسوين لك سوالف.
- بس راح أشتاق لك، صدق كيف أقدر نام؟
- هههه يا بغباء راح أراسلك لحد ما تتعبين وتنامين، أوكي حبي؟ هذي بوسه يلا باي.
- يلا باي!
- يلا باي!!!..... ألووو ردي ألو ردي؟

- يا ويلي شقد أحبج.
- بكاش دبه، وأنا كمان.

اتجه رتلٌ عسكري مكون من عشر سيارات يقودهُ الأمير (أبـــو ضيغم) حمزة الشمري إلى بيجي، وبعد تفقد جميع القطاعات هنـــاك ظهراً اتصلت (وطن عمري) به وكعادته ابتعد عمن حوله ليكلمها:

- أوف حبيبـــي كتير مشتاقه لك، تعا جنبـــي؟ الله يخليك.
- حبيبتي ما أريد أضوّجك أنا بل الضيّم والحر يمكن درجـــة الحرارة 50 يا فراش يا بطيخ؟
- هيك؟ تزعلني منك؟ راح أبكي ☹
- يلا أوكي خلي أوقف بالفيّ.
- شو هاد في صوت معركة جنبك؟
- لا هاي بعيدة عني.

وبينما هو مسترسل في مغازلتها والحرص على تعديل وســـادتها، وإذ بمكالمة أخرى، وأخرى وأخرى، أبـــو حفـــص التركمانســـتاني وأبوعبيدة العفري وأبو دجانة القصيمي فوراً على التوالي، لكنه غارقٌ بالعسل رغماً عنهُ وبعد قليل:

- حبيبـــي في مكالمات واردة من الأهل أكلمهم وارجع لك؟
- لا كل مرة يطينو عيشتي هالمرة ما أقبل أبد هاه!
- يا حبيبـــي؟
- لا لا.
- يا قلبـــي؟

- لا لا.
- يا روحي ما يصير هذي أختي الكبيرة تتصل من السويد، بعدين تزعل؟
- أختك وإلا بنت غيري؟
- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بابا لا تصيرين شكاكة، بس ما دام هذا ظنك؟ بعنادك ما راح أسكر إلا تنامين حتى أثبت لك دايم أنك أنتي على خطأ.
- ويا ليتهُ رد على الاتصالات!!!!

بعد علوّ أنفاسها وهي تدنو شيئاً فشيئاً من النوم العميق، قطع الاتصال وفي نيته إعادة الاتصال على الأخوة وإذ بمعتصم:

- يا أبو ضيغم أعلمت ماذا حدث في الموصل؟

وكان ينتظر البشرى بقرب خلاصه من التنظيم.

- ماذا حدث يا أبا منصور، بشرني؟
- تم تفجير جامع (النبي يونس) و(النبي شيت) وهدم المجاهدون بعض مساجد الشيعة!!!

صمت و لم يتفوه بكلمة واحدة، لكن معتصم لاحظ احمرار وجه الأمير كدراً وتلونت عيناه بحمرة جهنمية لم يسبق له أن رآها عليه أبداً.

- هيا إلى الموصل.

بينما هم في الطريق يتصل بوالي الموصل، يتصل، يتصل، ويفشل الاتصال، وبعد ساعات تم الوصول إلى المدينة.

- انطلق يا معتصم إلى الوالي.
- لكنه ليس في الديوان الآن، انتهى الدوام.
- اذهب إلى بيته ودع الرجال يتفرقون كلٌّ إلى بيتهِ، انتهت المأمورية!

بينما بقي معتصماً جالساً في سيارته وإذ بعلوّ صياح من بيت جناب الوالي، أمسك بندقيته ودخل إلى هناك راكضاً وكان الأمير حمزة يعاتب (أبو حرب الفاسي) على تفجيرات اليوم.

- إلا تعلم يا أبو ضيغم أنها مبنية على قبور؟ وأن الأمر ليس من عندي إنه من عنده الخليفة نفسه.
- بل أنت كنت حاضراً والخليفة عندما تناقشت وإياكم في مجلس الشورى واتفقنا على تأجيل تلك المسائل لحين إرساء قواعد الخلافة وتثبيت أركانها.
- لقد كان ديراً قديماً وتم تحويله إلى جامع وانا قد نزلت بنفسي سابقاً ورأيت ذلك.

خرج حمزة غاضباً من دار الوالي.

- هيا يا معتصم انطلق بنا.
- إلى البيت؟
- كلا إلى بيتك!
- حسناً نفعل.

وبعد الوصول:

- تفضل يا أمير.
- كلا!
- ألم تقل لي انطلق بنا إلى بيتك؟ وها نحن هنا واقفين أمام بيتي.
- انزل سوف آخذ العربة لتبيت عندي اليوم.
- كلا يا أمير معاذ الله، كيف لي أن أسمح لنفسي بأن تقصّر في خدمتك ولو يوماً واحداً.
- أطع واصمت، هيا انزل من العربة، انزل!
- يا أبو ضيغم أنا لا أريد أن أتدخل في ما لا يعنيني، ولكن أطلب منك أن تنزل وسوف تُحضر لك أختك أم منصور العشاء من الذي تحبه (وهو يحاول تهدئته).
- ألم تفهم كلامي؟ قلت لك انزل، هيا. (وقد وصلت ثورة بركانه ذروتها).
- حسناً، حسناً.

وانطلق الأمير بالعربة السوداء قاصداً ما بقي من جامع النبي يونس قبل أن يحل الظلام، فقد دنت الشمس من مغربها، وصل هناك مع الأصيل وماذا يرى؟ لقد تدمر بناء الجامع وأصبح خراباً في خراب بعدما كان التل المقدس لآلاف السنين، بينما أقدامه واقفة على أطنان الأحجار والفولاذ. أجهش بالبكاء وقرفص ليشارك أرض الحدباء احتدابها في آخر أحزانها فهي أيضاً كانت تنوح وتبكي على أبرز معالمها وعلى تاريخها وعلى منارتها وعلى

أسمى شيء في الوجود "القرآن" الذي ارتجفت يدا الحمزة وهي تلم بعضاً من صفحاته المبعثرة الغارقة بين أطنان الحديد وأكوام التراب والغبار هنا وهناك وهنالك، والتي اقشعرت منها أجساد السكان الغاضبين المغلوبين وهم يلمون قبلهُ كلام الله، يبكي ويتوعد مع أصوات المآذن الأخرى في المدينة الاقتصاص ممّن فعل تلك الخطيئة الشنيعة.

(حجي بكر) لن يشفي غليلي إلا أنت يا من وضعتني هنا وأخرجتني من حزني إلى شدة حزني، كلا لن أجعلك تدمر قريةً أخرى وتهنأ بعيشك بعد الآن.

غضب حمزة الكبير توزع على سكان نينوى بدورهم، رغم كمية الصمت التي أطبقت على أفواههم وبرغم القوانين التي أطبقت على حريتهم بالتنقل أو الخروج من المدينة، فقد صار مثلهم من العامة. جرد الأمير من لقبه ومن امتيازاته وقد رحمهُ الوالي حقيقةً بالإقامة الجبرية في داره (معززاً مكرماً) لحين اكتمال نصاب مجلس الشورى الذي طُرد منه، بانتخاب عضو جديد فيه.

ودخل حمزة فصلاً جديداً من فصول عذاباته المستمرة.....

تغير حمزة كثيراً عن ذاك القوي، مصدر الهام معجبيه من ما يُسمون بالمجاهدين، فقد انكسرت شوكته وانطفأ مصباح فكره المعتدل بعد نفاذ زيته بين صفوف الجنود إلى الأبد.

- ألو، ألو، ألو؟ ريم تسمعيني؟ ألو.
- ألو..... أيوه أسمعك.
- وينك؟ ما اتصلتي عليّ اليوم، الساعة صارت 2 بالليل وانتي ماكو، قلت خلي أتصل أنا.

- والله انشغلت شوي مع العيله.
- ريم، أنتي هواية متغيرة عليّ صار لك كم يوم.
- لا متغيرة ولا حاجة، مزكمة شوي باين من صوتي.
- والله العظيم متغيرة.
- يي علينا هلق تقلبها دراما؟ اسمع راسي بيـــوجعني، بـــدياك تهدى ركز شوي، أوكي؟
- اهدأ؟ ليش ما كو شي أني هادي كولش.
- من يوم تفجير المسجد وانت عصبـــي كتير بس أحكـــي معك شوي تبدي ترفع بصوتك وتصارخ. أنت المتغير مش أنا حبيبـــي، فهمنا بئى أنك حزين وهيك؟ ولما كانت أمك تاخدك معا وأنت صغير هونيك!! دخيلك بيكفـــي تعيـــد أسطوانتك المشروخة أحفزتا صد رد!

صمت وهو يعض بكل قوته على النواجـــذ وحاجبيـــه قـــد أسدلا ستار مسرحية الحب الكـــبير، الأمـــل الأخـــير، الأمـــس الضائع.

وبعد صمت طويل:

- ها؟ ليش ساكت؟؟ أحكي.
- أحكي؟ ما خليتي بيها حكي، كل ما أسولف معك تطلعيني غلطان!!!

وعاد الصمت من جديد...

"عندما ينازعُ حبٌّ ما... الحياة، يصبح الصمت والتأمل لعبته الأخيرة".

- نصار..
- ها؟
- تحبني؟
- أكيد.

وصمتٌ طويل لليالٍ أخرى.....
وصمتٌ وصمتٌ وصمتٌ..... بعدها:

- ليش ما تدور لك ع شغل جديد؟
- مالي واهس من يوم حرقوا البضاعة الدواعش.
- أنت كنت تبيع منكر!
- منكر؟ هسا صار منكر؟ مو جان قبل خوش شغل؟ شنو اللي تغير؟ أسمهن جكاير خوش؟ (وقد عاد عتابه بغضب متجاوزاً عتاب الأحبة).
- لا خلاص أنت مو معئول، أنا بدي صيح، تعرف شو معنى بدي صيح؟؟ أنت بالمرة صرت، تعال أقولك الحقيقة: (الدولة الإسلامية ما بيصير تقول عليها داعش وإلا بيجلدوك، وتفجير المساجد هذا صح وكانوا مخالفين للشرع!!
- وأنتي شعرفك بالشرع؟ أنتي آخر وحدة تسولفين بالدين، حفرتيهم ولقيتي بالجوامع عظام؟ وإلا أنتي مفتي الديار المصرية بجلالة قدره وآني ما أدري؟
- نصار..
- ها؟

- أحبك (وهي تحاول أن تشرب ما تبقى من نـــوره. قالتـــها بنبرة صوت لم تعني ما تقول)، تعا جنبـــي؟
- ما أريد!
- اطلّع عا الكاميرا، اطلّع اطلّع لخاطري، أقولـــك لخـــاطري (رجع صوتها المعهود).

ينظر إلى الشاشة ولا يراها كالعادة، إنه يرى نفسه الضالة الآثمة (وكأنه ينظر في مرآة).

- بتعرف شو عم أعمول من خلف الجهاز؟ وهي قد قالت له سابقاً: (كل ما تنظر إليّ، أقبلك من فمك وعلى لحيتك التي أعشقها).
- لا.
- ليش بطّلت تصبغن لشيباتك؟
- إنتي مو تقولين حرام؟ بطلت على مودك حتى ترتاحين.
- لا هو يجوز شرعاً في الحرب بس صبغ اللحيـــة بالســـواد لإرهاب العدو!!
- خرب، عمي أي حرب؟ واي عدو؟ أنتي بطرانـــه، أنـــا درويش على قد حالي، الله يخلصنا منهم الظلمة الكفرة.
- لا، لا تقول هيك، الله ينصرن.
- والله أمرك عجيب، غريب؟! قبل تحجين عليهم، أشو هسا صاروا ولّد عمج؟
- لأنهم خير من يمشي على الأرض ببساطة!
- كل عقلج تحجين؟! لا لا أنتي مو معقولة صايرة.

وكلما يعودان إلى تجاذب أطراف الحديث بود يرجع الصمت بعد الغضب ليتسيّد الجلسة من جد وجديد.

وخلال الساعات الأولى لذلك اليوم:

- ألو، أهلين، كيفك، شو أخبارك (بصوتها الفرح الذي حرمته إياه في أيامهما الأخيرة هنا).
- أي، هههههه، أي لا، شو تحكي؟
- أوكي، أشوفك اليوم المسا، أي هونيك!!
- باي.

كظم غيظه رغماً عن رجولته، رغماً عن غيرته، رغماً عن دموعه التي أحرقت وجهه وحنجرته والتي لاحظت إحداها وهي تنسكب على لحيته.

- عم تبكي؟

يصد عنها محاولاً استجماع قواه الخائرة ويطلق النار على قلبه الخائن.

- لا عيني مدري شفات بيها؟ (وقد غلظ صوته أكثر ولكن بانت عليه ملامح الاختلال).
- شو بيكيك؟ ها؟ احكيلي.
- تذكرت أمي (وهو يحاول إخماد نيران الشك من أن يعلو حسيسها فتحرق لوحته الجميلة المعلقة هناك) كان يحاول مثلما كان سابقاً حين يحكي لأصحابه عن أمه ويبتسم، لكنه خلال تلك الأثناء أحس بالضعف و لم يقدر على تعديل ميل الموازين...

وإذ بهاتفها الآخر يرن بنغمة أخرى وهو جالس ينظر إلى نفسه البائسة الثكلى وقد تجددت ثورة الشك التي رآها في عينيه وهي تفور على الشاشة، وقلبه وروحه يدعوان بأن يكون المتصل هذه المرة امرأة أو طفلاً أو أي شيء آخر.

- ألو.
- كيف حالك أبو زيد وحشتك، من زمان عنك؟
- أي... هههههه....

.....

.....

- ريم، ريم، ريم؟
- أش أش عيب فضحتنا، شو بدك؟ معاي تلفون.
- منو هذا اللي تكلمينه؟ هاه يلا أحجـــي منـــووو (وهـــو يصرخ).
- هذا ولد عمي!
- واللي قبله؟ (وهو يحاول تصديق ذلك ببلاهة).
- ابن عمي برضو، شو غـــرت علـــيّ؟ هـــاه أحكـــي؟ أحكي.
- لا، بس ما ينفع يكلموك بحضوري.
- بلله شو؟ أسمع: أنت مو من أراييني ولا ولد عمي ولا لك سلطة عليّ، أنت فاهم؟ متلك متل غيرك!
- يعني شلون؟ (وهو يحاول أن يكذّب فهمه لما قصدت).
- يعني هيك متل ما فهمت.. وعلى فكـــرة كـــل الرجـــال كدابين.

- وين حبنا؟ ووين ما أقدر أنام بليّاك؟ هـيج تبيعـيني بعـد ما قضينا أيام حلوة مع بعض؟ أنا تركـت الـدنيا كلـها لخاطرج حتى الطلعة من البيت على مودج بطلتـها، هـيج أتجازيني؟

(عاتبها بعدما كان متملكاً لها صار يتوسل بقاءها معه).

- هوا أنت من جلست بالبيت صارت أفكارك غريبة، وبعدين يا أخي ارجع أطلع هو أنا ماسكتك؟

سكت وقد وقع في الفخ، وقع في حفرتها، وقع في فوهة قلبـها التي صنعها لها فيصل سابقاً، و لم يبقِ لها أي شيء سوى الاسـتمتاع كل ليلة ببكاء هذا ونحيب ذاك، على صوتها، على طيفها، على جنـة الأرض التي حرموا منها بعد ما جردتهم من عيونهم بهجرها، وأصبحوا لا يرون بل لا يفكرون رغم الألم إلا بها وبعذابها. الآن حـان دورك يا حمزة أن تشرب من الكأس نفسها التي أذاقها إياها حبها الوحيـد، الآن صار لزاماً عليك أن تجرب ما جربهُ شاعرك المفضل (ابن زيدون) مع معشوقته (ولاّدة)، الآن صار من الواجب أن نعلمك مـن هـي (عشتار) وما فعلته مع الراعي المسكين:

"يُحكى أن عشتار كانت ذات جمال باهر لم يُشهد له مثيـل، وكانت تدور بين عالم البشر بحثاً عن ضحايا حتى وصلت إلى ملوك البشر فكانت تأخذ ما يملكون وتعدهم مثلما وعدتك (رامة) أول مرةٍ بالزواج، حتى إذا ما أخذت أعز ما يملكون تركتهم وهم يبكونها ليلاً نهاراً، وفي يومٍ وصلت عشتار إلى راعي خراف فذهلهُ جمالهـا وقـد

أغوتهُ عينا الفتاة (مثلما أغوتك معذبتك من مرةٍ واحدة) فقام بـــذبح شاةٍ لها كل ليلة كي تبقى معه لأطول فترة ممكنة، فأخـــذت تأكـــل عشتار ثم رحلت. وفي اليوم التالي ذبح لها وفي الثالث كذلك، حتى لم يتبق للراعي من شيء يقدمهُ لعشتار ثم سألها البقاء معه لكنها رفضت وقالت: أنت لا تملك أي شيء يغريني للبقاء معك، فقام الراعي بسرقة شاةٍ وأخذ يبحث عن عشتار ليقدم لها ما سرق، وأصبح هكذا كـــل ليلة ومن يومها أصبح الراعي ذئباً يسرق من الرعاة الآخرين على أمل أن تعود عشتار فقط لتجلس معه".

فهل ستصبح مثلما كان الراعي أم أن لك كلمةً أخرى؟

فبعدما أصابته سهام الغيرة سابقاً أصبح يخاف أن يفقدها طوال الوقت يسألها من تراسلين؟ حتى أنه كان يشك بجميع أصدقائه ومـــا يخفونه عنهُ بجوالاتهم وبصدورهم، وما تخلفه وجوههم من ابتسامات كانت غالباً ما تثيره بجنون، إلا أنه اليوم بدأ يكرهها بقدر حبهُ لها لأنه يعرف نفسه تحتاجها وقد أدمنتها ولا تستطيع العيش بـــدونها، هـــذا الشعور وحده كان يعذبه. بدأ يعتقد أنه يعتمد عليها بكل شـــيء ولا يستطيع عمل أي شيء بدونها.

خلال تلك الفترة كانت كل يوم بل في كل مناسبة تختبر حبهُ لها بتغيير طريقة معاملتها له، أحياناً تكلمهُ برسميةٍ وأخرى ترجـــع إلى عادتها القديمة في طلب قربهُ وتعاتبه إذا تأخر عن الموعد وكأنها فاقدةٌ للذاكرة. كانت تعرف ما تفعل به، فبعـــدما أوصـــلته إلى أراضٍ لم يصلها من قبل. كتب في الفيس بوك للمرة الأولى مـــن بوحه:

لا تلبسي رداءَ النصحِ
وحواسكِ ما زالت مذنبة
فبالأيام الخواليِ لبستُ قناع الحب
واليوم أدهس عليه
بقوة ضمير المتكلم "أنا"
أَوَتعلمين سأطلق الروح
إلى ما تحب وتشتهي
يا من أسميتها الفراغ العاطفي
الممل بعد تولين
أنستك رياح الخريف أنك ورقة
فاحذري شتاءً أعمى ستتمنين
فيه لو أنك فقط "مبلّلة"
!!!!
الآن اكتمل اللون الأسود الذي طلى روحي
وظهر على هذا الإنسان الممزق جروحٍ
ستجعل من آلامي مطراً أسود مالحاً
يأكل قاربك الصغير ومن الإعصار
تصيحين، يا سكان البحر الميت انهضوا
لم يعد في الدنيا ملحٌ
فمن أطعمتهُ البارحة نهش حيائي
ولم يعد هناك ربيع يعيده إليّ مرة أخرى
آه يا وجعي.. ليت ندائي يصلك غداً لتلبين
وليت أن هناك غيرك في الأرض امرأةً أخرى

أستطيع تسميتها الإلهة "تولين"
لم يعد من بعدك للعرب آلهة تعبد
وإن الله لا اله إلا هو
رب السموات السبع
سبحانهُ الحي العظيم

"نوريخ"

الطيب قصرٍ ما يشـــوبه عـــذاريب
والتربية هي سور قصرك وساســـه
من لا تربى في شبابه علـــى طيـــب
ما هو بمتربـــي ليا شـــاب راســـه
يدل دربه.....

لم تكن كتاباتها ومنشوراتها على الفيس بوك محض صدفة، بـــل كانت كلها رسائل ملغومة وصواريخ بالستية موجهة؛ كل شـــخص يقرأها يظن أنها تقصده بالتحديد. كانت تسليتها في بيع الهوى لمن هو جديرٌ بحبها ولكي يكون: تدخله في منافسة مع غيره من الرجـــال في أحد الميادين الشعرية أو الأدبية وحتى السوقية منها، تختار الفائز الذي تريد نفسه أن تثبت لها وللناس أنه الإنسان الوحيد الكامل في ســـوق الرجال، كانت تعرف من أين تؤكل الكتف، فكل مريديها أشخاص لديهم سوابق في بحر الحب وغالباً ما فشلوا بصـــورةٍ أو بـــأخرى في إحدى نواحي الحياة أو بمجملها، أولئك الذين يستخدمون الشبكات الاجتماعية الإلكترونية ليبحثوا عمّا يثير أنفسهم بالغوص في ظلمات

الغموض أو الحصول على الكنز الخفي والذي غالباً ما قد يكون متمثلاً بأحلام أغلب العاطلين عن العمل اللاهين بأحلامهم الفارغة بالعثور أخيراً على الفتاة الثرية التي سترفعهم إلى مرتبة متقدمة في سلم ترتيب أغنياء العالم.

نراهم يومياً يعلقون باستمرار حين ندخل صدفةً إلى حساب فتاة أو إلى صورتها عمداً في إحدى تلك الشبكات: (فيسبوك، تويتر، أنستغرام..... إلخ).

على الرغم من أنهم لم يروها (معظم العشاق) كانت كمالينا في نظر الرجال مغرية بشدة وهي تتمشى في شارع فيا ماكويدا الرئيسي بمدينة باليرمو الإيطالية، كانت حشود الرجال تقف على جنبات الطريق تحييها وهي مستمرة في طريقها إلى الأمام، تنتظر أرواحهم اللحظة التي تقف فيها وتقرر الاستمتاع بسيجارة ليركض إلى خدمتها الفأر والقط والكلب وحتى الأسد في تلك الأجساد التي تعلو وجوهها نظرات الرغبة الجنسية المطلقة في تمزيق ذلك الجسد الفاتن ولا شيء غير ذلك. كانوا كلهم متشابهين في نظرها إلا أن الحمزة كان فيه شيء يغريها بالمكوث، يعجبها ونادراً ما أعجبت بأحدهم مؤخراً تلك الشابة الممتلئة الجسم ذات القوام الجميل والصدر النافر والخدين المفعمين بالحيوية والعينين المشرقتين. كانت صورتها تسكن فقط مخيلة محادثيها هكذا الذين كانوا يتلمسون سمو روحها ورهافة طبعها وقوة عاطفتها من خلال ما تنشره من صور وأبيات شعرية، أباحت في أحد الأيام لحمزة ما لم تبحه لغيره.

- وجهي شاحب يشبه لوحاتي وصورة العرض يلي بتشوفه، هذي أنا.

- طيب ليش ما تخليني أشوفك؟ اعتبريني حتى لو رجال شافك صدفة بسوق وهو يباوع على عيونج وانتي لابسه البرقع؟
- لا.
- ليش؟
- هيك.
- زين ليش راسمه حصان أسود وواقفه قباله؟
- هيك هواية، أنا أحب أرسم حصان دائماً.
- حلوة هاي الهواية.
- بس تعرف؟ أغلب اللوحات اللي أرسمهم أكبهم بالنفايات!!
- أف، ليش؟
- لأني أكره اللي برسمو.
- بالعكس الفن حلو والموهبة تنمي القدرات على التعامل مع الحياة بحكمة أكثر.
- أنتي تشبهين منو؟
- أنا أشبه أمي بس هيا أحلى.
- هههههه، وآني منين أعرف وجه أمك حتى أتخيل شـــكلك؟ أويلي الله.
- تعرف أنو أنا وانت كتير نتشابه؟
- بس لا تقولين لي عندج لحيه؟ هههههه، أني مربيها مو ديـــن عل موده ترى!
- هههه، أقصد نفس اللي دفعني لطلب تشـــغيل كامرتـــك الفضول اللي معذبك، بس تكرم حا خليك تشوف عيوني اليوم!!

- والله! (وهو يكاد لا يصدق ما تقول.. فقد عذبته بتمنعها وإخفاء وجهها كل تلك الفترة).

في كل مرةٍ حين يتجول في الأسواق كان يرى كل العيون التي احتجبت وجوهها بالخمار، عيناها تنظران إليه، تناديانه، تريدانه، تستنجدان به ليخلصها من عذاب حبه، لكنه كان يهذي لا أكثر...

....

وكان الفراق
بدايته احتراق
قتل جُل مشاعري فيك
وغابت روح الاشتياق
بآخر ثورة للسانك
وودع الغروب
شواطئ الأمنيات
نام الفجر وتاه الناس
فقدت الأشياء صفاتها
وأصبح الضحك بلا صوت
والبكاء دون ملامح
وابتدأ صراع الحضارات فيَّ أنا.

"نوريخ"

- أها، ماشي يا نصار! عندك صفحة ع الفيس وما تقـــولي؟ لقطتك يا زهين!!!

وهي تتصفح منشوره التالي:

تولين يا ملحمة كبرى واأسفي
قد نقض العهد مرةً أخرى
لا أستطيع إلا أن أجلس قرب قبرك
وأندب حظي لتبكي روحي
كما نعتك أول مرة
أما حان لجسدي منك عناق آخر؟
أما حان لهذه المضغة أن تقر
وتبكي عيوني فرحاً من البشرى
قفي والمسي جروحي إنها نارٌ تلظّى
واسكبـــي عذاب قبركِ على
أرضٍ عنوانها الذكرى
فأنا نفيتُ منذً فارقت مقلتيكِ الكبرى
ولم أصادف أنوثة من بعدك
إلا شرذمة من بقايا لديوان كسرى
يا ناري ألا تعودي فعبيدك اليوم في الدنيا
أسرى
ونوروزٌ ما هو إلا وقعُ أصواتٍ تنادي
"لكردستان الصغرى"
يا ربيعي الخريف قد أطعمني اليوم ثماراً مرة

يا دائي أن دوائي أنتي
فاستعدي لنعود إلى مهد حضارتنا
ونسميها من جديد "تولين العظمى"
قد عانيت من فراقك كثيراً
وأنا الآن أشكو غربتي القصوى
سأحمل درعاً ورمحاً من ورق
علّي أقتل وأدفن قربك
ستكون تلك هي ساعة النصر
وأيضاً متعة النشوة.

"نوريخ"

أحست بالذنب أخيراً وهي تبكي مما قرأته من جديد فقد قست عليه كثيراً وباتت تشعر بالغيرة من زوجته الفقيدة، وصار لزاماً عليها أكثر من ذي قبل أن تفوز بالتحدي الذي رفعته في نفسه بين حبه لها وبين الحنين للزوجة الراحلة. علت رغبتها في محو بقايا الحب القـــديم باسترجاعه مجدداً إلى حضنها وإلى قلعتها أسيراً ليحقق ذلك الأسد ما تريده منه ملكة العراق الأبدية "عشتار".

.....

يا من كنتِ تقرأين لي
وتسخطين على وفائي
اليوم سأدفنك وأنساكِ
لكن ليس بقلبـــي وإنما

هنا تحت نعلي حيث أقف
تبّاً لم أعرف أنكِ أحييتِ جرحي
تضحكين وتهمسين وتتصرفين
مثلها تماماً
الغالية
حبيبتي
تولين
ولم أعلم أنني كتبت عنها إلى حد الجنون
وسمحت لك أن تنتحلي شخصيتها
وتعذبيني من جديد
أعترف أني ضعفت أمامك وكنت أحسبك
هي
لكن اليوم زال طلاؤك وبان معدنك الرخيص
لن أدعك تمرحين بعد اليوم أبداً مع هذا وذاك
سأحرقك بنار فقدي لها
وأصيح على وجعي
لتأتيكِ أحزان الدنيا غاضبة
نعم
ستعلمين وتنزفين حد الموت وترجفين
وتحتضرين
لسنواتك الحقيرة القادمة
وستتمنين ما تمنيته بعد فقدها
ألا وهو الخلاص ليس في الفردوس

وإنما حتى في الجحيم
أنتِ ثالث ثلاثة سأذهب بك إلى صاحبيكِ
هاروت وماروت أقص جناحيك
وتدمع عيناك حين تشمّين دخان آلامنا
وعذابنا في غياهب الجب لحين موعد
السعير
أعدك
أعدك
أعدك.

"نوريخ"

.....

لو أنكِ لم تكذبي
وصارحتني بأن لك
تاريخاً أسود
من الرجال لسامحتكِ
لو لم تكذبي
ما كان جرحي
قد نهشهُ الشك
ألف مرةٍ
بإسهاب
ولو أنكِ في ليلةٍ

بُحتِ
في زلّة لسان
ما كان
اسمي تردّده الكلاب
في كلِّ قريةٍ
وتؤشّر إلى جسدي
خائنة الأعين
لو أنكِ شربت دمي
دفعةً واحدة
ولم تجعليه يقطر
ليدلهم عليّ
وأنا مترنحٌ
على جرحي الذي
نسي إغلاق الباب
ليتني لم أرَ غيوم زفيركِ
وجذبتني إليها مع كلِّ نفخةٍ
في ذاك الصباح الأرمد بالمقهى
وقد كانت دخاناً لجسدٍ
رحمهُ عود ثُقاب لرجل
قبلي إليكِ كانً يسعى
ألم يحن لكِ لفٌّ تبغي؟
أرضي قد جفت، وهجرها الفلاحون
وغادرتها الغربان إلى أخرى

عندي سؤالٌ
من كلمتين
يا ترى من الذي سيحرقني
بناره ويرحمني؟
لتنفضي جسدي رماداً
في وعاء
وتهمسين لنفسك
كغيره
لا يستحق مني البكاء
لا يستحق إليه العناء
ولا حتى أبصرهُ شفقٌ لذكرى.

"نوريخ"

وهي لا تزال تقرأ وتتصل به وهو لا يرد فقط، يستمر في الكتابة على صفحته في الفيس بوك، ظناً منه أنها لا تعرفها، فقط تعرف حسابه في برنامج "رسالة في زجاجة".

مات الحب
وبكت عليه الأرض
وأبى الزرعُ أن يقف
لقد كسرت معاولُنا سنابلَه
أهذا ما جنته أيدينا؟
بضعُ حباتِ زقّوم

دلنا عليها غراب أعور؟
دعينا نصلِّ لأبنائنا القتلى
قبل أن يولدوا
ودعينا نوّدع ربيعنا الجميل
لأنه لن يتكرر
أريد أن أسمعك قبل الفراق
اهمسي، تكلمي، أضحكي أو
لحّني بكاءك ونحيبك صراخاً
وقولي
لم يعد للفقراء شيءٍ يذكر
نعم، ارحلي بعيداً عني
لكني لا أزالُ
أخاف عليكِ
على جسدكِ
على قلبكِ
من رياح الخريف القادمة
من الشرق
وما زلتُ أتساءل
هل ستصْمدين
لشتائك الأخير
هل ستصمدين؟

(مجهول)

أرسلت له على برنامج "رسالة في زجاجة":

إن كان مني خطأ ترى الخطـــأ وارد
لكن تراني لـــك الله مـــا تعمدتـــه
وإن كان عني رحل بك قلبك القاسي
شكرت ربـــي بعد رحت وتحمدته

ثم أرسل لها هنا:

أَوَما زلتِ تجلسين
على رصيف الأمنيات؟
فقد أبحرت سفينة ذكرياتي
معك إلى سواحل النسيان
بغابات المطر الأسود
فانتبهي يا صغيرتي من موسمٍ
كل شيء فيه يدعو للسبات
فأنتِ لا.... لن تتلهّفي للقائي يوماً
أنتِ تنظرين دوماً
إلى القادمين
من خلف الهضاب
من خلف الجبال الشاهقة
من خلف البحار الغامقة

فاذكريني في كتابك الصغير
كطيف مسائي لطيف
أو سحابة صيف خففت عنك المعاناة يوماً
ودوني أني كنت لكِ ذكرى جميلة
تحكيها للقادمين إلى حضنك البارد
وأنني كنت حبيبك وأننا كنا أوفياء لبعضنا
واختميها بفراق ليس لهُ مثيل
في جزيرة الحُب الخالدة
فأنا زوجٌ حزين فقد زوجته
وأتى إلى حضنكِ يبحث عن الحنين
ولكنهُ فقده معك حينما فرغت جيوبه
ورجع إلى ذكراها علّه على أيامه بها يستعين
وما زال يستعين
ودوماً سيستعين.

"نوريخ"

في مساء أول أيام ذي الحجة وبينما حمزة مستمر في كتاباته وفي طرق معاناته تحت الإقامة الجبرية أتاه معتصم صديقه الوفي:

يا أبو ضيغم ليس عندي من الأخبار إلا أن والي الموصل كان البارحة في اجتماع مع مجلس الشورى المكتمل حديثاً بحضور الخليفة أبي بكر البغدادي وقد قرروا بالإجماع إعدامك صباح يوم العيد في ساحة سوق الموصل القديم (باب الطوب)، فماذا نفعل؟

- هاه! ثكلتهم أمهاتم.

- ما العمل يا أمير؟ إني أحبك في الله وأريد أن أساعدك ويعز عليّ فراقك بتلك الطريقة.
- اسمع يا معتصم.
- سمعاً وطاعة.
- يجب أن نرسم خطة محكمة لهروبي من قبضة التنظيم.
- ولكن كيف؟

(صمت وهو يخطط لذلك على عجالة ثم أتته فكرة).

- وجدتها!
- ما هي؟
- أليس جميع أجهزة الاتصال اللاسلكي متصلة بالحاسوب المركزي؟
- بلى.
- ويستطيعون مراقبة مكان كل جهاز؟
- نعم أكيد.
- أتدري؟ إلى الآن لم يسألوني عن الجهاز وأظن أنهم تعمدوا ذلك!
- ماذا تنوي يا أمير؟ أخبرني.
- أبو منصور، أنا أثق بك جداً وأنت الوحيد المقرب لي بعد (الحاج بكر)!!
- نعم، وهي ثقة أعتز بها.
- حسناً، أريد منك لحظة هروبي من هنا أن تضع الجهاز بأي سيارة أنت متأكد من ذهابها إلى كوردستان "شمال العراق".

- وماذا أيضاً؟ أكمل (هو متشوق لنجدة صاحبه).
- وأنا أغير من شكلي وأذهب غرباً إلى حيث مكان الحاج بكر.
- لكن كيف؟ وهذا خطرٌ عليك يا أخي.
- أنا لا أريد الهروب من دولة الخلافة فقد تعبنا (وأنت تذكر) في تأسيسها والجهاد في سبيل تحقيقها، فقط أريد أن أصل إلى الحاج بكر فهو الوحيد الذي سيحميني منهم.
- ولكن كيف ذلك؟ فهو في مهمةٍ سريةٍ ولا يريد أن يكشف؟ فهو كما تعلم الخليفة الحقيقي للدولة الإسلامية وهذا خطر عليه أيضاً؟
- لا، لن أبقى طويلاً عنده، سأشرح له ملابسات القضية وأنا متأكد من أنه لا يعلم ما أقروه في حقي بهتاناً، وسأطلب منه فقط أن يهاتف الخليفة المزعوم أبا بكر البغدادي وبعدها سأرجع منصوراً مظفراً وسأجز أعناق من أرادوني ذليلاً يتوسل الحياة على أيديهم، ولا تعلم يا معتصم لربما أكون أنا والي الموصل الجديد وسأعينك مساعداً لي ومن بعدي الوالي التالي هو أنت، وبهذا تكسب الاثنتين: الدنيا والآخرة.

لمعت عينا خليله طمعاً والابتسامة لم تفارق وجهه حتى عند خروجه من عند أبي ضيغم.

في ذات المساء وهو مستلقٍ يفكر بالخطة البديلة وإذ برسالة ترد على هاتفه من حساب (الأميرة الريم) في الفيس بوك:

"الله يخليك يكفي تعذب حالك. أنا آسفة وأعتذر مـــا كنـــت أعرف أنو قصتك هيك، وترى حرام النوح على الميـــت ولا يجـــوز شرعاً أنت بفعلك هذا بتعذبها أكثر".

الغضب في نفسه يستعر ونيرانه تريد أن تحطم الهاتف ثم رد:

أشفقُ على تلك الفتاة التي تدّعي البرجوازية
وأخشى على قطيع الخراف لديها من عصاها السحرية
تمشي تارةً وأخرى تلحنُ لهم نشيد أوجاعها شجناً
ولدت هكذا تمشي متكئة تخاف أن تسقط
واليومُ أراها تعثر بكتاب خطّه قلمي وثار سوادها
يا ليلها المجنون تطاوَل على قيسٍ وليلى
أنكر حبهما ونطق لسانها محقاً "محرّم شرعاً"
فهي دائماً هكذا تلبسُ رداء النصح وتنسى البرد
صدمها من عشقته حين قال لها أنتِ معاقة
أقسمت على جرحها القديم أن تذيقه لكل الرجال
وتلبس لجميعهم أقنعتها المتعددة
الحسناء، المرحة، الرومانسية، و... الشيطانية
كلها رأيتها حتى وجهها وعيونها اللوزية
والتي دائماً ما كانت تفتقد إلى الحنية
ويل لبيئةٍ لا ترحم وويلٌ لأرضٍ لم تخطُ عليها هوناً
وويلٌ لجمالكِ الذي لم يهدِكِ إلا العذاب
وسواداً للبشرية

"نوريخ"

لكن هذه كيف عرفت حسابـــي هنا؟ أففف، كم أنا غبـــــي لقد وضعت توقيعي "نوريخ" على كل رسالة أرســـلها في برنـــامج "رسالةٌ في زجاجة"!!

وأخذ بدوره يتصفّح صورها ومنشوراتها واحدة إثر أخرى:

منك "صباح الخير" عشرة صباحات

كل صبحٍ فيه من الفرح عمر كامل

.....

ما قلت لك إني "أنا" غير عن أمس؟

وإحساسي، فرحي ودنيتي صار مفقود

أعماني حبك أمشي وأتلمسك لمس

مير البلا مفقود وبقلبـــي موجود

أنا أشوفك غير يللي ما تحس

وغبار صيفك عندي ترى أمطار و ورود

.....

يكفيني أغيب وخافقي ما جاك منه قصور

ويكفيك أتّذكر كل ليلة لهفة عنـــاقي

(وهي تضع شعار برنامج السكايب في صورة).

.....

أحاول أخفي إحساسي ولكن بالعشق مفضوح..
تشوف الفرحة في عيني و"حبك" بالعقل والـــروح
(وهي تضع علم العراق في صورة).

.....

وبصورةٍ أخرى حرف الـــ (N)
تضوي طيوفـــك في وقـــت المســـا
وعلى طاري غلانا يتقند للوله كيف

.....

طوينا خيام الحب يا اللي تبـــي المنزال
نوينا الشديد من المحبـــة وأراضـــيها
دلال الهوا ما عاد فيهـــا ولا فنجـــال
تقهويت لي دلة وحلفت ما أثنيهـــا

.....

استكثرك وقتي عليّ وغـــدى بـــك
عادة زماني كل ما طـــاب هـــوّن
ليت الذي وداك يـــا زيـــن جابـــك
تشوف عقبك كيف الأيام ســـوّن

.....

لا تســـأل وصـــالي عـــن الفرقـــى
والصـــمت كـــل اللـــي تعلمتـــه
دوّر بنظـــراتي معـــك.. تلقـــى
كلامـــي اللـــي مـــا تكلمتـــه

.....

(باللهجة العراقية):

دوا خلخـــال محبوبـــي دواويـــن
وحزن قلبـــي يكتـــب لـــك دواويـــن
عجز دكتور مـــا حصّـــل دوا ويـــن؟
دواي هنـــاك ومحـــرم عليّـــه

.....

عذراً لأيام عمـــري اللـــي عشـــتها في ذراك
ما هقيت أنك تنوي هجري وتصد عن قلبٍ بغاك

.....

الحـــب غبـــه ورى غبـــه
فقدت فيها ثلاث أرباع تفكـــيري
مرات أقول الخطا مني وأنـــا ألســـبه
ومرات أقول السبب قسوة مقاديري

.....

وهي تضع صورة لحافر فرس ينزفُ دماً:

مرني أكسر عقوقك بالوصال وبرني، عطـــني
من الظلمة جديل ومن ضحكة شفاهك فتيل
وعلى اللي ودك سرني.....

.....

لو بيهطل غيمنا مطـــانيخ ارجـــال
ما أرى غيرك ولـــو قلبـــك نســـا
ما أخاف البعد ينســـيك الوصـــال
كل خوفي تبعـــدك عـــني النســـا

.....

لا تقطـــني علـــى البـــاب المســـكر
شرع أبوابك على شـــان أتجـــرى
واحد مـــا هـــز فنجالـــه وشـــكر
صب له دامه لفنجالـــك تجـــرى

.....

أدور علومـــك مـــن بعيـــد لبعيـــد
وأقول يا ليت المواعيـــد أتشـــرى
فراقك ضـــيق ومواجهـــك عيـــد
والوقت قاسي والتقاليـــد قشـــرى

.....

أسعدته تلك المنشورات كثيراً، وضعتها خلال فترة خصامهما التي ابتدأت قبل أسبوعين، بينما هو يحاول التركيز على طرق الهروب الأخرى الممكنة، يشرد ذهنه كل حين إلى منشورات معشوقته وإلى ما وضعته من كلماتٍ وصور، يحدث نفسه بابتسام أرهق عينيه سرحاناً:

كانت تقصدني أنا في مشاركاتها بالرغم من مجموع أصدقائها الذين يزيدون عن المئة ألف متابع، يتسابقون كلهم للتعليق لديها ويسب بعضهم بعضاً ويكتب أحدهم: (أنا من علق أول واحد) وهكذا، كانت لا ترى غيري وتقضي يومها كله معي دون سواي، وأنا ما أغباني! هاجمتها. قد يكونون أبناء عمها من اتصلوا بها بالفعل، آاااه أشعر بالخجل الشديد مما كتبت، تباً لي (فقد كانت بقربها أجمل أيام عمره).

واستمر في تقليب أيامها على الفيس بوك وأغلبها كانت صوراً للوحات فنية وصوراً لخيول وللشام وأدعية خاصة برمضان وكذلك صوراً خاصة لها وهي معتكفة في العشر الأواخر وصوراً لقبر شخص تدّعي بأنه أبوها وصوراً أكثر لنقود وصوراً لها تدعي فيها بأنها في المطار ذاهبة وقادمة من الأردن لزيارة أمها، وصوراً أخرى لقطتها كما أسمتها (جورجي) والكثير أيضاً من بطاقات دعوات الأعراس تخص أقرباءها وهي تفتخر وتبارك للزوجين، وصوراً لموائد طعام وهي تحمد أهلها وتتغنى بكرمهم.

وبعدما وضع هاتفه على الطاولة حاول الاستسلام للنوم بغفوات متقطعة يفكر خلالها بالحجي بكر إلى أن صحا على آخرها وتذكر الحقيبة التي أمّنها عنده الحاج قبل ذهابه إلى المرابطة على الحدود مع

مناطق سيطرة الجيش الحر بريف حلب. نهض من فراشه ودخل الغرفة الأخرى ومد يده وسحب الحقيبة الدبلوماسية السوداء من مخبئها، حاول أن يفك شفرة الأرقام السرية وبعد محاولات طويلة فشل ثم أحضر المطرقة وبضرباتٍ متتالية فتح القنبلة الموقوتة وكانت مليئة بالأوراق والمخططات وبعض المستندات الشخصية. راحت يدا حمزة تفتش عن ما يثير دهشته أو تذاكر رحلته وهو لا يزال يدقق في الأوراق. وقعت بين يديه هوية شخصية باسم: (سمير عبد محمد الخليفاوي).

الخليفاوي!

سمير؟

سمير الخليفاوي، سمير الخليفاوي، سمير الخليفاوي؟

وفي لحظة صمت، وقد أغمض عينيه محاولاً التركيز، تذكر صاحب هذا الاسم الرنان.

صرخ بجزع: العقيد!!

ونظر إلى صورته الشخصية ودقق فيها لكنه لم يره سابقاً، إنه رجل الظل نعم هو: العقيد سمير الخليفاوي (عضو جهاز المخابرات الجوية) المسؤول عن تطوير الأسلحة والذي طالما حاولتُ أن ألتقيهِ حتى بعد سقوط النظام. كان عصياً عليّ جمع أي معلومات أو حتى خيوط توصلني إليه، الآن أنت بين يديّ. ثم عاد إلى التدقيق في صورته واستمر يتأمل تفاصيل وجهه وإذ: إنه الحجي بكر! هاه أيها الملعون لقد خدَعتني لحيتك البيضاء الطويلة وطريقتك الفريدة في التعامل. كنت أحسبك ملاكاً لكنك أنت الشيطان بعينهِ يا من أبكيتني أنهاراً من الدموع بعد تأخرك في صنع قلب "المدفع العملاق"

سابقاً!! وبعد ساعات من البحث المستمر وجد ما يثبت تواطؤه في رسالة قد كتبها بخط يده باللغة الإنكليزية أيضاً لأشخاص عديدين ويذكر فيها بأنه من المتآمرين على العراق وبأن الرئيس صدام حسين كان "شخصاً مهووساً بالحروب" دمر العراق وحان موعد نهضة الأمة الإسلامية ببروز الخلافة من أرض العراق حصراً بعد أن تطيحونَ به. كان العقل المدبر والمخطط الأول صاحب الرؤيا الثاقبة في مستقبل المنطقة والشرق الأوسط ككل، كانت مراسلاته عبارة عن نبوءات حصلت كلها في الوطن العربي وكأنه يملك فتيل الأزمات في الدول المعنية، ووجد أيضاً قوائم وجداول مكتوبة بخط يده لهيكل تنظيم الدولة في سوريا وكذلك العراق ودول أخرى مستقبلاً.

لكن إن قتلته ماذا أستفيد؟ فقط لأطفئ نار قلبي.

كلا، ليس هذا ما أريد.

صحيح أنه أوقف حلمي بصناعة المدفع العملاق "السيف"، وصحيح أيضاً أنه أحد الأسباب لسقوط العراق وصحيح أنه عسكري تآمر كغيره من الضباط على تسليم العراق للغزاة بالمجان لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية والتي تبتدئ بإعدام الرئيس! لكنه المسؤول عن تشردي وقتلي لأبي وموت ابنتي وزوجتي الغالية وعذابي كأسير بينهم كل تلك السنوات. دائماً في أيام العمل بمنشأة "سعد 16" تأتيني منه التحايا وبعد عجزي عن معرفة شخصيته الحقيقية ظننت أنه سيدي الرئيس صدام حسين "رحمه الله" متخفياً بذلك الاسم المستعار وكان ذلك يعطيني دافعاً أكبر وشغفاً أسمى لإنجاز العمل بسرعة.

لم يعرف زحل أن مجرته (درب التبانة) بأسرها كانت مهددة من قبل ثقبٍ أسودٍ خفي أراد ابتلاع كل شيء، لقد كان ومازال قريباً منهُ هذا العملاق العظيم، يا ترى لماذا؟ هل أن هذا الثقب كان ظله المنعكس في الفراغ منذ بدء الخليقة؟ وهل هو المسؤول عن تنحيه وتباعده عن كوكب الزهرة بعد ما أكل من الشجرة؟ هل كان يسحبهُ إليه بقواه الخفية لينسل زحل عن مجموعته الشمسية ويستفرد به؟ أم أن إبليس بعد أن لعنه الله وهبط مخلداً إلى يوم الوقت المعلوم من أراده منذ الأزل خليلاً؟ يا ترى لماذا؟

انتهى من عمله وقد رسم في مخيلته خطته الجديدة كلها قبل أذان الفجر الذي ذكره باتصالات ملهمته وطريقة ندائها له لتوقظه على الصلاة في كل يوم "لقد اشتاق إليها" تحسر في سره ودعا الله وهو ساجد "إن كانت خيراً اللهم قربها وقربني منها وإن كانت شراً أبعدها عني وأنسني إياها ووفقني في مسعاي، أنت أعلم بالنوايا وانصرني على القوم الظالمين".

صحا من النوم على صوت طرق شديد لباب الدار، نظر إلى هاتفه لمعرفة الوقت وإذ به قد نام نومة أهل الكهف وتشير الساعة إلى 4:54 عصراً. تفقد الاتصالات التي لم يرد عليها وقد حجب صوت هاتفه عن الرنين لكي لا يوقظه، معتصم قد اتصل به 12 مرة آخرها قبل دقيقة، وهو يحدث نفسه: لابد أنه هو من يطرق الباب، خرج ليفتح له وإذ بمعتصم يدفع الأمير المحجور إلى الداخل أكثر!

- ماذا هناك يا أبو منصور؟! ما بك؟
- في الداخل، سأحكي لك في الداخل.

وبينما قدماه تسابقان قدمي ضيفه إلى الدخول نطـــق معتصـــم وبصوته من الارتباك والتعجّل الشيء الكثير:

- قال لي أحد الأخوة قبل قليل إنهم بعد صـــلاة العشـــاء سيأتون إليك ويأخذونك إلى السجن وبعده بأسبوع يتم القصاص.
- ما العمل؟
- ما العمل!؟ لماذا أنت نائم كل هذا الوقت؟
- لا أدري يا أخي، طوال الليل لم أنم، كنت مشغول البـــال وحاولت بعد صلاة الفجر لكن التيار الكهربائي انقطع عن الحي وانتظرته يرجع لكي أنام، وغفوت و لم أصحُ إلا على طرقك.
- حسناً حسناً، هيا لملم أغراضك سأذهب بك إلى مكـــان آخر.

وخلال الطريق كانت عيون حمزة وصاحبه تتلفت يمنةً ويســـرةً من خلف اللثام إلى أن وصلا إلى قريةٍ مهجورة تقع شمـــال غـــرب الموصل وتبعد عن مركز المدينة نحو عشرين كيلومتراً، أودعه معتصم بدار طينٍ يبدو أن أحد الرعاة قد اقتطعه وقال له:

- سأجلب لك أختك أم منصور وأولادي بعربة نقل وأنـــت خفف لحيتك بهذه الماكنة وغيّر ملابسك لتذهب بهم فجراً إلى الرقة، اتفقنا؟
- اتفقنا.

وبعد فوات موعد قدوم عائلة معتصم بنحو ساعتين استسلم أبو ضيغم لظنونه، لهواجسه، ليأسه، وبينما هو غارق في معاناته الأخيرة إذ بنور سيارة قادم من بعيد أحيا أملهُ، وماهي إلا دقائق حتى كانت عائلة أبي منصور تحط رحالها في واحة الآمال الجافة.

- حمداً لله على السلامة، تأخرتم؟
- لا تعلم كم من نقاط المرابطة قد وضعت لأجلك؟ إنهم في حالة استنفار.
- والجهاز؟ الجهاز أين هو؟
- لا تخف فقد أمّنته مع سائق أجرة أعرفه ودفعت له ما يطمعهُ في أخذه ورميه قرب حدود كوردستان.
- أما الآن هيا لنذهب وارموا بي على الشارع الرئيسي وأنا أتدبر أمري بالعودة إلى المدينة.

انطلق البدوي راعي الأغنام مع عائلته الجديدة إلى الرقة مستخدمين الطرق البرية إلى أن وصلوا مع ساعات الضحى (قضاء البعاج) الذي يبعد مئتي كيلو متر غرب الموصل وإذا بنقطة تفتيش وأم منصور تولول وتقول:

- راح يمسكونا راح يمسكونا!!
- لا تقلقي أتمي هدوءك وأنا سأتصرف.
- السلام عليكَم (بلهجة بدوية).
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وين رايح حجي؟
- والله شوفت عينك يا خوي جنت بعَفر (أحد الأقضية)

حتى أبيع ها شويهات (النعاج) لكن السوق نازل وردينا لأهلنا.

- هويتك أخوي؟
- تفضل.
- علي خميس مانع الشمري؟
- أي نعم هوّ.
- تفضل حجّي الله وياكم.
- يا ويلي يا خويا ردت أموت وقلبي يريد يطلع من مجانو. (قالت أم منصور بلهجة الرقة).

يضحك حمزة أخيراً بعد سنوات من القهر.

- لا تخافي إن الله يحرسنا دوماً.

وبعد مسير استمر لست ساعات أخرى وصلوا الرقة عصراً، أوصل أم منصور إلى دارها وبعد أن اتصلت بزوجها واطمأنوا بنجاح الخطة، شكرها حمزة كثيراً وقبّل أطفالها وقال لها أبلغي تحياتي لأخي معتصم وقولي له: قريباً سيفرح.

بعد يومٍ طويل من الراحة انطلق حمزة مجدداً يتشارك ركاباً آخرين سيارةً أجرة إلى ريف حلب، وبعد الوصول استقبله مندوب (أبو إبراهيم) ضابط الجيش السوري المنشق عن النظام والذي كان رفيقه في السجن، كان أبو إبراهيم هذا أحد القيادات العسكرية في الجيش الحر وقد اتصل به حمزة قبل الهروب بعد أن رآه على التلفاز قبل شهر يتحدث باسم كتائب عسكرية تابعة للجيش الحر.

- أهلاً صديقي حمزة.
- هلا بيك أخويا.
- احكيلنا أيش جبت معك لك خاي؟ (بلهجة حلبية) هات ورجينا.
- تفضل هاي أسماء الخونة اللي مختـــرقيكم واللـــي كـــانوا يكشفون تحركاتكم لداعش وللنظام بنفس الوقت.
- بس أنت من وين جبته؟
- هذا مو مهم المهم اللي أريد أحجيه وياك على انفراد.

وبعد أن أمر جنوده بالخروج من المكان.
- تفضل يا أبو فاطمة احكي.
- عندي معلومة قوية عن مكان وجود القائد الروحي لداعش بأراضيكم.
- وايش يسوي هاد الحقير بينا؟
- قاعد ينظم ويقتل ويخطف قيادات الجيش الحر.
- شو أسمو؟ لا يكون حجي بكر؟
- اي والله هو.
- أف، أف ولك هاد نبحس عنو من زمان.
- بس بشرط!!
- اشرط اللي بدك ياه خيّوه.
- ترتب لي طريقة أدخل بيها على تركيا.
- بس والله هذا طلب صعب حالياً.
- لا مو صعب عليكم، عندي أوراق هم تفيدهم!!

- والله منك هيّن يا قبضاي، أيش دا قلك؟ يا مية مرحبا والله، زارتنا البركة لك خاي، اشرب اشرب شايك، اليوم المسا راح أتصل بقياداتنا السياسية بإسطنبول.

وبعد ثلاثة أشهر...

- ألو.
- ألو.
- كيفك أبو فاطمة اليوم أحمل إلك معي بشارة.
- الله يبشرك بالخير.
- تم قنص العميل حجي بكر.
- والله!
- أي والله وراح أجي لعندك بدي تعملي أكلة عراقية من أكلاتك الحلوين.
- والله تدلل أبو إبراهيم أطبخ لك وأعزمك على أحلى مطاعم إسطنبول مية هلا بيك، مية هلا.
- مع السلامة.
- مع السلامة في أمان الله.

بعد عمله مرشداً سياحياً في إحدى الشركات ظل حمزة طيلة ذلك اليوم والابتسامة لم تفارق محياه يعمل بحماس ويشارك فرحته مع أكبر عدد من الناس، لكن هناك شخصاً وحيداً مميزاً يسكن روحه لم ينسه أبداً بالرغم من كل ما فعله به. إنها رامة الغامضة، رامة التي لم ير منها إلا عينيها والتي يسكن صوتها رأسه وحبها نفسه وروحها روحه وقلبها قلبه ثم كتب لها معاتباً:

يا من جعلتي للحب دستوراً في زمن التمرد، وأسستِ لقـــانون العاطفة قاعدة الذكريات، وأدخلتِ مصطلح "العناد" بيننا، وأوهمـــتني بأن أيامنا المقبلة كلها أفراحٌ وأعياد... شكراً لكِ.

برغم ما مر به من خذلان مستمر في العقد الأخير، ها هو أخيراً يفرح بخروجه من عنق الزجاجة لكنه في صباح اليوم التالي قـــرأ مـــا وضعته على صفحتها:

اليوم سأتوج بحلمي، سأزف إلى حيث أحلامـــي، إلى حيـــث سعادتي، إلى بيت "الزوجية".

قرر الاتصال بها.

وهي تلاحظ رقماً غريباً يتصل بها..... 905+

- ألو.
- ألو.
- مرحباً.
- أهلاً، مين؟
- أنا نصار ما عرفتيني الريم؟
- قصدك حمزة!
- شلون عرفتي؟
- عرفت وخلاص، وين أنت؟
- أنا بإسطنبول.
- وشو طلعك؟
- قدمت لجوء للسويد وراح أسافر، حبيـــت أبـــارك لـــك. "مبروك الزواج".
- شكراً لكن بعد ما تزوجت. حمزة، حمزة.

- نعم.
- أنا أعرف قصتك كلها كنت أسألك وتحكي لي يوم تكون نايم، بالبداية كنت تقول كلام مو مفهوم ويـــوم جربـــت أسألك تجاوبت معي.
- أها.
- وأنا مش سورية، أنا سعودية واسمي نور لكن أمـــي مـــن سوريا، حمزة شفت كمية القهر اللي جواك يمكن داخلـــي أضعاف مضاعفة.

(وحكت له كامل قصتها و...).

- حمزة أنا مضطرة بزواجي بدي ياك تفهم أنو الزواج شـــي والحب شي ثاني، حـَ تبقى الحب اللي ما قد جربته أبـــد وحـَ تظل لك داخل قلبـــي مهما صار، تضحيتي بنفسي لأسعد أخواني أتمنى أنك تتفهم، أوكي؟
- الحين بعد ما تطمنت عليك أقدر أسكر وضميري مرتاح.

هي وبشيء من الغصة:

- الوداع يا أحلى شي مر بحياتي.

هو بعد صمت دامٍ:

- الوداع يا أملي الوحيد بالحياة.

أقفل الخط وساحت على الوجنتين الدموع الأخيرة، أما هـــي فأنهار الحب الصادق لم تنقطع عن عينيها طوال ذلك اليوم.

وبعد أشهر طويلة لحمزة في تركيا قرر اللجوء مع الجموع السورية إلى ألمانيا بعدما انتهت فصول ملحمته الكبرى، أما رامة فما زالت تحيك الحبال حول خصرها وتسحب من تراه قد وقع في حبها وتجبره على الركوع تحت قدميها خاضعاً.

في يوم إقامته الأخير في تركيا وهو في العربة منطلقاً إلى مدينة أزمير فتح الفيس بوك من هاتفه وإذ:

تم الوصول إلى مدينة العشق الأبدي إسطنبول...

تردد في الذهاب قبل اتفاقه مع المهربين وأراد الرجوع من حيث أتى فقط ليراها ولو من بعيد... ظلت ساعات ذلك اليوم تمر ببطء شديد عليه وقبل موعد الرحلة الأخيرة اتصل بها.. ويتصل ويتصل لكنها لا ترد...

ركب مع خمسة عشر مسافراً زورقاً مطاطياً وانطلقوا في عرض البحر...

مدينة هيدلبيرغ
في تاريخ 2016/2/27م

كتب حمزة على صفحته الشخصية بعد الفراغ من المنشـــورات الأربعة عشر:

إنها الليلة الثامنة والسبعون بعد المئة لي هنا، وها أنا ما زلت أعاني من الطنين الذي قال عنه الطبيب (في وقت سابق) إنهُ يحصل بســـبب نتوءات تتشكل في داخل الأذن جراء التعرض لأصوات عالية مفاجئة، سألني: هل تعمل في بيئة صاخبة أو كنت؟ لا أدري حينها كيف أرد عليه وبأي صيغة لأنني لا أجيد اللغة الألمانية بطلاقة، فأنا أصـــبحت طالب لغة سيئ جداً بعدما فقدت ذاتي لكن الجواب كان سهلاً كله يتمحور حول كلمة (صاخب) وتعريفها، ففي العراق سابقاً الفـــرح يحول كل شيء حوله إلى صاخب بشدة: الأماكن، النـــاس، وحـــتى الأغاني أما هنا فأشياء أخرى غير الأغاني هي من تدعو الصخب إلى النزول بين الناس؛ قد يكون أهمها الغضب، الوحدة، الندم، أم الحنين إلى الماضي، لا أعرف بالتحديد!

تعودتُ في نهاية كل يوم أن أضع رأسي على الوسادة لأزور قبل النوم مدينتنا، بيتنا، أهلي، غرفتي، فراشي، وابتسم حـــين أحـــس أن جميع الصخب حولي تحول إلى استسلام تام للهدوء الذي يـــنقلني إلى عالم الأحلام لأكمل فصول رواياتي المتعددة التي لم تكتمل هناك...

في صباح اليوم التالي صحوت فزعاً (كعادتي) قبل رنين المنبه وإذ بالطنين قد أطلق صافرات إنذاره مبكراً في رأسي معلناً عـــن ســـرب جديدٍ من الكوابيس التي بدأت منذ أيام قليلة غزو أحلامـــي وبقايـــاً

ذكرياتي. هرعت دون أن أفتح ريقي بقدح ماء إلى علبة الدواء قرب وسادتي أخذت واحدة وضعتها تحت لساني بدأت في مضغها بقوة ورهبة وكره لها بالرغم من طعمها السيئ إلا أنني كنت متلهفاً أن أتذوق ولو شيئاً قليلاً من الهدوء قبل أي حاجة أخرى. بدأت أبحث في رأسي عن السبب الحقيقي غير الذي قاله الطبيب وتوقفت عند بداية رحلتي الطويلة إلى هنا بعد ما حل بي دوار البحر فأنا لم أركب زورقاً في حياتي من قبل، لعله كان السبب؟ أم أن هناك شيئاً آخر!! لا أدري...

بعد الفراغ من بوحه الأخير مساءً وإذ برسالة:

- حمزة، أبشرك أخيراً وصلت إلى غايتي النهائية... أنا الآن في مدينة الرقة!

رد:

- بالرغم من السواد الأعظم الذي يطغى على حاضري لا يزال هنالك شيء جميل بداخلي هو أنتِ وسيبقى.....

كانت رامة في مرات عديدة تضع على الفيس بوك صورة لرمز (البوم) كَحُلي تمسكه بكفها أو تعلقه على عنقها، فرمز البوم هذا في الحركات النسائية المعاصرة يعد مثالاً للتحرر ويرمز إلى تلك المرأة التي تريد حقها في الحرية والمساواة واللذة بكل تمرد. إنه رمز قديم لـ (ليليث) المرأة الجميلة ذات الشعر الطويل والشهوة الحيوانية المدمرة، ليليث (البغي المقدسة) كما تقول الخرافة إنها خُلقت من

التراب والماء لأجل آدم قبل حواء، أمرها الله بطاعة آدم فأبت أن تطيع آدم ونشزت عنه وقالت إنها خلقت مثله مستقلة فليس له أن يأمرها ولا أن ينهاها، ففرت من الاله إلى الأرض ثم مسخت هناك بومة. ولما علمت ليليث بعد حين أن الله خلق لآدم ونيس من ضلعه (حواء) أقسمت بعد أن تغيب شمس كل نهار أن لا تجعل بني آدم (بعد أن سهل لها إبليس قسمها) يهنئون بالاستقرار والهدوء، فهي تتحول كل ليلة إلى خلقها الأول وتعرض نفسها تلك الفاتنة الخالدة بكل سحرها الجهنمي الذي لا يقهر ولا يقاوم، توقظ بما تمتلكه من خوارق عند الرجال (حسّ المغامرة) وتقودهم نحو ضياعهم في دوامة من الآلام والنكبات والموت سعياً للخيانة. إنها هي اللات، عشتار، كوكب الزهرة (إنانا، أفروديت، فينوس وباستيت) تركت آثارها باقية إلى اليوم في ضمائر الشعوب القديمة، ويبدو أنها وصلت إلى صورتها النهائية والأقوى في شخص رامة الأسطوري.

في النهاية من كان ليصدق أن حمزة بعد كل تلك العاطفة الجياشة لوطنه، أرضه، روحه، أن يتخلى عن كل شيء ويترك العراق بكل بساطة في محنته العظمى بعدما تلطخت أيديه بالدماء (سهواً) ويلجأ إلى إحدى الدول الغربية؟ ألم يتخلَّ عن كل شيء يعود إلى ذلك الشاب النموذج المتميز؟

ومن كان لا يصدق أن رامة بعد كل تلك السنوات من التعرية الروحية المستمرة لطينتها المحبة للاختلاف والتملك تدمن (رائحة الطائفية والتكفير) ولا تهاجر لتستقر في مركز الكره الإنساني على هذا الكوكب؟ ألم تغرِها الدولة اللاإسلامية بكل ذاك الشذوذ؟ ألم تتغنّ وتدعم إنجازات جنودها الأبطال بكل ما أوتيت من جهد؟ أم

أنها لعبة كانت تتسلى بها كما ألعابها المتعددة والتي دائماً ما كانت تثبت أنها وفية للاختلاف وحب المهاترة؟ أهو كان مفروضاً عليها بحكم التقليد أن تلبس عباءة السواد لموضة داعش؟ أم تختلف فقط لمجرد الاختلاف لإثبات بأنها ما زالت تعيش؟ نعم حتى بحبها المؤقت لحمزة فهي كانت تمارس معه الاختلاف لغةً وشكلاً ومفهوماً ومدلولاً ومضموناً.

يبدو أن ظهور ليليث التي تجوب الليالي بحثاً عن الرجال قد تجلى أخيراً برامة الإنسانة، والتي تعد العلامة الكبرى لموعد (يوم الوقت المعلوم)، حيث لم يتبقّ للشيطان سوى سنوات قليلة فقط ويلبس جسد المسيخ الدجال، ويخرج الأعور من المختبرات التجريبية ليتجرد ويحكم الأرض من الأرض أخيراً في آخر أيامها بصحبة خليلته، ويمارس سلطانه على الأشقياء والشقيات الراغبين في الخلود المزيف في هذه الدنيا الفانية.

إن تجربة (الحب الافتراضي – الحب عن بعد) جميلة وعميقة جداً بالنسبة إلى حمزة كانت كاملة لا تشوبها إلا المسافة الفاصلة بينه وبين من أحب أو بالأحرى وجود من أحب حولهُ. إن إدمانهُ لرامة بُني على أساس المشاعر الفياضة التي كان يغرفها بكفيه من جدول الحب الأبدي النقي الصادق، كان يُنقل إليه من خلال صوتها وتواصلها كتابياً معه (كل تلك الفترة) روحها، ذاتها، مشاعرها، وهو كان يصور ملامح معذبته ويستحضر جسدها وشكلها وفق ما يتمنى ويحب ويتخيل. يضع كل تلك الحسيات المستوردة عبر الأثير في ذلك الجسد الفاتن، ولو أنه عاش في فترةٍ سبقت هبوط الرسالات السماوية لعبد هذا التمثال الذي صنعه بكلتا يديه، ولسجد له حتى يتحول طيفه

المقيم في مخيلته إلى أبعاد جسمٍ يكلمه ويعيش معه ويعشقه حد الجنون وربما بعد آلاف السنين يصبحُ ديناً أممياً عالمياً.

"إن الحب عن بعد يُعد تجربة أسمى من أي حب حقيقي (فهو دون معوقات تذكر) وكذلك أكملُ من أي حبٍ عُذري (من طرفٍ واحد) قد يزورنا في بداية الصبا، لا بد لكل إنسانٍ تذوقه فهو حب يقع تحت أبعاد أخرى لا يعيش فيها البشر (من عالمٍ آخر) لكن لربما سيعيشون به بعد البعث، إنه الحب الكامل اللامتناهي".

حبها ألمٌ روحي مستمر، وجعهُ خارج حدود الجسد، لن أشفى منهُ ما دمتُ بعيداً جداً جداً عنها.....

حمزة حسين الجشعمي
تمت في الرابع والعشرين من شهر نيسان – ألمانيا

بعضٌ من قصائد...

إني أغرق
ولستُ أبصر سوى محيط أزرق
لا سفنَ ولا قواربَ ألوّح لها فتقرب
بالأمس هرعت إلى الساحل ومدينتي تُحرق
واليوم لا جديدَ لي غير أنني أشهق
لا مكان لي في الأرض سوى وطني العراق
ليت لي همٌّ أصغر وحلمٌ بالمتناول أقرب
كلنا خرجنا منه إليه وكان الفراق
وأنا اخترت البحر لأن
طعم مدامعي إليه أقرب
خلفي بكى التراب من ظلم غُراب
وفجرَ الابن سوءة أبيه
وحلّ بدل مطر الخير ضبابْ
أعمى بصائرنا لنبقى خارج الوطن
هائمين في الأرض دون ثياب
نصيح في الغربة على أوجاعنا مهلاً

سوف يعود يوماً أبونا من تيههِ ليأخذنا
ونقولها بكل فخرٍ للعالمين
إن هذا الصامد الأبـــي العراق
يا عراق...
اليوم نريد أن نشكي لك حيف الغيوم
انظر ما فعله الثلج بأيدينا ووجوهنا
أصبحت من برده بائسة حزينة
وانظر إلى أفراحنا وأعيادنا
الآن خالية من كل شيء تشوبها الزينة
من بعد ضياعك بتنا أولاد الناس بالتبنيّ
أرجوك عد فخبزهم طعمه
كل يوم يكوي بطوننا وضمائرنا
كل شيء خارج أسوارك حتى المطر يبكينا
قد ناداك السيّاب مستنجداً:
يا عراق
واليوم كل الشعب ينادي
ماذا بعد فراقك
أهو الفراق؟

"نوريخ"

تعالِيْ نَصنعْ من تَجافينا دواءً
يُغردُ في أخبارهِ الحاسِدينا
ونُطبقُ الفاهَ على مرارةِ صَبرِنْا صبراً
يجرعُ سمَّ حناجِرِنا التي
رقصتْ فرحاً بماضينا
فُرسانُ فُتوحاتنا الفتيةِ قدْ قُتلوا غَدراً
طعنَتهم أضغاث وعودِنا وتدلِيسُ أمانينا
دَعينا نَسحبْ قَتْلانا ليواريهم الثرىَ فَخْراً
ونَذرُ انتِصاراتِهم كُحْلاً يُزينُ أعينَنا ويُبكيها
يا حبَّ الدُنيا سَرقكِ الموبقونَ صُبحاً
وصبحُ البينُ يبكيهِ الوفاءُ ليلاً وينْعينا
يا ناصيتي ألاَ يَعْفو الوجعُ فينا هوْناً
لأسقيهِ من ذكرياتنا صوتاً يؤنسُنا ويدْمينا
يا سيدتي سَميني في عَربةِ زواجكِ مُهْراً
يَركضُ إلى حَتفهِ مُسرِعاً لِيشقى ويُشقينا
أو اسمحي لي عقدَ قِرانكِ مُكرهاً
لأتلو عليكما وصيةَ موتي "آمينا"
واتخذيني خاتماً يُزينَ يدكِ حباً
كُلّما اشتقتِ إليَّ تنظرينَ إليهِ وتنْسينا
أو اجعليني قَرينَكِ واقتُلي
مخلوقاتِ اللَّهِ محقاً

وقبلَ العذابَ قولي للرب "هو من كان طينا"
ودَعيني أرعى أطفالكِ "أطفالي" عطفاً
أتْرُكُهم وأهرولُ إليكِ كُلما بنا تَحْلمينا
ونادي عليَّ كُلما تقْسو
الحياةُ وتضيِقينَ ذرعاً
أقبضُ روُحَها وأُفجرُ الشمسَ
بعْدَها ماذا تأمُرينا؟
تعاليْ تعاليْ
نسكُنِ السماواتِ ونَشعُّ حباً
يُذبلُ عُيونَ المحبينَ السهارى الصّاغِريْنا
ونَهْدي التائهينَ في درب الهوا سُبْراً
يُضيءُ عتمةَ الفِراقَ الذي حدَّ مِن تدانينا
اسمح لي يا "ابنَ زيدونَ"
أن أقتبسَ بعضَ حروفٍ
فأنت غَدوتِ إلهةَ الشعرِ
وللعاشقينَ قِبلةُ الدينِ
اُذكُري في كتابكِ الصغيرِ أني كنتُ عاشقاً
أهداكِ زهرةً وما استطاعَ لَها حِفظاً ولا تأمْينا
واذكُري بأنني كُنتُ مُختالاً جَاهِلاً
يَرى الحِقدَ طفلاً لن يَكبرَ بأحداقِ أعادينا
فَنادوا على أقدارِنا

اجتمعوا صفاً، صفّاً
احتضَنَها الدهرُ وأوثقَ العابرونَ ذِراعيّنا
فَقتلَ العَذلُ أحلاَمنا الغرُّةَ نَفَراً، نَفَراً
وشيّعَ الفجرُ فينا أُمُسياتُ تلاقينا
فَاليومَ نَصيحُ وما يُرجىَ من وداعِنا أسفاً
تُبكينا العيونَ شوقاً بعد أن تناءينا

"نوريخ"

فكّ وثاقي وأطلقني مع الرياح
لم أعُد أهمَّ ورقةٍ في دفترك
واجمع أحلامي الشقية بقربكَ إنه الصباح
وبعنا لأول المساومينَ في متجرك
واحكي لهُ عن حبِّنا يوم كان مباحا
قبل أن يبخسهُ العابثون في خاطرك
واحكي لهُ من همسنا مهلاً
إلى ثورات الصياح
التي أخمدتها كثيراً وسادةُ مخدعك
واشطب تاريخَ أمسي سمِّهِ اجتياحا
وأعدد حملاتَ كَسري في رقعتك
ولا تسأل جُرحي هل آذتكَ الرماح
إنما طعونُ وصلي الذي بُتُّ معك
حاضري وجعهُ منكَ لا يساعفهُ إلا النياح
الذي تجلّى تماماً بأعراض حاضرك
فدتكَ نفسي وهل تُقايضني بالجراح
وأنا أبدلُ نزفي كلهُ ولو بساعة معك

"نوريخ"

فلينقل الواشون نصفي الصامت
الذي يتألم كثيراً عند ذكركِ
وليخبروكِ أيضاً كيفَ أصبحتُ
أفتشُ عن عينيك بين الوجوه
وفي المرايا
تائهٌ على قارعةِ الطرقات
أمشي بين الناس كَالمجنون
أبحثُ عن نفسي التي حاربتْني
ورضيت أن أبقى مصاباً هاجمتهُ الكلِمات
هل اخترت دوركِ في مسرحيتي القادمة؟
أم البائسُ اللعينُ دائماً "أنا" هو ذاك؟
دعيني أصفقُ للقدرِ الذي منحني هذا الشعور
وقال:
خذ هذه صفعةٌ أخرى أما زلتَ هُناك؟
فمنْ رحلت سابقاً ودعتُها في قبرِها
أيقنت تماماً أن الله يبُدل سيئاتنا حسنات
ظهرتِ "أنتِ" فجأة دونَ خطبٍ
أو كللٍ بلا مقدمات
قلتِ:
تعالَ عِشْ معي لي جنةٌ في الأرضِ
عرضُها السماوات

"ليس فيها ممات"

لكَ فيها أن لا تجوعَ ولا تعرى

صدقتكِ وصدقتِ

حين غطيتِ فمي طيناً

وألبستني من دموعي

ملحاً يمنعُ جروحي كل ليلةٍ أن تقرَّ أو تبات

ما بال عيونِ الوشاة اليوم أراها فرحة

تضحكُ بصوتٍ عال

يُسمعُ صداها بالرأس طرقاً وطرقاً وقهقهات

تؤشر لبعضها وتغمزُ

ها هو أخيراً قتيل ينازعُ الممات

لماذا تركتِ خلفكِ متسولاً

يسألُ المنافقينَ خبزاً وملحاً وبعضَ النبات

ألا يصلحُ العاشقُ أن يكون زوجاً

يجلبُ لكِ كُل يومٍ ورداً ليست للذكريات

أَخرجي دَفترِكِ ودوِّني بخطِّ يدكِ

من لا يستحقُّ معي العيشَ

لا يستحقُّ مني المَمات

نعم دوِّني

إنني حالة وُسطىَ

"لا تقبلُ الزرعَ ترفُضُ الخُضوعَ إلى الذرع"

ودوِّني آخراً
أن "ابن عبدوس" في النهاية لم يفُز
بل أن "ابن زيدونَ" من قد مات

"نوريخ"

أقف هُنا وأنتِ هنالكَ تجلُسين
مقنّعي رأسينا وجبهتانا يعلوهما الحنين
ماذا حلَّ بنا
إعصارٌ بل بركانٌ يُحركهُ أنين
"واجمين"
يحزِنُنا الفزع الأصغر
ونحنُ بِعنادنا صاغِرين
واجمين
الفرح حولنا والغيضُ يحضُننا كاظمين
لماذا أصبحنا هَكذا جامدين
تُجالسينَ بلاطكِ
وأنا كَبائعِ سوسٍ رهين
واجمين حتماً لن نبقى راحلين
لقاؤنا صدفةٌ وفراقُنا
أمنياتٌ تغنى بها الحاسدون
آهٍ منها
تنطلق عيناكِ بشوقٍ نحوي
كسهام وأنا مثلها
ونحن الاثنان مرتبكان
صامتان وقاموس الحبِّ خوّانٌ
لا يُترجمُ مشاعرنا مثل الآخرين

أهذه نهايتنا؟

مقتولين ولا يستطيعُ الدفنَ إنسانٌ

صامتين هنا في الآخرة خاسرين

مذهولين نعم، حتماً تائهين

وسَيزيد من تيهنا قهر الحنين

خاطبيني بقلبك وأنا أودِّعك

وداع العراق لدماء الحسين

واسمحي لي أن أعصب عينيّ سواداً

وأنشر ما أراه ثكلاً في الدنيا أجمعين

"نوريخ"

أَوَما زلتِ تذكرين
مكان لقائنا في يومه الأخير؟
"قد شكوتك إليه"
فأنا ما زلتُ أزورهُ كُلَّ صباح
أسقيهِ بدموعٍ أجمعُها
مساءً من نافذتي الغربية
دعيني أُخمّر ما تبقى
من دمي الذي لم تشربيهِ
علّي أنسى أننا كنا شخوصاً في مسرحية
بطلُها أنت.. أليس لِكُل بطلٍ قضية
إلا أنتِ
قد بعتِ القضية
يا امرأةً
يا تاجرَ البندقيهْ
أُطالبك بأن تسمحي لسفني أن ترسوَ
فعِراقُ اليوم ضائعٌ تائهٌ مثلي
كل يومٍ يحلمُ أن أيامه المقبلة سرمدية
ويحي نسيتُ يا ابنة الحجاز
أن أيامكم ليست كَأيامِنا
تمرولُ مسرعةً والعارُ
فيها يلحقُ من كان شقياً

ارحلي

نعم ارحلي حيثما شئتِ

فأنتِ لستِ أولَ العابثين

ودعيني أُثرثرُ لصمتي

الذي قضى نحبهُ

في زنزانة صدري

وكانت آخر كلِماتهِ:

"شكراً على الهدية"

"نوريخ"

سأكتفي بجلد ذاتي
في كل يوم من أمامي تمرّين
حاملة لصغاركِ حبات الكرز ورقائق الحلوى
تجاهليني كوعودي السابقة بلقمةٍ تجمعنا
تجاهليني وردِّدي أنني كنتُ أهذي
بل إنني غارقٌ في النشوة
ما بال أمنيات العاشقين؟
ما بال قهقهات السكارى؟
ما بال سعادة الحمقى؟
ألا تشفعُ لي؟
وباقات الورود وأعياد حبنا وابتسامة
مقلتينا لحظة اللقاء كلها
ألا تُباع؟
فأنا لم أشترِ رجولتي
عندما باركت لبعلك
بل بخستُها للمدعوين ببضع نظرات
عتب فيها الكثير من الإشفاق
ولِمَ غرامة النظر فيك
الآن أصبحت الصمت؟
أتدفعها أصوات حناجر الأمس
بنحيبٍ وبكاءٍ وهمس؟

لماذا؟

في كل مرة ترين قامتي

يعقد إعصار حاجبيك

وبركانٌ أحمرُ أراهُ تضمينه

بثغركِ الأسودِ الكذاب؟

مهلاً لست بذلك الشبح

ما زال لديّ ظلٌّ صادق

أختبئ فيه

كفاكِ

إنكِ لم تزوري حانات القهر

والنوم كل صباح متسكعة تحت شباك

ولم تدمني التسوّل والتوسّل

بلقمة هذا ولكمة ذاك

ولم يهجم عليك البحر

"بحرنا"

بليله الشتوي الغاضب

ولم تلاحقك السكاكين

التي حفرتُ بها ذكرياتنا

ولا لحاء الأغصان الذي يركلني يومياً

بأقدام رجال الشرطة الخائفين

على مشاعر السياح

قولي لي ماذا أفعل

بحياتي؟ أألوهما؟

لكن مهلاً.. لسنا في باريس

لن يأتي أحدٌ ليشتريني

ولن أستطيع مجدداً شراء

البسمة بذكرياتي

فأنا رجلٌ هالك يعيش

على هامش الأمس

فأرجوكِ سامحيني لأنني

أحببتكِ بشدة ولم أستطع تحقيق أحلامي معك

"نوريخ"

آه.. ليتك ولو في حلمٍ عليّ تمرين
تسألين عني ومن جوْري إليّ تشتكين
آه.. ليتني أسمع صدى صوتك حين تتكلمين
وتضحكين وتنادين وحتى حين تتنفسين
فنار الشوق إليك محت "حب ذاتي" من سنين
فأنا دائماً أحسُّ بطيف روحك حولي
يزورني.. يناديني
أهب كسهم منطلق وتسبح نظراتي بين
وجوه الراجلة الناظرين
وأرد إلى مكاني كجذع نخلٍ خاوٍ أبى
الرضوخ للتأبين
أتسمعين ما أسمع وتحسين؟
فهذا القلب كل نبضة فيه لك وكل إحساس
بـــي منك
يا فاتنتي احملي مرآتك وانظري
فدموعي لفراقك استأذنت رجولتي وأبت
الخضوع إلا للحنين
نعم أنتِ لستِ ذكرى لامرأة أعجبتني يوماً
أنت حاضرٌ على أيامي به أستعين
وأنت مرضٌ أطلبه كل لحظة وحين
وأنت لوعةٌ أهرب من سجني بك لعذابك

انظري إلينا
أنا ومشاعري وحبـــي ننتظرك متحمسين
ليت كل ما بـــي هو بك
تعالي نجمع قلبينا
ومشاعرنا وإيانا.. أقف أمامك وتقفين
وأشبك يدي بيديك لتعلق
عيوننا ببعضها إلى الأبد
وشفاهنا تتحرك بنفس إشراقة الشمس
التي أنتظرها من شفتيك حين تبتسمين
تعالي يا حب الدنيا والمسي جسدي اليومَ
ذاب وكل يوم يمرُ ينصهر
أخاف أن تأتي ولا ترين
إلا ما تبقى من حمم بركان لم تثر
بل ساحت على قشرة الأرض ليس لتميتها
وإنما لتزرع حُباً متأصلاً هنا من أعلى
ناصيتي إلى جذوري
فحبك يا آنستي أصله قبل أن
تولد الديانات في جسدي
عربيٌّ أصله عدنانيٌّ وقبلها ساميٌّ
وقبل قبلها حبٌّ من الله
أنزله إلى أرضه ليكون خاتمته

حبٌّ نظيفٌ إسلاميٌ
فحبنا تكرر على مر التاريخ
في جميع الأزمان
ليكتب ألف ألف حكاية بأسماء وهمية
يا سكان الأرض
انظروا إليّ فحبها وصل بـــي إلى أن
أفضح أمري أمامكم
نعم كل تلك الحكايات كانت تتكلم عنها
وعن حبـــي لها
إنها تحبني وتخاف على قلبي
الذي تمنى أن تأمرني بشيء
غير عشقها لينفذ كل ما تطلب دون تأجيل
واعلموا شيئاً إني أحبها حباً لدرجة
أنني لو رأيتها مرةً أخرى
سأضمها بكل ما أوتيت من مشاعر
فقد عشقتها قبل أن أُعجب بها
يا حواء أو ما قد تُسمين أنا أطلبك
اليوم وغداً وفي كل حين
إما أن تثبتي أن الحب موجود
في الأرض أو تنفي
فاليوم مصير الخير في الدنيا

وقف عليك لتتكلمي
لأن صمتك يعجِّل بخرابها
ويجعل مني الأعور الدجّال
أصنع السعادة في معصية الله
وأستثني نفسي
إنها تعرف كل ما سوف أفعله للناس
هو وهمٌ وكذبٌ وخداع
فأرجوكِ لا تجعلي مشاعري عرضة للضياع
لأنني تُهت ولا يشفع للضائعِ
وجعُ الارتياع
كلا لن يشفع لي ما فات من عمري
دونك في الضياع
قد كنت في ضياع
وسيستمر بـــي الضياع

"نوريخ"

خانتني الأيام

وأنا هنا أقف

ولم أذهب ولن أنتظر

من جديد

خفقات الأحلام

خانتني الأحلام

وأنا أسعى

خلف سراب الأمل

في الصحراء

خانتني الزهرة

في قربها من الشمس

ولم تأبه لمشاعر العشاق بالأمس

خانتني الشمس

من شروقها إلى وداعها

ساعة الأصيل

على مرافئ الضعف واليأس

واحتضنني اليأس

بعدما فقدت إيماني

وضاعت الفرصة

ولن يُعاد الدرس

"نوريخ"

تولين يا جُرحي النازفُ عذراً
سأرحل
وأودعَ العراق إلى غير رجعةٍ
لم يعد بقائي ممكناً
لتقاسي غربتكِ وحيدة حيث تخلدين
وأقاسي غربتي الأبدية في غربتي
وداعاً يا أيامنا الجميلة
وداعاً يا شجرة حبنا القتيلة
وداعاً يا عش أحلامنا الدفينة
وداعاً أيها الحب
لم أعرف بعدها إليك وسيلة
ولم أعرف أيضاً
أن فيك حتى أفراحنا مستحيلة
لماذا كل هذا العناء
قل إنني لا أصلح إلا للسفهاء
أهو أنت دائماً من
يفرق بين الخل وخليله
أم هي الغاية أم هي الوسيلة؟
من هو المسؤول عن كل
هذا الإحباط والانكسار والذهول؟
بسببك أعيش الآن نصف إنسان

والنصف الآخر يتألم في قبره من الحرمان
كفى يا دموعي ألم تجفي بعد؟
لا أبصر سوى الجفاف في كل مكان
كفى يا عذابـــي ألم تتجرع
كل مرارة صبري.. ارحل
كفى يا اشتياق
إنني من خلفك أعاني
كفى يا حزن ألم تزرني أوقاتاً
وأوقاتاً هناك في السجن
الآن ادركت لا.. ليس الحب
هو من يجعلنا نعاني
إنها المأساة
بكل أشكالها وصفاتها والمعاني
وإنك يا تولين قدري
أهو القدر من يرحل وأنا أعاني؟
من بعد إذنك يا قدر سوف أتمنى
أن أعيش هناك مثل البشر
لأضحك وأمرح وأعمل
وأسهر قليلاً كباقي البشر
ويا قدري لي فيك أمنيةٌ أخيرة
أتحقّقها لي.....؟

أريدك من جديد في جسد آخر
وكلما يفنى جسد تتحول إلى جسد
لأني سأعيشُ مخلداً إلى قيام الساعة
ويا فرحتي بها وما بعدها
لكني يا إلهي أتساءل إذا كانت
هيَ في النار وأنا في الجنة؟
أأستطيع الذهاب إلى جهنم بدلاً منها؟
لأني أخاف على جسدها الطاهر
ولي رجاء مولاي أرجوك.. أرجوك
بعد قبول دعوتي
أن لا تنساني
وتجعل ذكراها عالقة هنا في وجداني
لأتجرّع عذاب الجحيم مبتسماً
وأتخيلها أخيراً في سعادتها الأبدية
وتسمعني حين أقولها
في كل لحظة:
تولين
أنا
أحبك
أحبك
أحبك

"نوريخ"

أين أنتِ مني يا تولين؟
لتريْ ما أراه وتحسين
فمنظر الشرفة المطلة جميلٌ جداً
ونسائم الليل أسمعها تنادي
فقد هاج بـــي الشوقُ لكِ.. ألا تسمعين؟
أنا الآن أحتاجك أكثر فقد أخذ بيَ الحنين
آه.. ليتني هناك لأشم تربتكِ وتنادي
هيهات تسمعُ أذني صوتكِ
مرة أخرى بعد كل هذه السنين
وهيهات عيني تدمع لأخرى غيركِ
فقد مزقني حبكِ.. كفى تعصرين
أتحسبين أني سعيدٌ ببعدي عنك؟
أو أنني تغيرتُ عليك وأصبحتُ شخصاً
عديماً؟
فأنا كما عرفتني أول مرة أهيم فيك دائماً
أين أنتِ من كل هذا؟
أنوار وسعادةٌ وليل ينادي العاشقين
متهاتفين أو مجتمعين
إلا أنا وأنت.. أرجوكِ
عيناي ترفضان النوم أتوسلك: ألا تأتين؟
ونفعل كما مثل الصبية العاشقين

أرفع السّماعة أطلبكِ وتردين
تتكلمين وتثرثرين وتمزحين معي قليلاً
بعدها تغضبين
وعيناي كما الآن ترفضان النومَ تنتظرانك
تصحين من نومكِ حتى أكلمك وتعذرين
ماذا أفعل الآن أخشى أن أصيح وأوقظ
النائمين
فبـــي شوقٌ إليك بركانٌ هائلٌ
أو قولي شمسٌ أناديها فتأتي
تعبت من مناجاتي لكِ أُحلّفك بالله
أن تأتي إليّ في حلمي كي أراكِ
تبتسمين لي وتهللين
وأضمك إلى حضني
ألا تذكرين؟
فأنا لم أنسكِ حتى اسألي
أضلعي أتلمسها الآن تتأودُ عليّ
وأنا مثلها أغمرها بأذرعي
نبكيك ونبكي دفئكِ وفراقكِ
آه ليتكِ تنظرين
فأنا يتيمٌ بعدك مرميٌّ هنا
لا أحد يهتم بـــي أو أستعين

ولساني هذا

آه منه لم يتجرأ

أن يُسمع غيرك كلاماً مما تحبين

آه ليتني عميت أو طرشت

أو فقدت يدي ولم أكتبْ

وكم تمنيت

برحيلكِ عني أن يجنَّ عقلي

أو أفقده إلى الأبد لأرتاح ولكن

بعد كل هذا

عندي سؤال:

هل ستعذرين؟

هل ستعذرين؟

"نوريخ"

هاجت شجوني وأمسيتُ لا أرى إلا عينيكِ
برغم أنوار شوارع برلين ورائحة الورود
الزكية هنا
أقرأُ اسمك على علامات الطريق
وخُيّل إليّ أنني قرأته أيضاً في أرقام السيارات
وفي أسماء المحلات وفي إعلانات المنتوجات
"التي تزين المباني الكبيرة هنا"
أقود العربة مندفعاً كاندفاع عواطفي نحوك
لكني اليوم أفتقدك بشدة
فحالتي لا شفاء منها
شُبِّه لي أني أراكِ أو قد تكونين من المدعوين
تنظرين إليّ وتنتظرين
منذ سنين وسنين
لأصحو على أصوات التغريدات
وانتهي إلى الفرحين
ها أنا قد خيبت أملك مرةً أخرى
لتنزل بدلاً عنك دمعتي التي اشتاقت إلى
وجهك
آه ليتك هناك تجلسين واجلس وتحيين
المدعوين
كما يفعل أخي وزوجه مبتسمين

لا أدري لِمَ خرجت دمعتي؟ أهو فرح لهما
أم أنك حاضرة بروحك وأسمعك بدل الضحك
تبكين؟
آه يا تولين
اشتقت إلى أحضانك.. أأنتِ مثلي
تحسين؟
وتتألمين؟
وتبكين؟
وأنت بقبرك ألا ترتجفين؟
فأنا قد بطُلَ دمعي اليوم
وأصبح ينزف حبراً.. اختار بدل الخد
أن يصعد إلى هناك إلى أعلى الجبين
ويكتبُ عني:
حزينٌ حزينٌ حزينِ
هذه تعويذتي أعيش بها
وأستمر بإبعاد النساء عني
لا شيء هناك يستطيع أن يمحو عذاب السنين
ولا أن يحذف حروفاً معلّقة هنا
ليست في الذاكرة بل في الصميم
تولين:
كنتِ خيراً في حياتك

والآن أراكِ تتلفين، تنزعين، تحرقين
وتجردين
لماذا لم تقولي لي تعالَ مُتْ معي
ولا تترنح على جرحك لخمسِ سنين؟
وتطلبين مني العيش هنا كإنسان
فهذا والله حرامٌ، حرامٌ، حرام
ألا ترأفين وتسامحين وتسمحين؟
أن أختار غيرك وأُسميها
حبيبتي الأخرى تولين؟
لأحيا وأضحك وأكون سعيداً ليس بفقدكِ
بل لأنك معي ترجعين وتتحولين
من فتاة لأخرى
كفى تلاحقينني ألا تسمعين؟
الآن أسمع أنفاسكِ بأذني.. ألتفت
ولا أراك.. كفاكِ
برغم كل الصخب حولي
كلا لن أنساك
انظري إلى سرعة قيادتي
قد تجاوزت المئتين
علّي ألحق بك وتكفين عن مطاردتي
وترحمين

لكن لا
سأعيش أتغنى بحبك
وأنت في كل مرة تلحنين وأنا أكتب
وغيرنا يبكي:
على حزننا
على جرحنا
على عرسنا الدفين
ماتت بـــي كلّ فرحةٍ
أرجوك غيِّري لحنك وأُغير كلامي
علّي أمرح قليلاً
في آخر أيامي
ليس فرحاً ولا طمعاً
وإنما لتقر عيني بغدكِ
وتشرقي.. نرجع نعيد أيام خطوبتنا
وأهاتفك فتضحكي وتقولي:
سأنجب لك أولاداً ذكوراً
وأقول كلا أريدهم بناتاً
وأسميهم جميعاً
تولين.... تولين..... تولين
وننام على الهاتف مثلما كنا
شباباً مراهقين

لنصحو على يوم الزفاف.. أتذكرين؟
حين تمنيت حضنكِ لآخر مرة
وترددتِ وأنا مثلكِ
ويا ليتنا غمرنا بعضنا وبكينا للفراق الأليم
كم تمنيت وأنا أبارك للزوجين
أنتِ معي تباركين
وأطفالنا يمرحون حولنا وأنت
تشخطين بهم وتصيحين
كم تمنيت أنك زوجتي حتى ولو مقعدة
معقّدة، مجنونة
تصيحين، تحطمين، تمزقين
حتى ثيابـــي.. وأضحك فتزيدين
وليتك موجودة في أقصى بقاع الأرض
لنذرتُ أن أمشي إليك حافياً
وألّف كوكب الأرض سبع مراتٍ
بدل الشمس وأقول لك ماذا تأمرين؟
لكن واحسرتاه ليس لي إلا عقارٌ
لا أعرف نجاعته
فقط كتب عليه: تولين
"علّه يشفين"
وصاح ذلك الصوت المزعج

في صدري من الأنين
لأبتلع كل ما في العلبة علها
تكون علاجاً لحبك أو تخرجين
"أنا بعيون الناس أهذي" لكن
أنتِ بعينيّ تضحكين، تتكلمين، ترقصين
أتساءل؟
هل سيدوم العلاج؟
أم حمى حبك سوف تتطور
بعدها ماذا سأفعل لتخرجي؟
نعم
سأركض إلى إسرافيل
طالباً القرن
إن لم يطلق صفيره
الحنين في صوتي كفيلٌ
بإخراج البشر الراقدين
وأصيح عالياً
مبروك يا حبيبتي
إنه:
يوم الدين
يوم الدين
يوم الدين

"نوريخ"